

علـم اللغـة العـام

تأليف

الدكتورة

وفـاء حسـن زيادة

أستاذ مساعد بقسم علم اللغة والدراسات
السامية والشرقية
كلية دار العلوم – جامعة القاهرة

٢٠١٩

تم التنسيق والإخراج الفنى
بإدارة إنتاج الكتاب بالمركز
Email: entagalketab@yahoo.com

المحتــويات

توصيف مقرر علم اللغة العام

General linguistics

الأهداف العامة للمقرر:

الوقوف على المفاهيم والمعارف الخاصة باللغة الإنسانية وخصائصها، والاطلاع على العلم الذي ينظم دراسة هذه اللغة دراسة علمية، فَيعرف الدارس مستويات دراستها، وكذلك مناهجها واتصالها بالعلوم الإنسانية الأخرى.

المستهدف من هذا المقرر:

يهدف هذا المقرر إلى أن:

١- يعرف الدراس المصطلحات والمفاهيم الخاصة باللغة وعلم اللغة.

٢- يكتسب أسس التحليل اللغوي لأي لغة من اللغات الإنسانية وبخاصة العربية.

٣- يكتشف ويعزز دور العلماء العرب في الإسهام في الفكر اللغوي.

٤- يرقى مستوى الدراس في الوعي بلغته وما يحيط بها من مشكلات.

٥- يصبح فاعلا في حل مشكلات المجتمع اللغوية بعد معرفته بالخبرات المتراكمة من القديم حتى العصر الحديث.

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد ...

فهذا كتاب في علم اللغة العام General linguistics

يحتوي على المعلومات الأساسية التي يجب على من يبدأ دراسة علوم العربية أن يكون على دراية بها.

وقد أفدت في إعداد هذه المحاضرات مما كتبه الأساتذة الأعلام في هذا التخصص الدكتور علي عبد الواحد وافي والدكتور كمال بشر والدكتور محمود السعران والدكتور رمضان عبد التواب والدكتور محمد حسن عبد العزيز وغيرهم من أساتذتنا الذين اهتموا بهذا الفرع من العلوم الإنسانية.

والله العلي القدير أسال أن أكون قد وفقت فى هذا، وأن تكون هذه المحاضرات سببا في رغبة الطلاب في الاستزادة من هذا العلم وفروعه.

والحمد لله أولا وآخرا.

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

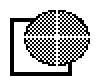
صدق الله العظيم

(سورة النساء، آية ١١٣)

القسم الأول

اللـغـة

Language



الوحدة الأولى

أنظمة اللغـة ورموزها

الأهداف:

بعد دراسة هذه الوحدة؛ ينبغي أن يكون الدارس قادراً على أن:

١- يعرف مفهوم اللغة وأبرز تعريفاتها القديمة والحديثة.

٢- يحدد أنظمة اللغة؛ الصوتية والصرفية والنحوية والكتابية والدلالية.

٣- يقارن بين الأنظمة من حيث الخصائص.

٤- يطبق هذه الأنظمة على الاستعمالات اللغوية ومبلغ تأثيرها.

٥- يفرِّق بين دراسة الأنظمة قديما وحديثا، وبين التعريفات القديمة والحديثة، وبين خصائص لغة الإنسان والحيوان.

٦- يعرف الرموز وأقسامها، وبخاصة الرموز اللغوية.

العناصر:

أولاً- اللغة: تعريفات اللغة:

١- النظام الصوتي.

٢- النظام الصرفي.

٣- النظام الكتابي.

٤- النظام النحوي.

٥- النظام الدلالي.

ثانيًا- اللغة رموز.

الكلمات المفتاحية:

النظام الصوتي- الصرفي - الكتابي – النحوي – الدلالي - الأنفية (الغنَّة)- الاحتكاك – المجهور – الدلالة - الدلالة الصوتية - رموز لمسية - الاشتقاق – التصريف- الصرف (الصيغة)- الصوامت – الأصوات - الصوائت (الحركات) – الانفجار - المقاطع – الكتابة - اللغات – الألسنة - مَلَكة صناعية – النحوي (التركيب) - النبر - التنغيم - المهموس.

أولا- اللغة نظام:

تعريفات اللغة:

إذا أردنا تحديد مفهوم اللغة، فالسبيل إلى هذا استعراض التعريفات التي قدمها علماء اللغة، ومن خلال استقرائها نستطيع أن نصل إلى مفهوم دقيق للغة يكون أكثر قبولا مما لو اعتمدنا على تعريف واحد، وسوف نقوم بتحليل كل تعريف إلى مكوناته الأساسية، وهي التي سينبني عليها مفهوم اللغة الإنسانية وبيان خصائصها.

من أهم التعريفات التي قدمت لتحديد مفهوم اللغة ما يأتي: -

١- ابن جنى: «حد اللغة: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم».

❖ اللغة = أصوات + إنسانية (قوم) + وظيفة (يعبر).

٢- ابن خلدون: «اللغة في المتعارف عبارة المتكلم عن مقصوده»

«اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعات».

❖ اللغة = مَلَكة (صناعة) + وظيفة (عبارة المتكلم عن مقصوده).

٣- معجم علم اللغة النظري: «اللغة: نظام صوتي أساسا يتكون من رموز اعتباطية يستعمله أفراد جماعةٍ ما لتبادل الأفكار والمشاعر».

❖ اللغة = نظام صوتي أساسا + رموز + عرفية (اعتباطية) + إنسانية + اجتماعية + وظيفة.

٤- سابير: «اللغة وسيلة غير غريزية، وإنسانية تماما لإيصال الأفكار والعواطف والرغبات عن طريق نظام من الرموز المؤداة اختياريا».

❖ اللغة = مكتسبة + إنسانية + وظيفة + نظام + رموز + عرفية (اختياريا).

٥- دي سوسير: «اللغة نتاج اجتماعي لملكة اللسان ومجموعة من التقاليد الضرورية التي يتبناها مجتمع ما ليساعد أفراده على ممارسة هذه الملكة».

❖ اللغة = نظام + ملكة + اجتماعية.

٦- سيمون بوتر: «اللغة: نظام عُرفي من الرموز الصوتية تستخدمه جماعة لغوية معينة بهدف الاتصال».

❖ اللغة = نظام + عرفية + رموز + صوتية + اجتماعية + وظيفة.

بالإفادة من كل التعريفات السابقة يتحصل لنا منها مجموعة صالحة من خواص اللغة – من حيث هي لغة – وتستطيع هذه الخواص مجتمعة أن تحدد مفهوم اللغة الإنسانية، وهذا بيانها:

١- اللغة نظام (صوتي أساسًا).

٢- اللغة رموز.

٣- اللغة عرفية.

٤- اللغة إنسانية.

٥- اللغة ملكة (مكتسبة).

٦- اللغة اجتماعية.

٧- اللغة لها وظيفة.

وفيما يلي سنتناول بالشرح والبيان والتفصيل كلَّ خاصة من خواص هذه اللغة التي يتكلم بها البشر على اختلاف ألسنتهم وألوانهم.

تقدم قولنا إن اللغة عبارة عن أصوات، هذه الأصوات نستطيع عن طريقها تنظيم علاقاتنا مع الغير، والتعاون فيما بيننا على فهم هذا العالم وعلى الحياة فيه، ونستطيع بوساطتها أن نعبر عن مشاعرنا، إلى غير ذلك من وظائف اللغة. لكن هذا كله لا يتم عن طريق استخدام الأصوات المفردة (أ ب ت ث...)، إنما يتم بـ:

١- انتظام مجموعة معينة من الأصوات لتكوّن فيما بينها ما يسمى «بالكلمة» نحو:

الهمزة + الفتحة + الخاء + الفتحة + الذال + الفتحة = أخذ.

فهذه الكلمة تدل على معنى معين نعرفه، فإذا لم نكن نعرفه فإننا نستدل عليه بالسياق، أو بالرجوع إلى المعاجم إذا وُجِدت.

٢- تنتظم تلك الكلمة مع غيرها لتكون ما يسمى جملة نحو:

أخذ الطالبُ الكتابَ:

وهذا الانتظام تم بناءً على قواعد معينة تفرضها اللغة تحدد كيفية ترتيب هذه الكلمات وكيفية التعامل معها.

ومن ملاحظة هذه الجملة يتبين لنا عدد الأنظمة التي أسهمت في تكوينها، فقد أخذنا من الأصوات المفردة (أخ ذ + حركاتها)، وكونا منها كلمة، هذه الكلمة راعت نظام الكتابة العربية؛ إذ كُتبت الهمزة على الألف، ثم ضممنا هذه الكلمة إلى غيرها لتكوين جملة، ولكلٍّ من الكلمة المفردة والجملة دلالة جعلتها صالحة للتداول في المجتمع، فأنظمة اللغة إذًا هي:

١- النظام الصوتي (الأصوات المفردة).

٢- النظام الصرفي (الكلمة).

٣- النظام الكتابي.

٤- النظام النحوي (الجملة).

٥- النظام الدلالي (المعنى).

وفيما يلي بيان لدور كل نظام في تكوين اللغة، ونشير إلى أمرين مهمين:

أولاً- نعتمد على أمثلة من اللغة العربية، وهذه الأنظمة التي نشير إليها هنا موجودة في كل لغات البشر، والاختلاف فقط يقع في بعض فروع هذه الأنظمة، أو في غياب عنصرٍ ما في لغةٍ ما، وظهوره في لغةٍ أخرى، أو قد يكون العنصر اللغوي موجودًا في لغتين لكنه يعامل معاملة مختلفة في كل نظام، فصوت التاء موجود في العربية والإنجليزية، لكن نطقه مختلف في اللغتين، وقُلْ ذلك عن صوت الراء في العربية والفرنسية.

ثانيًا- أن هذه الأنظمة تتكامل فيما بينها لتكوين رسالة لغوية مفهومة، وهي أنظمة تعمل متداخلة بطريقة يصعب الفصل فيها بين دور كل نظام وباقي الأدوار، بل إن هناك قواعد لا نستطيع نسبتها إلى نظامٍ بعينه، فنقوم بنسبتها إلى النظامين معًا، فنقول مثلًا إنها قاعدة صوتية صرفية، كقواعد الإعلال والإبدال مثلًا، أو قاعدة صرفية نحوية، كقاعدة حذف الياء من الاسم المنقوص، وهكذا.

١- النظام الصوتي:

يستطيع جهاز النطق الإنساني أن ينطق عددًا يكاد يكون غير محدود من الأصوات، غير أن كل لغة من لغات الأرض تستخدم عددًا محدودًا من الأصوات، ويقع الاختلاف بين اللغات في مجال الصوت المفرد، فبعض اللغات تشمل أصواتا لا تستخدمها لغات أخرى، والعكس صحيح فالعربية مثلا لا

تستخدم الأصوات V، G، J، P، التي تستخدمها اللغة الإنجليزية، وفي المقابل لا تستخدم هذه اللغة الأصوات ح، خ، ع، غ التي تستخدمها العربية.

وطبقا للنظام الصوتي للغة تُقسَّم الأصوات عدة تقسيمات؛ أهمها:

التقسيم الأول- الصوائت والصوامت:

أما الصوائت vowels (هي الحركات الطويلة والقصيرة كالألف والياء والواو) فتنتج عندما يمر الهواء الخارج من الرئتين عبر القصبة الهوائية، ويصل إلى الحنجرة، وفيها الوتران الصوتيان فيتذبذبان، ثم يتابع الهواء سيره دون أن يعترض سبيله أي عائق إلى أن يصل إلى الفم، فيتخذ اللسان أوضاعا مختلفة كما تتخذ الشفتان أشكالا مختلفة، فيختلف الصائت الخارج في كل حالة.

هذه الصوائت هي ما يشار إليه في العربية بـ «حروف المد واللين» أى الألف وواو المد وياء المد كما في الكلمات الآتية:

الألف فى: ساد، دعا، رمى.

الواو فى: نور، قالوا.

الياء فى: رضيع، ساعي.

وهى صوائت طويلة، يقابل كلا منها صائت قصير (ويسمى حركة قصيرة وهى: الفتحة والضمة والكسرة).

فالعربية إذن تستخدم ستة صوائت أساسية، ثلاثة منها طويلة وثلاثة قصيرة.

أما الصوامت consonants: فتحدث عندما يعترض سبيل الهواء الخارج من الرئتين عائق، وتشمل نسبة كبيرة من النظام الصوتي، وتستخدم العربية ثمانية وعشرين صوتا صامتا هى أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ (و ي فى غير حالة المد[حَوْض/بَيْت]).

التقسيم الثاني- من حيث ذبذبة الأوتار الصوتية:

ففى الحنجرة يقع الوتران الصوتيان، ويتخذان أوضاعا مختلفة.

- فقد تتسع المسافة بينهما فيمر الهواء دون إحداث أي اهتزازات بهما، والصوت الذى يخرج بهذه الطريقة يسمى" مهموسًا "، وهذا يحدث مع مجموعة من الأصوات منها: س ش ص ف ق ك.
- وقد تضيق المسافة بينهما، فإذا مر الهواء بينهما فإنهما يهتزان أو يتذبذبان فينطق الصوت مصحوبا بتلك الذبذبة. والصوت الذي يخرج بهذه الطريقة يسمى «مجهورًا» وهذا يحدث مع مجموعة من الأصوات منها: د ذ ر ز، ل م ن وى.
- وقد ينطبق الوتران الصوتيان انطباقا تاما فلا يسمحان بمرور الهواء مما يكون سببا في قطع النفس، ثم ينفرجان مرة واحدة فيخرج الهواء دفعة واحدة، والصوت الذى يخرج بهذه الطريقة صنف ثالث لا هو بالمهموس ولا هو بالمجهور، والعربية تستخدم صوتا واحدا يخرج بهذه الطريقة هو صوت الهمزة(١).

التقسيم الثالث- من حيث ممر الهواء:

وهو تقسيم مبنى على درجة الإعاقة التي تحدث للهواء المُحَمَّل بالصوت:

- فقد تكون الإعاقة تامة بحيث يغلق ممر الهواء إغلاقا تاما بواسطة عضوين من أعضاء النطق (أو أكثر)، ولا ينطق الصوت إلا بفتح ممر الهواء مرة واحدة فيخرج الصوت عن طريق هذا «الانفجار». ومن الأصوات التى تخرج بهذه الطريقة في اللغة العربية أ ب ت، د ط ق ك.

وقد تكون الإعاقة جزئية بمعنى أن عضوي النطق هنا لا ينطبقان انطباقا تاما بل يتقاربان، فيضيق ممر الهواء بينهما ومن ثَمَّ يخرج هواء الصوت محتكًا

(١) بعضهم يصف الهمزة بأنها مهموس ولا مجال هنا لشرح هذا الخلاف .

بهذين العضوين، فيخرج الصوت عن طريق هذا (الاحتكاك)، ومن الأصوات التى تخرج بهذه الطريقة في العربية ح خ ز س ش ص ع غ ف.

وهناك أشكال أخرى من الإعاقة يمكن أن تراجع في كتب علم الأصوات؛ منها مثلا أن يغلق ممر الهواء إغلاقًا تامًّا فلا يخرج الهواء من الفم، لكنه يخرج من الأنف، وبهذه الطريقة يخرج صوت الميم، وكذلك النون الأنفية (الغنَّة).

التقسيم الرابع- من حيث المخارج:

وهو تقسيم ينبني على المكان الذى تحدث فيه العملية السابقة، وهى الإعاقة.

- فإذا كان مكان الإعاقة الشفتين فالصوت شفوي، كالباء والميم.
- وإذا كانت الإعاقة في اللثة فالصوت لثوي كالراء واللام والنون.
- أما إذا كانت الإعاقة عند اللهاة وأقصى اللسان فالصوت لهوي كالقاف.
- وإذا كانت الإعاقة في الحنجرة فالصوت حنجري كَالهمزة. وهكذا.

وباستطاعة المتكلم العربي أن يركِّب من ذلك العدد المحدود من الأصوات أعدادًا ضخمة للغاية من المفردات، ويتم ذلك بعدة طرق أهمها:

١- المخالفة بين الصوامت، نحو:

صاب، صات، صاح، صاد، صار، صاع، صاغ، صال، صام، صان.

تجد هذه الكلمات قد اتفقت في الصاد والألف، لكنها اختلفت في الصوت الأخير، فنتج عن هذا التبديل هذا الاختلاف في الكلمات، وسيترتب على ذلك بالطبع اختلاف الكلمات المأخوذة من هذه الأفعال، لكن ذلك سيأتي عن طريق النظام الصرفي للغة.

٢- المخالفة بين ترتيب الصوامت، نحو:

عرب، عبر، ربع، رعب، برع، بعر.

تجد هنا أن الصوامت المكونة لهذه الكلمات واحدة، وهي: العين والباء

والراء، لكنها في كل مرة اتخذت ترتيبًا مختلفًا، ولو رمزت لحرف العين بالرقم(١)، ولحرف الباء بالرقم (٢)، ولحرف الراء بالرقم (٣)، فإنك تستطيع أن تبدِّل في الأماكن فينتج لديك ست صور. وليس شرطًا أن تُسْتَخْدم كلها في اللغة، فقد يُسْتعمَل بعضها، ويُهْمَل بعضها الآخر. وقِسْ على ذلك (جرح ـ جحر ـ حجر ـ حجر ـ رجح ـ رحج).

٣- المخالفة بين الحركات، نحو:

كَتَبَ، كُتِبَ، كَتْب، كُتُب: فهذه الكلمات تتفق في أنها مكونة من ثلاثة صوامت معينة (ك ت ب)، ومع ذلك هي مختلفة، وجاء الاختلاف بسبب تغيير الحركات (الفتحة ـ الضمة ـ الكسرة)، وقِسْ على ذلك (عِلْم ـ عَلَم ـ عَلِمَ ـ عُلِمَ).

٤- زيادة الصامت أو حذفه:

وهما وجهان لعملة واحدة، فكلمتا: عيد سعيد.

إن قلت: حُذِفت السين من سعيد، فالنتيجة: عيد.

وإن قلت: زادت السين على عيد، فالنتيجة: سعيد.

فأنت في كلا التعبيرين تصف حالة واحدة لها وجهان، وعلى هذا يسير كثير من الكلمات: لاحظ مثلا:

بعر: بعجر / حرج : دحرج

عثر: بعثر/ طير: خطير

ريم : كريم/ ريح : صريح

***

ولا يشمل النظام الصوتي فقط عملية تصنيف الأصوات السابقة، بل يشمل أمورًا أخرى، منها مثلا:

١- أنواع المقاطع (syllables) في اللغة والتركيب المقطعي للكلمات.

٢- النبر (stress).

٣- التنغيم (intonation).

٤- التغير الصوتي فى الكلمة المعروف بقواعد الإعلال والإبدال.

٥- قواعد التركيب الصوتي للكلمة التي تبيح تجاور أصوات معينة أو اجتماعها، وتمنع تجاور أصوات أخرى أو اجتماعها وغيرها مما يتكفَّل به النظام الصوتي للغة.

٢- النظام الصرفي:

تكمن الأهمية الكبرى للنظام الصوتي في أنه الخطوة المؤدية للنظام الصرفي، وإذا كان النظام الأول خاصًّا بالأصوات المفردة وطريقة تركيبها، فإن النظام الثاني يختص بالكلمة المفردة وكيفية التعامل معها.

وينبني النظام الصرفي على مجموعة من الأمور؛ أهمها:

١- تصنيف المفردات:

هنا يتم تصنيف المفردات وفقا للأجناس الصرفية الكبرى بناء على قواعد صرفية معينة، وذلك كتقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف، وتقسيم الفعل إلى ماض ومضارع وأمر، وإلى لازم ومتعدٍّ، وصحيح ومعتل، وكذلك تقسيم الاسم إلى مذكر ومؤنث، وصحيح ومقصور ومنقوص وممدود، ومفرد ومثنى وجمع، إلى آخر ذلك من تصنيفات تختلف من لغةٍ إلى أخرى. وهذه التقسيمات مهمة جدًّا؛ إذ سيترتَّب عليها تحديد نوع التعامل مع هذه الكلمة على مستوى التغييرات الصرفية، بل على مستوى النحو كذلك؛ فعلى سبيل المثال: تصنيف كلمة (محامي) على أنها: اسم منقوص يترتب عليه أمور منها:

(أ) أمر صرفي وهو: حذف الياء عند جمع الكلمة جمع مذكر سالمًا:

محامي ← محامُون

(ب) أمر صرفي نحوي وهو: حذف الياء إذا كانت الكلمة مرفوعة أو

مجرورة، مجردة من (ال) والإضافة:

جاء محامٍ / وثقتُ بمحامٍ.

٢- ضبط المفردات:

النظام الصرفى أيضًا يحدد طرق ضبط المفردات، أفعالًا وأسماءً.

- فيحدد للفعل الثلاثي المجرد بصفة عامة ستة أبواب يأتي عليها، ويحدد المعجم للفعل المعين بابه، أو أبوابه التي يأتي عليها، فـ «ضَرَبَ» مضارعها يأتى على يَضْرِب و«فَتَحَ» مضارعها «يَفْتَح» و«عَلِم» مضارعها «يَعْلَم».
- كما يحدد حركة حرف المضارعة فينصّ على أنها تفتح دائما إلا أنها في الفعل الرباعي تُضَمّ، ولذلك يأتي مضارع: ضَرَبَ: يَضْرِب، أم (أضربَ) فإن مضارعها يأتي بضم الياء: (يُضْرِب)
- كما يحدد حركة همزة الوصل مع الفعل، فهي مثلا مضمومة في أمر الثلاثي مضموم العين نحو: أُدْخُل - أُذْكُر، ومكسورة فى نحو: اِنطلِق - اِستخرِج.

٣- طرق الاشتقاق والتصريف:

- فاسم الفاعل يؤخذ من الفعل الثلاثي على وزن «فاعل» ومن غير الثلاثي بإبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وكسر ما قبل الآخر.

* خرجَ ← خارِج * أخرج ← مُخْرِج.

أما اسم المفعول فيشتق بطريقة مختلفة وكذلك المصدر واسم التفضيل والصفة المشبهة وصيغة المبالغة، إلى آخر ذلك من الصيغ التي تُشْتَقّ من الفعل بطرق مخصوصة يحددها النظام الصرفي الخاص باللغة المعينة، وهو نظام يختلف من لغة إلى لغة، أو بمعنى أدق من فصيلةٍ لغوية إلى أخرى.

– وكذلك الفعل له طرق خاصة في التصريف، فيحدد النظام الصرفي كيفية مجيء الفعل الماضي، والمضارع والأمر، والفعل المبني للمجهول، وطرق التعدية للفعل، وأوزان الفعل المزيد ومعاني صيغ الزيادة ... وهكذا ويمكن التمثيل هنا بالقواعد الصرفية التي تتبع لأخذ فعل الأمر من الفعل المضارع (يَضْرِبُ):

(١) قاعدة صرفية: حذف حرف المضارعة: يَضْرِبُ ← ضْرِبُ.

(٢) قاعدة صوتية صرفية: المجيء بهمزة وصل مكسورة: ضْرِبُ ← اِضْرِبُ.

(٣) قاعدة نحوية: بناء فعل الأمر على السكون: اِضرِبُ ← اِضْرِبْ.

٣- النظام الكتابي:

بعد أن أتممنا بناء الكلمة من أصوات عربية، ووضعناها في قالب عربي مقبول، فهل أصبحت الكلمة الآن صالحة للتداول في المجتمع ؟

إذا كان الأمر خاصا بالنطق، فقد انتهى بالفعل بناء الكلمة شكلا.

أما إذا كان الأمر خاصا بالكتابة، فإن كثيرا من الكلمات يبقى ناقصا، ولابد من النظر إليه في ضوء النظام الكتابي للغة العربية.

- هذا النظام يحدد لك عدد حروف الألفبائية العربية، وطريقة رسم كل حرف منها، وتصبح الزيادة على هذه الحروف خروجا عن نظام العربية، وكذلك الخروج عن طريقة رسمها.
- وهو الذي يحدد لك كيف ترسم الهمزة: (أ ـ ئـ ـ ء ـ ؤ....) (سأل، سائل، تساءلَ، تساؤل).
- وهو الذي يحدد لك كتابة الألف (سعى ـ دعا // عصا ـ أذى).
- وهو الذي يحدد لك كتابة (مائة: بألف لا تنطق، ، عمرو: بواو لا تنطق).

- وهو الذي يحدد لك كتابة (هذا: دون ألف مع أنك تنطقها، وكذلك، ولفظ الجلالة الله ــ وكلها دون ألف مكتوبة مع أنك تنطقها).
- وهو الذي يحدد كتابة اللام في (الذين) و(اللذين) بشكلين مختلفين على الرغم من أن النطق واحدٌ.
- وتقوم الكتابة في غياب التشكيل بدور مهم في التفريق بين دلالات الكلمات ومعرفة موقعها النحوي، لاحظ الأمثلة الآتية:

أ) يأخذ ـ يؤخذ: الفعل الأول مبني للمعلوم، والثاني مبني للمجهول، وذلك بسبب كتابة الهمزة، رغم غياب التشكيل، وكذلك (سأل ـ سئل)

ب) برأ ـ برئ: الفعل الأول بمعنى خلقَ، والثاني بمعنى شُفي من مرضه، أو تخلَّص مما يسيء إليه، أو ظهرت براءته.

ج) ساءَلَ ـ سَائِلْ: الفعل الأول فعل ماضٍ، والثاني فعل أمر، أو ربما يكون اسمًا وليس فعلًا.

د) زملاؤهم ـ زملاءهم ـ زملائهم: الأول لا يكون إلا مرفوعًا، والثاني لا يكون إلا منصوبًا، والثالث لا يكون إلا مجرورًا، والدليل في تحديد ذلك هو كيفية رسم الهمزة.

هـ) يحيا ـ يحيى: الأول فعل مضارع، والثاني اسم شخص.

و) كتابه ـ كتابة: الأول كلمة كتاب مضافة إلى ضمير الغائب (ه)، والثاني مصدر للفعل (كتب).

٤- النظام النحوي:

بعد أن تكوِّن الأصواتُ كلماتٍ، تبدأ الكلمات بدورها تكوين جمل، لكن هذا التكوين يسير وفق نظام محدد، ومن الطبيعي أن تختلف اللغات في بعض جزئيات هذا النظام، غير أن هناك فى الوقت نفسه كليات لغوية تشترك فيها كل لغات الأرض، وعلى كل حال لا بد لكل لغة من نظام نحوي مسئول عن طريقة

بناء الجمل. وفي اللغة العربية يلزمنا النظام النحوي بمجموعة من الأمور، منها:

- أن لكل موقع علامة إعرابية خاصة به، وقد يشترك أكثر من موقع في علامة واحدة.

فالفاعل ونائبه والمبتدأ والخبر: كلها تشترك في الرفع الذي يكون بالضم أو بما ينوب مكانها من علامات الإعراب الفرعية.

والمفعول واسم إن وخبر كان والحال والتمييز: كلها تشترك فى النصب الذي يكون بالفتحة أو ما ينوب عنها من علامات الإعراب الفرعية.

- ومنها أن الجمل قد تكون فعلية وفي هذه الحالة تتكون من فعل وفاعل إذا كان الفعل لازما، فإذا كان متعديا فإنه يحتاج مفعولا به أو أكثر وفقًا لنوع الفعل والسياق.

وقد تكون الجملة اسمية وفي هذه الحالة تتكون من مبتدأ له صفات معينة، ومن خبر له صفات أيضا، وله أنواع وأشكال يأتي عليها.

وهناك مكملات لكل من النوعين كالمفعول المطلق والمفعول لأجله والحال والظرف، يقوم النظام النحوى بتحديدها وتحديد صفاتها.

- كما يحدد النظام النحوى للغة العربية – وفي غيرها بالطبع - قواعد المطابقة التى تسير عليها اللغة:

- فلا بد من المطابقة بين المبتدأ والخبر في التذكير والتأنيث أو العدد وكذلك بين الحال وصاحبه، أما بين الصفة والموصوف فيضاف إلى ذلك التنكير والتعريف.

- كما أن هناك نظاما خاصا يحكم المطابقة بين الفعل والفاعل (أو نائب الفاعل).

فهي أحيانا ممتنعة، وأحيانا واجبة، وأحيانا جائزة، على نحو مفصل في النظام النحوي للغة.

وفي السطور القادمة نجري حوارًا نحويًّا حول جملة:

لم يحبُ الولدُ.

١) الجملة تتكون عن طريق ضم الكلمات المفردة بعضها إلى بعض:

فيقال مثلا: لم يحبُ (من الحبو) الولدُ، وهذا الضم تم وفقا لقواعد الضم في اللغة العربية التي ينظمها «علم النحو» :

فـ (لم): تنضم إلى الفعل المضارع فقط وليس إلى أي أفعال أخرى.

والفعل (يحبُ): جاء بعدها مجزوما، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، كما تقضي قوانين الإعراب في اللغة العربية، ثم إنه يحتاج إلى فاعل يمكن دلاليا أن يقوم بالحدث.

ومن ثم انضم إلى «الولدُ» التي جاءت مرفوعة لأنها فاعل، وكانت علامة الرفع هي الضمة كما تقضي قوانين الإعراب.

ولأن الفاعل (الولد) مذكَّر، فقد جاء الفعل خاليا من علامة التأنيث، بخلاف لو جاء الفاعل (البنت) مثلا؛ فلابد من مجيء الفعل بتاء التأنيث في أوله، فيقال: لم تَحبُ البنتُ.

والنتيجة لتطبيق كل ما سبق: لم يحبُ الولدُ.

٢) أي اختلال في قواعد «الضم» يؤدي إلى جمل غير مفهومة، وخاطئة:

فجملة: " لمْ الولدُ يحب " × خطأ رغم أن مفرداتها صحيحة في ذاتها، إلا أنها خالفت قواعد " الضم " فدخل الحرف " لم " على الاسم، وهو مختص بالدخول على الأفعال.

٣) قواعد الضم تعطي لك أحيانًا اختيارات، لكنها اختيارات مقننة أيضًا، وليست مطلقة، فنستطيع في هذه الجملة أن نقول: الولدُ لم يحبُ، وهي صحيحة، إلا أننا غيرنا نمط الجملة من فعلية إلى اسمية، وإن كان

بعض الباحثين يرون أنها مازالت جملة فعلية، وليس هنا مجال مناقشة ذلك. وتأكيدًا لهذه الفكرة وتوضيحًا لها لاحظ الجمل الآتية:

- جملة (إنك كريمٌ) ": ليست لديك اختيارات. لإعادة ترتيب الجملة، إلا إذا غيرتَ في علاقات الجملة والتنازل عن بعضها؛ بأن تقول: كريمٌ أنتَ، فقد قدمت " كريم " وبدأت بها الجملة رغم أنها نكرة، وحوَّلت الضمير المتصل إلى ضمير منفصل: كَ ← أنتَ، ثم إنك تخليت عن التأكيد بتخليك عن " إنَّ "
- جملة (محمدٌ قام) لك أن تقول: قام محمدٌ، لكن الأولى اسمية والثانية فعلية.
- جملة (نصادف أحيانا بعض الصعاب) جملة صحيحة، ويمتلك المتكلم **عدة خيارات؛ بعضها صحيح وبعضها خطأ، على النحو الآتي:**

* نصادف بعض الصعاب أحيانا (ص = صحيحة).

* أحيانا نصادف بعض الصعاب (ص).

** بعض أحيانًا نصادف الصعاب (خ= خطأ).

** الصعاب نصادف أحيانا بعض (خ).

** الصعاب بعض نصادف أحيانا (خ).

فالمجتمع اللغوي يقبل الاختيارات الأولى (ص)، أما الثانية (خ) فإنه لا يقبلها بأية حال لأنها خالفت قواعد " الضم " التي تُستمَدّ من النظام النحوي للغة، كما أن أُذن المجتمع العربي ألِفتها، ومن ثَمَّ تتعطل عملية التواصل.

٤) أي تغيير في بناء الجملة يغير من معناها ـ أو لا يجعل لها معنى كما ذكرنا ـ لاحظ ما يأتي:

- أكرم مصطفى مرتضى: المعنى يمنعك من أن تقدم أو تؤخر أيًّا من

مصطفى أو مرتضى، فالتبديل يؤدي إلى تغيير المعنى؛ لأن المتقدم منهما لا بد أن يكون الفاعل. وهذا النمط شائع في لغة اليوم؛ إذ إنها لغة غير مشكولة في الغالب، ولذلك فإن المتقدم لا بد أن يكون هو الفاعل دائمًا والمتأخر هو المفعول دائمًا، إلا إذا حمل أحد العنصرين علامة تميزه، كأن يكون معربًا بعلامة فرعية (جمع المذكر السالم، والمثنى مثلا).

- رغبتُ في ـ رغبت عن: اختلاف حرف الجر جعل المعنى مختلفًا؛ الأول أحببت، والثاني كرهت (أو رفضت).
- أنت ناجحٌ ـ أنت الناجحُ: الجملة الأولى تعني أنك ناجحٌ ولا تنفي نجاح آخرين، أما الجملة الثانية وبسبب وجود (ال) التعريف، فإنها تعني أنك أنت الناجح وليس (الآخر).
- يا معلِّمُ ـ يا معلِّمًا: النداء الأول لمعلم محدد تتوجه إليه بالحديث (نكرة مقصودة)، والنداء الثاني لأي معلم، لا يُقْصَدُ به شخص محدد.

٥- النظام الدلالي:

تستطيع أن تقرر أن الوصول إلى الدلالة هو مقصد كل الأنظمة السابقة، فالدافع الغالب إلى الكلام هو وجود معنى نريد التعبير عنه، ومن ثم نبدأ الرحلة من الأصوات إلى المفردات إلى الجمل التي يجب أن تكون متوافقة في النهاية مع ما نريد التعبير عنه من دلالات، لهذا فنحن لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن اللغة تلجأ في نظامها الدلالي إلى الاعتماد على معطيات الأنظمة الأخرى، فلكي يحدد الشخص معنى الحدث الكلامي لابد أن يقوم بملاحظات تشمل الجوانب الآتية:

أولاً- ملاحظة الجانب الصوتي:

الذي قد يؤثر على المعنى، مثل وضع صوت مكان آخر، ومثل التنغيم والنبر والتفخيم والترقيق.

فكلمة (تنضخ) كما يحدثنا كثير من اللغويين القدماء تعبر عن فوران السائل فى قوة وعنف، وهي إذا قورنت بنظيرتها «تنضح» التي تدل على تسرب

السائل في تؤدة وبطء، يتبين لنا أن صوت الخاء في الأولى له دخل في دلالتها، فقد أكسبها في رأي اللغويين القوة والعنف. وعلى هذا فالسامع يتصور بعد سماعه كلمة «تنضخ» عينا يفور منها الماء فورانا قويا عنيفا.

يقترب من هذا أيضا طريقة الأداء الصوتي التي يلجأ إليها بعض الملقين الجيدين؛ إذ توحي طريقة نطق اللفظ بدلالته كما ينطق أحدهم عبارة «تقادم عهده» بمد الصوت بالألف مدا زائدا مع خفض الصوت، مما يوحي فعلا بالقِدَم، أو أن ينطق أحدهم لفظ «أبكى» بطريقة توحى بأنه يبكي فعلا.

هناك إذًا نوع من الدلالة يُستمد من طبيعة الأصوات، وقد أطلق عليها الدكتور إبراهيم أنيس اسم: الدلالة الصوتية.

ومن مظاهر هذه الدلالة الصوتية «النبر»، فقد تتغير الدلالة بتغير موقعه فى الكلمة، فبعض الكلمات الإنجليزية تستعمل " اسما " إذا كان النبر على المقطع الأول منها، فإذا انتقل النبر إلى مقطع آخر من الكلمة أصبحت" فعلا " مثل Project [(١)] إذ هى اسم إذا وقع النبر على المقطع الأول prodjekt´ وهى فعل إذا وقع النبر على المقطع الثانى Pro´djekt مثلها تماما progress[(٢)].

ومن مظاهر الدلالة الصوتية التنغيم وله دور مهم فى اللغة، ففي بعض اللغات ـ كاللغة الصينية ـ قد يكون للكلمة الواحدة أكثر من دلالة لا يفرق بينها إلا اختلاف النغمة فى النطق.

وفي لغتنا الفصحى يقوم التنغيم بدور كبير في بيان دلالة الألفاظ، فإن أسلوب الاستغاثة في النحو العربي لا يمكن تصوره إلا منطوقا بنغمة معينة تحمل إلى السامع معنى الاستغاثة.

كذلك فإن التنغيم هو الذي يقوم مقام أداة الاستفهام في حالة الاستفهام بدون

---

(١) عَرْض – عَزْم (عَرَضَ – عَزَمَ)، و Prodjekt مكتوبة بالكتابة الصوتية.
(٢) تقدُّم (تقدَّم).

أداة فإن جملا مثل:

محمد جاء // محمد ناجح // عندك مال

قد تكون جملا خبرية، وقد تكون جملا استفهامية، والذي يحدد دلالتها هو اختلاف التنغيم في كلٍّ.

كذلك يقوم التفخيم والترقيق بدور كبير في التفريق بين المعانى في نحو:

(طاب: تاب – صاد: ساد – ضل – دل).

وهذا الأمر ملحوظ أيضًا في العامية، فالذي يفرق بين دلالة (فرد = إنسان، ودلالة فرد = عدد) هو التفخيم والترقيق، وهو كذلك الذي يفرق بين «انفرد به» وانفرد = أفاض في الحديث (تبحبح)، كما أنه هو الذي يفرق بين «الرائد» في الجيش والشرطة وغيرهما، والجندي «الرائد» على بطنه في الحرب.

ثانيًا- دراسة التركيب الصرفي للكلمة:

لا بد أيضًا من بيان المعنى الذي تؤديه الصيغة الصرفية للكلمة، فلا يكفي لمعرفة معنى «استغفر» بيان معناها المعجمي المرتبط بمادتها اللغوية (غ ف ر) بل لابد أن يضم إلى ذلك معنى الصيغة، وهي هنا وزن (استفعل)، وهي مزيدة بالألف والسين والتاء التي تدل على الطلب، كما يُفهم من الصيغة أيضا الدلالة على الزمن، وهو هنا الزمن الماضى.

وفي جملة «لا تُصدِّقْه فإنه كذَّاب» تخيَّر المتكلم لفظ «كذَّاب» بدلا من كاذب؛ لأن الأولى جاءت على صيغة تفيد المبالغة، فكلمة (كَّذاب) تزيد في دلالتها على كلمة (كاذب)، وقد استمدت هذه الزيادة من تلك الصيغة المعينة، فاستعمال كلمة «كذَّاب» يمدّ السامع بقدر من الدلالة لم يكن ليصل إليه أو يتصوره لو أن المتكلم استعمل «كاذب».

ثالثًا- مراعاة الجانب النحوي:

أو الوظيفة النحوية لكل كلمة داخل الجملة، ولو لم يؤد تغيير مكان الكلمات في

الجملة (تغيير الوظيفة النحوية) إلى تغير المعنى ما كان هناك فرق بين قولك:

طارد الكلبُ القطَّ، وطارد القطُّ الكلبَ.

كذلك قد تتفق كلمات الجمل المتشابهة، ولكن يكون الاختلاف في توزيع المعلومات القديمة، وهي المعلومات التي يعرفها المستمع سلفًا، والمعلومات الجديدة، وهي المعلومات التي يود المتكلم إيصالها إلى المستمع، ويمكن تطبيق ذلك على الجملة الآتية، مع ملاحظة أننا وضعنا خطًّا تحت المعلومات التي نتوقع أن المستمع يعرفها، أما الجملة الفعلية، فلم نضع خطًّا تحت أي كلمة فيها، لأننا نظن أن المستمع لا يعلم شيئًا سلفًا، والمعلومات كلها تُعدُّ جديدة عليه : **مثل:**

الكتاب الضخم الغالي قد ضاع مني.

ضاع مني الكتاب الضخم الغالي.

الكتاب الذي ضاع مني هو الضخم الغالي.

الكتاب الغالي الذى ضاع كان ضخما.

الكتاب الضخم الذى ضاع كان غاليا.

وهكذا نرى أن المتكلم يغير في ترتيب عناصر التركيب وفقًا للدلالات التي يريد توصيلها.

رابعًا- بيان المعاني المفردة للكلمات: وهو ما يعرف باسم المعنى المعجمي.

- ومن الممكن أن يوجد المعنى المعجمي دون المعنى النحوي، وذلك في الكلمات المفردة، مثل: (كاتب – قارئ – رجل) دون أن تدخل في جملة، فإذا ما دخلت في جملة، فإن معناها النحوي سيتضح.

(فاعل ـ نائب فاعل ـ مبتدأ ـ خبر... إلخ).

- وقد يوجد المعنى النحوي دون المعجمي كما في الجمل التي ُتَركَّب من كلمات لا معنى لها مثل:

(القرطاعُ مرطنَ الساكَ) أو (القرعبُ شربَ البنعَ).

وما تحته خط لا وجود له في معاجم اللغة العربية، ومع ذلك تستطيع أن تعرب الجملتين (مبتدأ + خبر جملة فعلية [فعل + فاعل ضمير مستتر + مفعول به])

- بل من الممكن ألا يوجد للجملة معنى مع أن مفرداتها ذوات معان في نفسها، وذلك إذا كانت معاني الكلمات في الجملة غير مترابطة ولا متوائمة، مثل:
- المحامي أصدر حُكمًا بسجن القاضي (غير معقولة).
- كنت الأول في كل المراحل الدراسية (غير صادقة).
- كان القطار جائعًا فأكل لحمًا وشرب عصير البرتقال.

والحدود في هذا النوع ليست واضحة أو محددة، إذ المجاز يقبل كثيرا منها، وفي الشعر والنثر الحديثين استخدام واضح لكثير من أمثال تلك الجمل، وقد أطلق عليه «تراسل الحواس» فالقطار يمكنه أن يجوع ويغضب ويأكل ويشرب، والموت يضحك ويلعب ويصرخ، بل إن الجمل السابقة التى ضُرِبَت مثلا يمكن أن تفهم لو وضعت في إطار شعري أو نثر أدبي.

ومراجعة كثير من الشعر الحديث وبخاصة الشعر الحر كفيلة بأن تُخْرِجَ لنا مئات من الأمثلة الى لا تُفْهم بمجرد فهم معنى المفردات. ولعلّ هذا سببُ أساسي في غموض كثير من هذا الشعر.

كذلك يجب دراسة التعبيرات التي لا يعرف معناها بمجرد تفسير كل كلمة من كلماتها، والتي لا يمكن ترجمتها حرفيا من لغة إلى لغة، وذلك مثل البيت الأبيض في الولايات المتحدة، والكتاب الأبيض والكتاب الأسود، والكتاب الأخضر، ومثل «خضراء الدمن» للمرأة الحسناء في منبت السوء، و(Yellow pages) لدليل التليفون التجاري، إذ لا تترجم حرفيًا بأنها (الصفحات الصفراء).

ولا يتم الفهم إلا حين يقف السامع على كل هذه الدلالات، وليس معنى هذا

أن السامع على علم بالنظام الصرفي والنحوي في اللغة بالصورة المعقدة التى نراها في كتب النحاة، فنحن لا نفترض في السامع أن يكون قد اتصل أي نوع من الاتصال بعلوم اللغة من أصوات وصرف ونحو، بل يكفي أن يكون السامع قد عرف عن طريق التلقي والمشافهة في تجارب سابقة الفرق بين استعمال كلمتي «الكذَّاب» و«الكاذب»، وأن يكون قد تعود من المناسبات الكثيرة كيفية تكوين الجمل والربط الصحيح بين كلماتها.

ويكتسب أبناء اللغة كل هذه الدلالات عن طريق التلقي والمشافهة، ويتطلب هذا الكسب زمنا ليس بالقصير قبل أن يسيطر المرء على لغته القومية وتصبح أنظمتها بمثابة العادات الكلامية، يؤديها دون شعور بخصائصها، أو على الأقل دون أن يشعر بها شعور عالِم النحو والصرف.

ولا تلبث الدلالات الصوتية والصرفية والنحوية بعد المران الكافي أن تحل من المتكلم والسامع منطقة اللاشعور، يراعيها بطريقة تكاد تكون آلية دون جهد أو عناء كبير، وتلك هى المرحلة التى يعرِّفها اللغويون بالسليقة اللغوية.

أما الدلالات المعجمية للكلمات فتظل تحتل بؤرة الشعور، لأنها الهدف الأساسي في كل كلام، فيجب أن يكون المتكلم مدركا وواعيا بكل كلمة يختارها. ولذلك فنحن غالبا ما نتوقف عن إكمال الكلام ليس بسبب عدم القدرة على تركيب الجملة، بل بسبب عدم العثور على الكلمة المناسبة.

من كل ذلك يتضح لنا أن اللغة العربية لها نظامها الدلالي الخاص بها والذي تشترك في معظمه مع بعض اللغات الأخرى.

ثانيًا- اللغة رموز:

كما قلنا سابقا: الأصوات هي مادة اللغة، وهي أساس الانطلاق إلى تكوين الكلمات ومن ثَمّ الجمل.

هذه الأصوات لا تستخدم لذاتها، ولا أهمية لها في ذاتها، إنما تستخدم لما تدل عليه وترمز له، وأهميتها تنبع من ذلك، إذ الأصوات «رمز» يستعمله

الناس فيما بينهم للإيصال والتوصيل، فكلمة «قلم» أصوات القاف المفتوحة واللام المفتوحة والميم، إنما هى رمز يشير إلى آلة من آلات الكتابة على شكل مخصوص، وقيمتها اللغوية هي فيما تدل عليه.

«فالرمز مثير بديل يستدعى لنفسه الاستجابة التي قد يستدعيها الشيء نفسه».

فذكر كلمة «قلم» بديل ذهني عن وجود القلم ذاته، فلا يمكن أن يستحضر الناس كل الأشياء التي يتحدثون عنها ليشيروا إليها، كما أن هناك من الأمور ما لا تجسيد له كالحب والكُرْه والنجاح والفشل.

لذلك كان الحل في استعمال الرموز التى هي بديلٌ عن الأشياء المادية، ووصفٌ للأمور المعنوية.

وتنقسم الرموز إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي:

١- رموز سمعية: تُدْرَك بالأذن: نحو: سماع الجرس دليل انتهاء وقت «الحصة» أو بداية «الفسحة» وانتهاؤها في المدارس، وصافرة «الحكم» في المباراة، طويلةً: دلالة على تسجيل هدف، أو انتهاء المباراة، وقصيرةً دلالة على وقوع خطأ ما، أو سماع ثلاث دقات في المسرح دلالة على بداية العرض المسرحي، وكذلك السلام الجمهوري (أو الملكي) الخاص بكل دولة، وأخيرا رموز اللغة المنطوقة التي نسمعها ليل نهار.

٢- رموز بصرية: تُرَى بالعين، ومنها صورة فتاة مغمضة العينين تمسك ميزانا: رمزا للعدالة، واللون الأسود في معظم الأمم رمزا للحزن، وعلامة «٧» التي تصنع بالإصبعين السبابة والوسطى رمزا للانتصار، وعلم الدولة الذي تتخذه رمزا لها، والصور التي تتخذها الشركات الحديثة رمزا لها تضعه على بضائعها، ومنها الرموز التي يختارها

المرشحون في الانتخابات في مصر مثلًا، لكنها رموز متغيرة بطبعها، وتظل الملازمة بين الرمز والمرشحة فترة إجراء الانتخابات فقط، وبعدها ينتهي الأمر، وأخيرًا رموز اللغة المكتوبة التي نقرأها.

٣- رموز لمسية: تُدْرَك باليد ويمثلها نظام الكتابة بطريقة «بريل» الخاصة بفاقدي البصر.

ولنا على أنواع الرموز عدة ملاحظات، منها:

١) أن بعض هذه الرموز ينتمي إلى نوع واحد، مثل سماع الجرس، أو علامة (٧)، وبعضها يجمع بين نوعين مثل صفارة الحكم (رمز سمعي) إذ لا بد أن يكون معها (رمز بصري)، وهو إشارته إلى مكان ما من أرض الملعب.

٢) قد تتغير دلالة الرمز اللغوي المنطوق بسبب حركات بصرية مصاحبة له كالإشارة باليدين، أو بالوجه أو بالعينين، فتعطي الإشارة معنىً مضادًّا لما يعطيه الرمز. وهذا ما يحدث كثيرًا في اللغة.

٣) بعض هذه الرموز يمثل جزءا من منظومة مكونة من مجموعة رموز، يختص كل منها بدلالة خاصة؛ مثل علامات المرور، والإشارات البحرية، والطريقة التي يستخدمها الصم والبكم في التفاهم (يسميها بعضهم لغة).

٤) أن بعض هذه الرموز له صفة العالمية، أي تستخدمه كل دول العالم، مثل علامة النصر، ورفع الراية البيضاء دلالة على الاستسلام، وعلامة (×)، وصورة الجمجمة دلالة على الخطر، وبعضها محلي مثل الأسود دلالة على الحزن، وأعلام الدول، ورموز المرشحين، وشعارات الشركات والأندية والمؤسسات.

٥) أن اللغة تقع برموزها في الأنواع الثلاثة:

- فهي سمعية: لأنها أصوات.

- وهي بصرية: وذلك في شكلها المكتوب.
- وهي لمسية: في استخدام طريقة بريل.

وقد احتلت اللغة هذه المواقع بهذا الترتيب الزمني السابق، هي سمعية أولا، ثم أصبحت كتابية في مرحلة حضارية متقدمة، ثم أصبحت لمسية باختراع طريقة بريل.

ولعلك لاحظت أن اللغة بوصفها منظومة تحتوي مجموعة كبيرة من الرموز (الكلمات) لها دلالة. وهي أغنى الأنظمة الرمزية وأكثرها إيجازا في الوقت نفسه.

□

معجم مصطلحات الوحدة

- الأنفية (الغنَّة).
- الاحتكاك.
- المجهور.
- الدلالة.
- الدلالة الصوتية.
- رموز بصرية.
- رموز سمعية.
- الرموز اللغوية.
- رموز لمسية.
- الاشتقاق.
- التصريف.
- الصرف (الصيغة).
- الصوامت (consonants).
- الأصوات.
- الصوائت (الحركات) (vowels)
- الانفجار.
- المقاطع (syllables).
- الكتابة.
- اللغات - الألسنة (language).

- مَلَكة صناعية.
- النحوي (التركيب).
- النبر (stress).
- التنغيم (intonation).
- المهموس.
- الوتران الصوتيان.



ملخص الوحـدة الأولى

١- من أهم التعريفات التي قدمها العرب للغة :

ابن جنى: «حد اللغة: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم». ابن خلدون: «اللغة في المتعارف عبارة المتكلم عن مقصوده.

- ومن الغرب المحدثين : دي سوسير: «اللغة نتاج اجتماعي لملكة اللسان ومجموعة من التقاليد الضرورية التي يتبناها مجتمع ما ليساعد أفراده على ممارسة هذه الملكة».
- سيمون بوتر: «اللغة: نظام عُرفي من الرموز الصوتية تستخدمه جماعة لغوية معينة بهدف الاتصال».
- من أهم خواص اللغة الإنسانية، أنها :

١- نظام (صوتي أساسًا)، وأنها رموز عرفية مكتسبة من المجتمع، وأنها قدرة ميز الله بها الإنسان، وهي تقوم بوظائف عديدة.

٢- نظام مكون من عدة أنظمة تتكامل فيما بينها لتكوين رسالة لغوية مفهومة، وهي أنظمة تعمل متداخلة بطريقة يصعب الفصل.

٣- هذه الأنظمة هي النظام الصوتي والصرفي والنحوي والكتابي والمعجمي والدلالي.

٤- أما النظام الصوتي فيتم تقسيم الأصوات فيه إلى صوامت وصوائت.

٥- تم تقسيم الأصوات من حيث ذبذبة الأوتار الصوتية، ومن حيث ممر الهواء، ومن حيث المخارج.

٦- وفي النظام الصرفي تم تصنيف المفردات وفقا للأجناس الصرفية وطرق الاشتقاق والتصريف، ومواضع ارتباط الأصوات بالصرف.

٧- وفي النظام الكتابي يقوم بدور مهم في التفريق بين دلالات الكلمات

ومعرفة موقعها النحوي.

٨- وفي النظام النحوي بعد أن تكوِّن الأصواتُ كلماتٍ، تبدأ الكلمات بدورها تكوين جمل، لكن هذا التكوين يسير وفق نظام محدد، فلكل موقع علامة إعرابية خاصة به.

٩- اللغة تلجأ في نظامها الدلالي إلى الاعتماد على معطيات الأنظمة الأخرى، فالدلالة ترتبط بكل أنظمة اللغة الأخرى، النظام الصوتي (طبيعة الأصوات)، والنظام الصرفي (دلالة الصيغة)، والنظام النحوي أو التركيب (وظيفة العناصر في التركيب)

- أن اللغة بوصفها منظومة تحتوي مجموعة كبيرة من الرموز (الكلمات) لها دلالة. وهي أغنى الأنظمة الرمزية وأكثرها إيجازا في الوقت نفسه.

- فهي سمعية: لأنها أصوات. وهي بصرية: وذلك في شكلها المكتوب.

وهي لمسية: في استخدام طريقة بريل.

أسئلة على الوحدة الأولى

س: اختر الإجابة الصحيحة:

١- عرّف.... اللغة بأنها أصوات يعبر بها كل..... عن أغراضهم.

أ- سابير- مجموعة. ب- ابن جني – قوم.

ج- ابن خلدون – جماعة. د- سيمون بوتر – قوم.

الإجابة: ب.

٢- عرّف..... اللغة بأنها نظام..... من الرموز..... تستخدمه جماعة لغوية بهدف الاتصال.

أ- بوتر- عرفي - الصوتية.

ب- دي سوسير- اصطلاحي- الثابتة.

ج- بوتر- عرفي – المكتوبة.

د- سابير- اصطلاحي – المنطوقة.

الإجابة: أ.

٣- يشمل النظام..... في اللغة........ والصوامت و.....

أ- الصرفي، الصوائت، التنغيم. ب- الصوتي، الصوائت، التنغيم.

ج- النحوي، الصوائت، النبر. د- الدلالي، السواكن، التنغيم.

٤- النظام....... في اللغة، يتم فيه تقسيم...... إلى أفعال و.....

أ- النحوي، التراكيب، أسماء. ب- الصرفي، الجملة، حروف.

ج- الدلالي، التراكيب، أسماء. د- الصرفي، الكلمات، أسماء.

٥- أي تغيير في بناء..... يغير من.... وهذا هو النظام.....

أ- الكلمة، معناها، النحوي. ب- الجملة، معناها، الصرفي.

ج- الجملة، معناها، النحوي. د- الصيغة، القواعد، الدلالي.

٦- تنضح / تنضخ، طُرح من خلالهما الارتباط بين الأصوات والدلالة فيما عُرف بالدلالة الصوتية. اشرح القضية ممثلا لها من ملاحظتك.

٧- قارن بين المعنى النحوي والمعنى المعجمي، ونقاط الارتباط بينهما.

٨- يمكن أن تقع اللغة الإنسانية برموزها في الرموز السمعية والبصرية واللمسية. اشرح الكيفية التي تمكِّنك من إثبات ذلك.

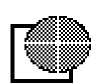
٦) الإجابة : اللغة تقع برموزها في الأنواع الثلاثة:

فهي سمعية: لأنها أصوات. وهي بصرية: وذلك في شكلها المكتوب.

وهي لمسية: في استخدام طريقة بريل.

٩- لبيان الفارق بين: كاذِب وكذّاب، لا بد من مناقشة النظام الصرفي في اللغة. وضح ذلك في إطار الارتباط بين الصيغة والدلالة.

التركيب: كان القطار جائعا هائجا. في إطار ما عرفته من أنظمة اللغة: يخضع التركيب لأكثر من نظام للكلام عنه. ماذا ترى في هذا التركيب ؟



الوحدة الثانية
اللغة عرفية إنسانية

الأهداف:

بعد دراسة هذه الوحدة؛ ينبغي أن يكون الدراس قادراً علي أن:

١- يعرف العلاقة بين اللفظ ودلالته؛ عرفية اصطلاحية أم طبيعية، ومواقف العلماء قدامى ومحدثين، عربا وغير عرب.

٢- يستخرج من دراساتهم الفلسفة التي بنوا عليها آراءهم.

٣- يقارن بين ما توصلوا إليه في هذه القضية، ويستخلص موقفًا.

٤- يلاحظ إمكانات اللغة الإنسانية وقدرة الإنسان على الابتكار.

٥- يستخلص استجابة لغة الإنسان للواقع بإنجاز المفردات التي تتطلبها احتياجاته.

٦- يقارن بين خصائص لغة الإنسان ولغة الحيوان.

العناصر:

- اللغة عرفية.
- نظرة فلاسفة اليونان.
- العلماء العرب القدامى.
- رأي المحدثين. الغربيون.
- العلماء العرب المحدثون.
- اللغة إنسانية.

الكلمات المفتاحية:

مجمع – الرمزية - الصوتية - الرموز - الصوتية – رمزية – الاستعمالات - المجازية - اجتماعية - إنسانية - عرفية - توقيف - مكتسبة - نظرية - محاكاة – مواضعة - اتفاق.

ثالثًا- اللغة عرفية[1]:

تحت هذا العنوان نتناول العلاقة بين الرموز الصوتية (اللفظ) وما يدل عليه، وقد كان شيئا طبيعيا بل ضروريا أن تستثير العلاقة بين اللفظ ودلالته اهتمام اللغويين، وأن يلفت أنظارهم هذه الصورة الصوتية التى بمجرد النطق بها تثير صورة ذهنية ترتبط بصورة خارجية، بل لقد استثارت تلك الصلة الأدباء أيضا.

وثارت تساؤلات عديدة حول طبيعة تلك الصلة:

- أهى طبيعية؟ فتكون دلالة الألفاظ على معانيها دلالة ذاتية، بمعنى أن كل صوت يرمز إلى معنى، فتكتسب الألفاظ دلالتها من خلال جرس أصواتها، وينشأ ما يسمى بالمناسبة الطبيعية بين الأصوات والدلالات.

أم هى صلة اصطلاحية مصطنعة يفرضها الإنسان بمحض إرادته، وذلك باختياره اسما لكل مسمى تواضعا واتفاقا ؟ فتكون الألفاظ حينئذ رموزا لغوية اصطلاحية.

هذه التساؤلات ليست وليدة العصر الحديث فقط بل ثارت قديمًا أيضًا عند اليونان، وعند العرب، ثم كثر الحديث فى هذا الموضوع لدى العلماء المعاصرين، وهذه كلمة قصيرة عن كلٍّ.

---

(١) انظر : د. إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة، ودلالة الألفاظ . ود. عبد الكريم مجاهد : العلاقة بين الصوت والمدلول – مجلة المورد ربيع ١٩٥٨م. ود. صبحى الصالح : دراسات فى فقه اللغة .

١- نظرة فلاسفة اليونان:

بدا من سحر الألفاظ في أذهان بعض فلاسفة اليونان وسيطرتها على تفكيرهم أن ربطوا بينها وبين ومدلولاتها ربطا وثيقا، وجعلوها سببا طبيعيا للفهم والإدراك، فلا تُؤَدَّى الدلالة إلاَّ به، ولا تخطر الصورة في الذهن إلا حين النطق بلفظ معين. ومن أجل هذا أطلق هؤلاء المفكرون على الصلة بين اللفظ ومدلوله، الصلةَ الطبيعية، أو الصلةَ الذاتية.

نلحظ هذا الاتجاه من التفكير فيما يرويه أفلاطون في محاوراته عن أستاذه سقراط الذي كان فيما يبدو يميل إلى هذا الرأي. ولما تبين لهم غموض هذه الصلة بين ألفاظ لغتهم اليونانية ومدلولاتها، ولم يستطيعوا لها تعليلا مقبولا تستريح إليه النفس وتطمئن إليه العقول، أخذوا يفترضون أن تلك الصلة الطبيعية كانت واضحة سهلة التفسير في بدء نشأتها، ثم تطورت الألفاظ، ولم يعد من اليسير أن نتبين بوضوح تلك الصلة أو نجد لها تعليلا وتفسيرا.

وأخذ سقراط في محاوراته يمنِّي النفس بتلك اللغة المثالية التي تربط بين ألفاظها ومدلولاتها ربطا طبيعيا ذاتيا كتلك الألفاظ المشتقة من أصوات الطبيعة من حفيف وخرير وزفير.

وكان بجانب هؤلاء المفكرين طائفة أخرى من فلاسفة اليونان، يرون أن الصلة بين اللفظ والدلالة لا تعدو أن تكون اصطلاحية عرفية تَواضَعَ عليها الناس. وتزعَّم هذا الفريق فيما بعد «أرسطو» الذي أوضح آراءه عن اللغة وظواهرها في مقالات تحت عنوان الشعر والخطابة، وبيَّن فيها عرفية الصلة بين اللفظ ومعناه.

وظلت كلمتا «الطبيعية أو العرفية» محور الجدل والنقاش زمنا طويلا بين مفكري اليونان من لغويين وفلاسفة. وكان كل من الفريقين يؤسس رأيه على مجرد المغامرة الفكرية دون سند علمي من ملاحظة دقيقة أو استقراء للحقائق.

٢- العلماء العرب القدامى:

وورث علماء العرب عن اليونان هذا النوع من التفكير، فشطرهم إلى فريقين أيضا: أولئك الذين كانوا ينتصرون للفكرة الطبيعية الذاتية، وأشهر من عرف عنهم هذا الرأى من مفكري العرب «عباد بن سليمان الصيمري» أحد المعتزلة، فيُرْوَى أنه كان يقول «إن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع، وإلا كان تخصيص الاسم المعين بالمُسَمَّى المعين ترجيحا من غير مرجِّح»، وكان بعض من يرى رأيه يقول «إنه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها، فسئل عما يسمى «إذغاغ»، وهو بالفارسية الحجر، فقال: أجد فيه يبسا شديدا وأراه الحجر».

وفي كتاب «بدائع الفوائد» يقرر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) بصورة جلية وواضحة أن هناك مناسبة متحققة بين اللفظ والمعنى؛ يقول: «والمناسبة الحقيقية معتبرة بين اللفظ والمعنى طولاً وقصرًا، وخفة وثقلا، وكثرة وقلة، وحركة وسكونًا، وشِدَّةً ولينًا، فإن كان المعنى مفردًا أفردوا لفظه، وإن كان مركبًا ركبوا اللفظ، وإن كان طويلا طولوه، كالعَنَطْنَط، (وهو الطويل المضطرب) والعَشنَّق للطويل، فانظر إلى طول هذا اللفظ لطول معناه، وانظر إلى لفظ «بُحْتُر» وما فيه من الضم والاجتماع لمَّا كان مسماه القصير المجتمع الخلق.

(العَنَطُ: طول العنق وحسنُه، وقيل: هو الطولُ عامة. ورجل عنطنطٌ، والأنثى بالهاء: طويل، وأصل الكلمة عَنَطَ).

(العشنق): الطويل الجسم. وهذا مما زيدت فيه الشين، وإنما هو من العنق. وليس ببعيد أن تكون العين زائدة أيضًا.

ومع أن معظم اللغويين من العرب لا يأخذون بهذا الرأي، ترى كثيرا منهم يربطون في مؤلفاتهم بين الألفاظ ومدلولاتها ربطا وثيقا يكاد يشبه الصلة الطبيعية أو الذاتية. ولعل السر في هذا الاتجاه هو اعتزازهم بتلك الألفاظ العربية وإعجابهم بها، وحرصهم على الكشف عن أسرارها وخباياها.

١- فقد ورد عن الخليل بن أحمد (- ١٧٥هـ) محاولة لإقامة جسر من العلاقة بين اللفظ ومدلوله، فقد جاء في تهذيب اللغة ما يعزى إلى الخليل من أنه قال: «صر الجندب صريرا، وصر الباب يصر، وكل صوت شبه ذلك فهو صرير إذا امتد، فلما كان فيه تخفيف وترجيع فى إعادةٍ ضوعف كقولك صرصر الأخطب صرصرة». وجاء فى الخصائص: «قال الخليل كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدا، فقالوا صر، وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا: «صرصر»، فكانت هذه إشارة واضحة من الخليل إلى هذه الظاهرة اللغوية التي يحاكي فيها صوتُ الكلمة معناها، فـ (صَرَّ) صورة لفظية لصوت الجندب المستمر دون تقطع، أما (صرصر) فتحاكي صوت البازي الذي نسمع فيه تقطيعا.

٢- وكان ابن جني أكثر اللغويين المتحمسين لفكرة الصلة بين اللفظ والمدلول إذْ بَسَطَ المسألة، وأخذ على عاتقه تعميقها وتفصيل دقائقها؛ حيث عقد لها فصولا أربعة في كتابه الخصائص، مُتلمِّسا هذه الصلة فيما يعرض له من ظواهر صوتية، معتمدا على قوة في التصريف أورثته دقة النظر في الأصوات، وجرس الحروف طبع في ذهنه دلالاتٍ خاصة لطول مخالطته إياها وكثرة تعامله بها ومعها: والأبواب التي عقدها هي: «تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني، والاشتقاق الأكبر، وتصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني وإمساس الألفاظ أشباه المعاني.

أ- ففى فصل عنوانه «في تلاقي المعانى على اختلاف الأصول والمباني» يربط ابن جني بين كلمتي المسك وصوار، فيقول إن كلا منهما يجذب حاسة من يشمه أي أن المسك في رأيه إنما سمي كذلك لأنه يمسك بحاسة الشم ويجتذبها. ويتخذ ابن جني دليلا على قوله من كلمة المسك بالفتح ومعناها الجلد، لأن الجلد يمسك ما تحته من جسم !!.

ب- وفي الفصل الثاني يتحدث ابن جنى عما سماه بالاشتقاق الأكبر الذي

فسره لنا بأن الكلمة مهما قلبتها تشمل على معنى عام مشترك، ويضرب لنا مثلا بمادة «جبر» فيقول (جبرت العظم والفقير إذا قويتهما، والجبروت القوة، والجبر الأخذ بالقهر والشدة، ورجل يجرب إذا مارس الأمور فاشتدت شكيمته ومنه الجراب لأنه يحفظ ما فيه والشيء إذا حفظ قوي واشتد ... إلخ.

ج- أما الفصل الرابع فعنوانه (في إمساس الألفاظ أشباه المعاني) أى وضع الألفاظ على صورة مناسبة لمعناها، وهنا يفترض ابن جني أن صيغة «الفَعَلان» تفيد الاضطراب كالغليان والفوران، وأن صيغة «الفَعللة» تفيد التكرير مثل صرصر الجندب أي كرَّر في تصويته وأن صيغة «الفَعَلى» تفيد السرعة مثل «الجمزى».

كما يبحث ابن جني أيضا في مناسبة الحروف في اللفظ لصوت الحدث، مثل الفعل «قضم» حين يقارن بالفعل «خضم» يرى أن الأول يستعمل فى أكل اليابس، فى حين أن الثاني يستعمل فى أكل الرطب، فيفسِّر ذلك ابن جني بأن هناك صلة وثيقة بين القاف الشديدة والصوت الناشئ عن أكل اليابس، كما يرى مناسبة واضحة بين الخاء الرخوة والصوت الناشئ عن أكل الرطب. والنضح للماء ونحوه والنضخ أقوى منه، فجعلوا الحاء لرقتها للماء الخفيف والخاء لغلظها لما هو أقوى.

ومن ذلك القسم والقصم، فالقصم أقوى فعلا من القسم لأن القصم يكون معه الدق، وقد يقسم بين الشيئين فلا ينكسر أحدهما فلذلك خصت بالأقوى الصاد، وبالأضعف السين.

٣- رأى المحدثين:

أ- الغربيون:

وتخبو مناقشة هذه العلاقة فترة زمنية طويلة، وكأنها قد أصبحت من المسلمات لتظهر في القرن التاسع عشر الميلادي على يدي اللغوى همبلت Humboldt (- ١٨٣٥م) الذي يصرح بتأييده للعلاقة الطبيعية بين الألفاظ

ومعانيها وبذلك ينفض الغبار عنها، ويضعها تحت الأنظار للمناقشة مرة أخرى حيث يقول: «إن اللغة تدل على الأشياء بالأصوات التي تارة بنفسها، وتارة أخرى بالمقارنة مع غيرها تترك انطباعا في الأذن مماثلا للتأثير الذى تتركه الأشياء على العقل ولكن همبلت نفسه يبدي تحفظا فى قوله: «إن هذه الرمزية أو المناسبة الطبيعية تظهر في الألفاظ ولكنها في وقت ما تبدو غامضة».

وتصريح همبلت بأن هذه العلاقة على مر الأيام قد تختفي وبالتالى قد يأتي عليها يوم تبدو فيه غامضة سهَّلَ مهمة معارض هذه العلاقة – فيتصَّدى مادفيج Madfig (- ١٨٤٢م) لها ويبرهن على فسادها: «بأن أورد مئات من كلمات الفصيلة الهندية الأوربية تناظر في معناها تلك الكلمات التي استدل بها همبلت وتخالفها قال مادفيج: «إننا لو قارنا أربع كلمات مما استشهد به همبلت سيبدو لنا خطؤه الفادح».

كذلك نيروب Nyrob «في معالجته لهذه المسألة يكرر اعتراض مادفيج بأن الاسم نفسه يمكن أن يدل على موضوعات متنوعة، والموضوع نفسه يمكن أن يشار إليه بأسماء مختلفة وأن دلالة الكلمات دائمة التغير ويدافع عنه يسبرسن قائلا: «مع أنه من بين الكلمات التي أوردها همبلت ما هو مشكوك فيه، فإن ذلك لا يؤثر على الحقيقة العامة التي يناضل من أجلها وهي أن شيئا من المناسبة الطبيعية (الرمزية الصوتية) ملاحظ في بعض الكلمات».

أما يسبرسن فإنه يتابع مؤكدا الفكرة نفسها قائلا: «يكاد يستحيل علينا أن نثبت المناسبة الطبيعية بين الدلالة والصوت في كل الكلمات، وفي كل اللغات في كل الأوقات، ولكن الأصوات أيضًا في بعض الحالات تكون رمزا لمعناها وإن لم يكن في كل الكلمات». ولكنه لا ينكر هذه العلاقة البتة حيث يراها متمثلة فى بعض الأصوات التي ترمز لمعناها. والنواحي التى يلحظ فيها يسبرسن الصلة بين الصوت والمدلول هى:

أ- الألفاظ التي بمثابة الصدى لأصوات الطبيعة. وهذه ظاهرة واضحة في

كل اللغات، وهي تشبه ما عندنا في العربية من أمثال الحفيف، والخرير، والشخير والصهيل والأزيز والعواء والزئير إلى غير ذلك من كلمات استمدت ألفاظها من الأصوات الكونية وأصوات الحيوانات.

ب- يؤكد لنا «يسبرسن» أن الألفاظ التي تعبر عن الصوت الطبيعي قد تنتقل، وتصبح معبرة عن مصدر هذا الصوت، وذلك كأن يصبح الزئير اسمًا من أسماء الأسد. ففي أوربا طائر يظهر في الربيع ويصيح «كوكو»، وكان من الممكن أن تقنع هذه اللفظة بالتعبير عن صوت هذا الطائر، ولكنها تستعمل الآن للطائر نفسه. كذلك قد تسمى حركات الإنسان بما ينبعث عنها من أصوات، فصوت المشي قد يطلق على المشي نفسه.

فالصفع مثلا كلمة بدأت فيما يبدو بمثابة صدى لوقع اليد على الوجه، فهي حكاية صوت لتلك الحركة الإنسانية، ثم أصبحت تعبر عن نفس الحركة.

ج- كذلك قد ترتبط الألفاظ بالآلات في بعض الحالات النفسية كالكلمات التي تعبر عن الغضب أو النفور والكره. كما قد ترتبط بحجم الأشياء أو أبعادها، فقد لوحظ أن «الكسرة» وما يتفرع عنها من «ياء المد» ترمز فى كثير من اللغات إلى صغر الحجم أو قرب المسافة. ففي العربية مثلا نجد أن «الياء» هى علامة التصغير، وأن الكسرة علامة التأنيث.

د- كذلك يشير «يسبرسن» إلى ما عرف عند علماء العربية من أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، فحين نقارن بين «صر الجندب»، و«صرصر الجندب» نرى أن صيغة «صرصر» تفيد تكرير الصوت، وحين نقارن بين «كسر» و«كسَّر» نرى أن التضعيف في الصيغة الثانية قد زاد في دلالتها.

ويختتم «يسبرسن» هذا الفصل الذى يدعوه «رمزية الألفاظ» بقوله: إن كلمات اللغات تزداد مع الأيام إيحاءً بالدلالات، وتكتسب الألفاظ بمرور الزمن قدرا أكبر من تلك الرمزية. ويتنبأ من أجل هذا بتلك النبوءة المتفائلة التي كان يحلم بها فلاسفة اليونان: أن يأتي اليوم الذي تصبح فيه الصلة بين الألفاظ ودلالاتها أكثر

وضوحا وأوثق ربطا مما عرف أجدادنا القدماء.

ويعد دي سوسير de Saussure من أشهر المعارضين لأصحاب الصلة بين الألفاظ والدلالات، إذ يراها اعتباطية لا تخضع لمنطق أو نظام مطرد. ومع اعترافه بتلك الصلة في الألفاظ التي تعد بمثابة الصدى لأصوات الطبيعة يقرر أن قلتها في اللغات، واختلافها وتباينها باختلاف اللغات الإنسانية، لا يمكِّننا من أن نتخذ منها أساسا لظاهرة لغوية مطردة أو شبيهة بالمطردة. هي إذًا في رأيه مجرد ألفاظ قليلة تصادف أن أشبهت أصواتُها دلالاتِها.

ب- العلماء العرب المحدثون:

وفي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن كان الاتجاه الغالب للغويين العرب هو القول بالصلة الوثيقة بين الصوت والمعنى على أساس أن كثيرًا من الألفاظ إنما ينشأ عن محاكاة الإنسان لأصوات الطبيعة.

فنرى أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤ – ١٨٨٨م) يتكلم عن العلاقة بين الحرف وما يرمز إليه من معنى ويتناول الحروف واحدًا واحدًا، منبِّهًا على المعاني التي يوحي بها كل حرف وذلك في قوله: «فمن خصائص حرف الحاء السعة والانبساط نحو البراح والأبطح ... ومن خصائص حرف الدال اللين والنعومة والغضاضة نحو الفرهد والأملود، والميم القطع والاستئصال والكسر نحو، أزم وحسم وحطم وحلقم وخذم وخرم وخضم» فكأن هذه الكلمات تجتمع على هذه المعاني بسبب وجود الميم فيها، أو أن الميم قد صبغت الكلمة بهذه الدلالة.

وإذا كان الحرف عند الشدياق يوحي بدلالة الكلمة، فإن الحرف عند جورجي زيدان ينوِّع المعنى الأصلى للكلمة التي تشترك مع ألفاظ أخرى «بحرفين هما الأصل المتضمن المعنى الأصلي، والزيادة (أي الحرف الزائد على الأصل) ربما تنوّعه تنويعا طفيفا مثاله: قطّ وقطب وقطع وقطم وقطل جميعها تتضمن معنى القطع إلا أن كل واحدة منها أُستُعْملت لتنوع من تنوعاته والأصل المشترك بينها قطّ، وهو بنفسه حكاية صوت القطع كما لا يخفى، وهو تكرار لرأي ابن جني الذي

كان يرى مثلًا أن النون والباء تدلان على الظهور والانبلاج، ثم يأتي الحرف الثالث لينوِّع في هذا الظهور والبروز(نبأ ـ نبت ـ نبث ـ نبج ـ نبح...).

وتتردد أصداء هذه النظرية عند أنستاس الكرملي الذي يقول: «إن الكلم وضعت في أول أمرها على واحد متحرك فساكن محاكاةً لأصوات الطبيعة ثم فُئِمَتْ أي زيد فيها حرف أو أكثر في الصدر أو القلب أو الطرف، فتصرَّف فيها المتكلمون تصرفا يختلف باختلاف البلاد والقبائل والبيئات والأهوية «أي أن أصل الألفاظ حرفان محاكاة لأصوات الطبيعة لهما معنى معين أصلي بالطبع، ويزداد حرف أو أكثر في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها لينوّع المعنى الأصلي حسب الظروف والمقام والبيئة والزمان.

ويذهب العلايلي مذهب الشدياق، بل يغالي في تصوره «أن لكل حرف عربي معنى» فالهمزة على الجوفية، والباء تدل على العِظَم مطلقا، والخاء على المطاوعة والانتشار، والدال على التصلب والذال على التفرد والراء على الملكة وشيوع الوصف، والسين على السعة والبسطة، والشين على التفشي بغير نظام، والعين على الخلو الباطن، أو على الخلو مطلقا والغين على كمال المعنى في الغرور، أو الخفاء، والفاء تدل على المعنى الكنائي، والقاف على المفاجأة التي تحدث صوتا، والميم تدل على الانجماع، والهاء على التلاشي، والواو تدل على الانفعال المؤثر في الظواهر والياء على الانفعال المؤثر في الباطن. وطبعا بقية حروف الأبجدية العربية لم تخلُ من معانٍ تخيلها العلايلي فيها.

ويقول الشاعر رشيد سليم الخوري: «قد تنبهت بطول المراجعة إلى أن حرف الفاء هو نقيض حرف العين بدلالته على الإبانة والوضوح: فتح، فضح، فرح، فلق، فجر، فسر ... إلخ. مما يُعيي إحصاؤه ويندر استثناؤه وأن حرف الضاد خُصَّ بالشؤم يَسِمُ جبين كل لفظه بمكرهة لا يكاد يسلم منها اسم أو فعل: ضجر، ضر، ضير، ضجيج، ضوضاء، ضياع، ضلال، ضنك، ضيق، ضنى، ضوى، ضرارة، ضئزى، وبعكسه الحاء التى تكاد تحتكر أشرف المعانى

وأقواها: حب، حق، حرية، حياة، حسن، حركة، حكمة، حلم، حزم، وأرى أنها لهذه المزية ولامتناعها – أو على الأقل مشقتها – دون سائر حروفها الحلقية على حناجر الأعاجم هي أولى بأن تنسب إليها لغتنا، فنقول لغة الحاء، بدلا من قولنا لغة الضاد».

ويرد عليه العقاد قائلا:

إن «الحاء» حقا من الحروف التي تصور معنى السعة بلفظها ووقعها في السمع ولكن على حسب موضعها من الكلمة ومصاحبة ذلك الموضع للدلالة الصوتية، وليست دلالتها هذه مصاحبة للفظها حيث كانت من أوائل الكلمات أو أواسطها.

فالحكاية الصوتية واضحة في الدلالة على السعة حين يلفظ الفم بكلمات «الارتياح» والسماح والفلاح والنجاح «والفصاحة والسجاحة والفرح والمرح والصفح والفتح والتسبيح والترويح» وما جرى مجراها في دلالة نطقه على الراحة في الضغط والقيد في مخارج الأصوات.

ولا يمتنع مع هذا أن تكون «الحاء» المنفردة حرفا سهلا قليل الحاجة إلى الضغط في مخارج الصوت، ولكن يجوز أن يكون البدء بهما مقصودا به عند وضع الكلمات الأولى أن تتبعه الحركة التي تناقض معنى السعة لتدل على الحجر والتقيد، فإن الجيم الساكنة بعد الحاء أشبه شيء بعلامة الإلغاء التي توضع على صورة الرجل الماشي على قدميه، ليستفاد منها «أن المشي ممنوع فى هذا المكان» ... وكذلك الباء الساكنة بعد الحاء في اسم «الحبس» فإنها تنفى السعة بعد الإشارة إليها في أول الكلمة. وهذا – كما قدمنا – فرض يجوز أن يخطر على البال قبل رفض القول بدلالة الحاء على السعة في أواخر الكلمات، وهي دلالة يعززها التكرار والإحساس بموقع الكلمات المنتهية بالحاء من الأسماع.

وقد ينفعنا الالتفات إلى دلالة الحكاية الصوتية للتفرقة بين حروف الهجاء في خصائصها المعنوية. إذ ليست كل الحروف سواء في حكاية الأصوات من

أصوات الأحياء أو أصوات الجمادات، وإنما يقع بينهما الاختلاف بمقدار صلاحها لحكاية الأصوات المسموعة فلا يلزم من مصاحبة بعض المعاني لبعض الحروف أن يكون ذلك شرطا ملازما لجميع حروف الهجاء.

فالميم – مثلا – في أواخر الكلمات تدل دلالة لا شك فيها عند الاستماع إلى كلمات «كالحتم والحسم والجزم والحطم والختم والكتم والعزم والقضم والقطم والكظم»، وأمثالها كلمات لا تخلو من الدلالة على التوكيد والتشديد والقطع الذي يدل على المعاني الحسية كما يستعار أحيانا لمعاني القطع بالرأي والإصرار على العزيمة.

وحرف السين على نقيض الميم لدلالته على المعاني اللطيفة كالهمس والوسوسة والنبس والتنفس والحس والمساس والاقتباس، ولكنه يتغير إذا تغير موقعه من الكلمة كما يلاحظ في المشابهة اللفظية والمعنوية «السد والشد والصد» ... ولعله العدوَى والمقاربة بين الألفاظ يتسرب مع طول الاستعمال إلى المعاني والدلالات.

وتلخيص رأي العقاد في أربع نقاط هي:

أولاً- أن هناك ارتباطا بين بعض الحروف ودلالة الكلمات.

ثانيًا - أن الحروف لا تتساوى في هذه الدلالة، ولكنها تختلف باختلاف قوتها وبروزها في الحكاية الصوتية.

ثالثًا- أن العبرة بموضع الحرف من الكلمة لا بمجرد دخوله في تركيبها.

رابعًا- أن الاستثناء في الدلالة قد يأتي من اختلاف الاعتبار والتقدير، ولا يلزم أن يكون شذوذا في طبيعة الدلالة الحرفية.

وختاما: إنه مع اعترافنا بوجود صلة طبيعية بين بعض الكلمات ودلالتها وبخاصة في:

١- أسماء الأصوات: حفيف / فحيح، خرير / صهيل / مواء / قهقهة.

٢- بعض تجمعات الأصوات: وهي التي أشار إليها ابن جنى نحو: النون والباء اللتين تدلان على الارتفاع والظهور (نبأ – نبَّ – نبت – نبث – نبج – نبح – نبخ – نبذ – نبر – نبز – نبس – نبش – نبص – نبض – نبط – نبع – نبغ – نبك – نبل – نبه – نبا).

أقول إنه مع اعترافنا بهذا إلا أننا يجب أن نقرر أن الألفاظ لا تعدو فى حقيقتها أن تكون بمثابة الرموز على الدلالات كل لفظ يصلح أن يتخذ للتعبير عن أي معنى من المعاني، فما يسمى «بالشجرة» يمكن أن يسمى بأي لفظ متى اصطلح الناس عليه، وتواضعوا على استعماله فليس في لفظ «الشجرة» ما يوحى بفروعها وجذورها وأوراقها وخضرتها.

وقد كان من الممكن أن يعبر عن هذه المعاني برموز أخرى غير صوتية كالإشارة ونحوها. ولكن الإنسان بدأ منذ أمدٍ بعيد جدا يتخذ من أصواته رموزا للتعبير عما يخطر في ذهنه، واستغل في هذا ما نسميه بجهاز النطق الذي وظيفته الأصلية الطبيعية المضغ والبلع والتنفس.

أما كيف ربط الإنسان الأول بين الألفاظ ودلالاتها، ولماذا اختص العربى «الشجرة» بهذا اللفظ «والبحر» بلفظ آخر واختصتها الشعوب الأخرى بألفاظ أخرى، ومتى بدأ أو تم للإنسان هذا الربط، فكل هذه أسئلة حيرت عقول المفكرين منذ قرون سحيقة ولا تزال تحيرها حتى الآن.

رابعا - اللغة إنسانية:

كان يمكن ألا يكون هناك عنوان بهذا المعنى، لولا أن أوجهًا متشابهة كثيرة جمعت بين لغة الإنسان، وما سُمِّى «لغة الحيوان» الأمر الذي استدعى تلك الوقفة.

فكلما حدد العلماء صفةً من صفات اللغة الإنسانية اكتشفوا أن الحيوان يشاركه في تلك الصفة، وإنْ كانت لغة الإنسان تتفوق بالطبع تفوقا كبيرا، من ذلك مثلا:

١- أن الإنسان يستخدم الجهاز الصوتي للحديث والجهاز السمعي للاستماع

للغة، كما أنه يستعمل وسائل أخرى للتعبير عما يريد قوله، وأكثر هذه الوسائل وضوحا هي الإشارات التي تعتمد على حاسة البصر كحركة الجسم بأجمعه أو حركة اليدين أو القدمين أو تعبيرات الوجه، كما يستعمل الإنسان حاسة اللمس لتكوين نظام كامل، وذلك في الحالات التي يكون فيها أحد الأفراد من فاقدي البصر.

وهذه صفة يشاركه فيها الحيوان، فقد لاحظ العلماء أن كثيرا من الحيوانات البرية والبحرية والطيور تستخدم أيضا الجهازين الصوتي والسمعي اللذين يعتمد عليهما معظم البشر في الاتصال والتعبير، وتستخدم بالإضافة إلى هذا الحواسَّ الأخرى كاللمس والشم والبصر والذوق للاتصال فيما بينها.

٢- لغة البشر لغة عرفية اصطلاحية، فليست هناك صلة بين كلمة «رجل» مثلا والمخلوق الذي تدل عليه هذه الكلمة، ومع أن الملاحظ في عالم الحيوان هو أن هناك علاقة وثيقة بين الصوت أو الإشارة التي يستخدمها الحيوان والرسالة التي يريد توصيلها إلا أنه قد لوحظ أيضا أن هناك بعض الأصوات أو الإشارات الحيوانية التي لا علاقة لها بالرسالة المقصود توصيلها. فهناك بعض الطيور المائية التي تتعرض للتهديد من جانب طيور مثلها وهنا يتخذ الطير المهدَّد وضع الاستعداد للقتال فيرفع جناحيه، ويرفع رأسه حتى يستقيم عنقه بينما يكون منقاره متجها إلى أسفل فيقابله الطير الآخر بوضع مُشابه، وربما يبدأ القتال فعلا أو ينسحب المعتدي، في هذه الصورة ارتباط بين الصورة التي عليها الطائر واستعداده للقتال، ولكن الطير المهدَّد ربما عبر عن استعداده للقتال بطريقة أخرى تماما، وذلك بأن يبدأ بنزع بعض الأعشاب القريبة منه، وكأنه سيستعملها ليبني عشا له. وعلى الرغم من أن هذه الحركة لا تدل على الاستعداد للقتال، فإن الغريم عادة ما يفهم الرسالة وينسحب طالبا النجاة.

٣- مفردات لغة الإنسان تشير إلى أشياء محسوسة في عالم الواقع كما تشير

إلى الأفعال التي يؤديها الإنسان وغيره، وبإمكانها أيضًا أن تعبر عن الأفكار الذهنية المجردة.

فهل هذه الصفة متوفرة في لغة الحيوان ؟

إن صعوبة المقارنة، هنا تكمن في عدم إمكاننا تفسير ما تقصده الحيوانات بأصواتها المختلفة، فهل يعني الصوت المعين الذي يطلقه القرد مثلا عندما يرى ثعبانا، هل يعني «ثعبان» أو «خطر» أو «احذر الثعبان» أو أنه مجرد صيحة منبهة إلى خطر معين ؟

هذا ما لم يهتد العلماء المختصون إلى تفسيره بعد، ولهذا فمن الصعب علينا أن نؤكد أو ننفى توفر هذه الصفة في لغة الحيوان.

٤- باستطاعة لغة البشر أن تشير إلى أشياء وأحداث بعيدة عن المتكلم زمانا ومكانا، فيمكن الإشارة إلى أشياء غير موجودة في المحيط القريب وغير منظورة أو ملموسة أو مسموعة أو محسوسة، ويمكن أن تبعد آلاف الأميال عن مكان المتكلم.

فهل بإمكان لغة الحيوان أن تؤدي هذه الوظيفة ؟

من الصعب الإجابة عن هذا السؤال بشكل محدد إلا في حالة النحل، فعندما تكتشف إحدى النحلات مصدرا للرحيق، فإنها تعود إلى الخلية، وتقوم برقصات تختلف باختلاف بُعْد ذلك المصدر واتجاهه ومن ثَمَّ يتمكن رفاقها من معرفة الاتجاه والمسافة التي يمكن أن تمتد إلى عشرات الأميال، فيتَّجه سرب النحل إلى المكان المحدد ليجد مطلبه فعلا.

فهنا أيضا، على الرغم من أن الرسالة التي تبعث بها النحلة بسيطة ومحددة، إلا أنها تتمتع بهذه الصفة التي نتحدث عنها، ولذلك لا يمكننا القول بأن هذه الصفة خاصة بلغة الإنسان فقط.

٥- أما أهم هذه الصفات، والتي تجعل من اللغة ظاهرة إنسانية فقط لا

يشارك الإنسان فيها غيره فهي: قدرة اللغة الإنسانية على الخلق والابتكار.

والمقصود بهذه الصفة بإيجاز شديد هو أنه بمقدور الإنسان أن يركب من الأصوات المفردة ليس فقط مئات الألوف من المفردات فحسب، بل لأن يركب من مفردات اللغة المختلفة عددا لا يُحصى من الجمل مما لم يسمع به من قبل، وذلك حسب المواقف والظروف التي تتطلبها عملية الكلام، كما أن بإمكانه أن يفهم عددا لا حصر له من الجمل، وهو لا يفعل ذلك اعتباطا بل يلتزم بقواعد صوتية وصرفية ونحوية ودلالية.

فلقد دلَّت التجارب التي أُجْرِيَتْ على الطيور وعلى النحل وعلى الدولفين بوجه خاص بأن التراكيب التي يستطيع أي من هذه المخلوقات تكوينها كلٌّ بوسيلة الاتصال الخاصة به، هي في الحقيقة تراكيب محددة. وقد أمكن التوصل إلى اكتشاف هذه التراكيب وتحديد معانيها، غير أن العلماء لم يتمكنوا من التثبت مِمّا إذا كانت لدى أيٍّ من هذه المخلوقات القدرة على تكوين تراكيب أخرى جديدة تتناسب مع ظروف أخرى جديدة تختلف عن تلك التي تتحرك في إطارها تلك المخلوقات. ولعل تجربة واحدة من تلك التجارب توضح ما نقول.

لقد أقام العالم الألماني «كارل فون فريش» إحدى خلايا النحل على قاعدة من الأسمنت يقوم عليها برجُ لاسلكي، ثم أخذ عشر نحلات من تلك الخلية، وصعد بها إلى أعلى لمسافة خمسين مترا إلى أن أوصلها إلى مصدر للغذاء وتركها هناك، وبعد أن اكتشفت النحلات مصدر الرزق سارعت بالعودة إلى أسفل حيث الخلية، وأخذت تقوم برقصات معنية (وسيلة النحل في الاتصال) لمدة أربع ساعات كاملة إلا أن سرب النحل أخذ يطير فى جميع الاتجاهات حول البرج بشكل أفقي، ولم تصعد نحلة واحدة إلى أعلاه مرة واحدة، ولذلك لم يستطع النحل اكتشاف مصدر الرزق.

وقد استنتج «فون فريش» من هذا أن لغة النحل لم يكن فيها ما يدل على مفهومي «فوق» و«تحت» أو «أعلى»، وهما المفهومان الجديدان اللذان حاول «فون فريش» أن يعرف قدرة النحل على أن يدخلهما في لغته.

وبناء على ذلك يتبين أنه لا يمكن اعتبار لغة النحل لغة حقيقية يمكن أن تعين على تكوين تراكيب جديدة غير معروفة لديه سابقا كما هو الحال في لغة الإنسان[١].

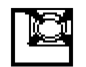
□

(١) انظر فيما مضى : أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، د. نايف خرما ص١٤١ – ١٥٢. و"لغة الحيوان " ميلبسنت سلسنام، ترجمة د. كمال منصور .

معجم مصطلحات الوحدة

- مجمع اللغة العربية.
- الرمزية الصوتية.
- الرموز الصوتية.
- رمزية الألفاظ.
- الاستعمالات المجازية.
- اللغة اجتماعية.
- اللغة إنسانية.
- اللغة عرفية.
- اللغة توقيف.
- اللغة مكتسبة.
- نظرية المحاكاة.
- المواضعة والاتفاق.

ملخص الوحدة الثانية



١- تستثير العلاقة بين اللفظ ودلالته اهتمام اللغويين، وقد انقسموا منذ القديم اتجاهين؛ البعض جعل العلاقة طبيعية مباشرة، وآخرون اصطلاحية عرفية.

٢- أطلق هؤلاء المفكرون على الصلة بين اللفظ ومدلوله، الصلةَ الطبيعية، أو الصلةَ الذاتية.

٣- أفلاطون وأرسطو جعلا الصلة بين اللفظ ومدلوله طبيعية، أو ذاتية. وتزعَّم «أرسطو» الرأي أنها اصطلاحية عرفية تَواضَعَ عليها الناس.

٤- علماء العرب أيضا انقسموا فريقين أيضا: أولئك الذين كانوا ينتصرون للفكرة الطبيعية الذاتية، فمن مفكري العرب «عباد بن سليمان الصيمري» أحد المعتزلة. ومع أن معظم اللغويين من العرب لا يأخذون بهذا الرأي، فإن كثيرين يربطون في مؤلفاتهم بين الألفاظ ومدلولاتها ربطا وثيقا يكاد يشبه الصلة الطبيعية أو الذاتية.

٥- رأى الخليل في صوت الجندب استطالة ومدا، فقالوا صر، وفي صوت البازي تقطيعا فقالوا: «صرصر».

٦- وكان ابن جني من أكثر اللغويين المتحمسين لفكرة الصلة بين اللفظ والمدلول. وظهر هذا في كتابه الخصائص في باب (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) وإمساس الألفاظ أشباه المعاني.

٧- وبحث ابن جني في مناسبة الحروف في اللفظ لصوت الحدث، مثل الفعل «قضم» حين يقارن بالفعل «خضم».

٨- وحديثا فإن يسبرسن يرى أنه يكاد يستحيل علينا أن نثبت المناسبة الطبيعية بين الدلالة والصوت في كل الكلمات.

٩- العلماء العرب المحدثون الاتجاه الغالب هو القول بالصلة الوثيقة بين

الصوت والمعنى، أحمد فارس الشدياق فتحدث عن خصائص بعض الحروف حرف الحاء السعة والانبساط نحو البراح. وقد رد عليه العقاد.

- مع اعترافنا بوجود صلة طبيعية بين بعض الكلمات ودلالتها، وبخاصة في: أسماء الأصوات: حفيف / فحيح، خرير / صهيل / مواء / قهقهة. إلا أن الألفاظ بمثابة الرموز على الدلالات كل لفظ يصلح أن يتخذ للتعبير عن أي معنى من المعاني.
- لغة البشر لغة عرفية اصطلاحية، فليست هناك صلة بين كلمة «رجل» مثلا والمخلوق الذي تدل عليه.
- ليس بإمكان لغة الحيوان أن تؤدي وظيفة اللغة الإنسانية، فالرسالة التي تبعث بها النحلة بسيطة ومحددة. فلغة النحل ليس فيها ما يدل على مفهوم «فوق» و«تحت» أو «أعلى».
- لا يمكن اعتبار لغة النحل لغة حقيقية يمكن أن تعين على تكوين تراكيب جديدة غير معروفة لديه سابقا كما هو الحال في لغة الإنسان.

أسئلة على الوحدة الثانية

س: اختر الإجابة الصحيحة:

١- أطلق بعض المفكرين اليونان على الصلة بين...... ومدلوله: الصلة.... أو........

أ- الشكل، المباشرة، الذاتية. ب- اللفظ، الطبيعية، الصناعية.

ج- اللفظ، الطبيعية، الذاتية. د- البناء، العرفية، الطبيعية.

الإجابة: ج.

٢- من فلاسفة اليونان...... الذي رأى أن الصلة بين اللفظ والدلالة........

أ- سقراط، صناعية عرفية. ب- أرسطو، اصطلاحية عرفية.

ج- الصيمري، عرفية طبيعية. د- سقراط، مباشرة عرفية.

الإجابة : ب.

٣- باب..... الألفاظ ل..... المعاني، ذكره.... في الخصائص.

أ- تجاور، تقارب، ابن جني. ب- تقارب، تصاقب، الخليل.

ج- تصاقب، تصاقب، ابن جني. د- تشابه، تشابه، ابن جني.

الإجابة : ج.

٤-رأى ابن جني أن.... و..... فيهما مناسبة الحروف في اللفظ لصوت الحدث.

أ- فوران ووجدان. ب- صر وصرصور.

ج- قضم وخضم. د- دب وشب.

٥- يرى..... أن الصلة بين الألفاظ والدلالات اعتباطية، وهناك ألفاظ.... تصادف أن أشبهت أصواتها دلالتها.

أ- دي سوسير، كثيرة. ب- سقراط، قديمة.

ج- دي سوسير، قليلة. د- أفلاطون، كثيرة.

٦- قارن بين موقف الشدياق والعلايلي في فكرة دلالة الحروف على معانيها. علِّق على ما تذكر.

٧- اختر رأيًا متوازنًا من علماء العرب القدماء وعلماء العرب المحدثين في فكرة العلاقة بين اللفظ والمعنى.

٨- اذكر الصفات المشتركة والصفات المختلفة للغة الإنسان ولغة الحيوان.

٩- صفة الخلق والابتكار تُضفي على لغة الإنسان تميُّزًا عن الحيوان. وضِّح تأثير هذه القدرة على لغته.

١٠- فون فريش درس لغة النحل، وضِّح تجربته، وما الذي استخلصه من ذلك؟

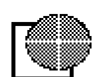
١١- لاحظ استعمالات اللغة، وفسر الألفاظ مثل: صرصر- المسك- الحفيف – الفوران.

إجابة السؤال ١١:

كل هذه الألفاظ استعملها العلماء للربط بين اللفظ ومعناه بشكل مختلف. صرصر: رأى الخليل أن اللغة قامت بعمل محاكاة لترجيع صوت البازي. المسك: عند ابن جني لأنه يمسك بحاسة الشم ويجتذبها. الحفيف: محاكاة أصوات الطبيعة (الشجر)، فالصلة مباشرة.

الفوران: من الألفاظ التي وردت على صورة معناها، فوزن فَعَلان بكثرة الحركات فيه معناه الاضطراب والحركة.

□



الوحدة الثالثة
اللغة مكتسبة من المجتمع

الأهـداف:

بعد دراسة هذه الوحدة ينبغي؛ أن يكون الدارس قادراً على أن:

١- يعرف هل اللغة فطرية أم مكتسبة ؟ وشواهد ذلك في الواقع.

٢- يعرف مراحل اكتساب الطفل للغة، وما يحدث في كل مرحلة.

٣- يلاحظ هذه المراحل ويقارن بين ما رصده المتخصصون والمُشاهد في الواقع المجتمعي.

٤- يكتشف دور المجتمع في إكساب الطفل اللغة، ويرصد السلبيات والإيجابيات.

٥- يقارن بين أنواع المعاجم عند الأطفال.

٦- يدرك أن اللغة ظاهرة اجتماعية ضرورية لقيام المجتمع بنشاطه.

العناصر:

- اللغة مكتسبة.
- مراحل اكتساب الطفل للغة
- التعامل مع الطفل لغويًّا على المستوى التعليمي.
- التعامل مع الطفل لغويًّا على مستوى الكتابة الأدبية: في قصص الأطفال.
- التعامل مع الطفل لغويًّا على المستوى التثقيفي والترفيهي.
- اللغة ظاهرة اجتماعية.

الكلمات المفتاحية:

الصراخ - العفوي - التصويت – الانفعالي – الرمزي - الفهمي – الكلامي– مجازية – اجتماعية - مكتسبة.

خامسًا- اللغة مكتسبة:

هل اللغة طبع أم تطبع؟

مع أن هذا السؤال قديم قِدَم ما وصل إلينا من الحضارات الإنسانية إلا أنه ظلَّ موضوعًا للتأملات الفلسفية في معظم الحالات، ولم يبحث بشكل علمي تجريبي إلا في النصف الثاني من القرن العشرين.

ومن الواضح أن اللغة سواء أكانت اللغة العربية أم الإنجليزية أم الفرنسية مثلا ليست صفة أو غريزة أو قدرة وراثية تتطور وتنمو كما هو الحال بالنسبة للوقوف على القدمين، أو المشي بهما أو الطعام والشراب والحب والكره. فقد أثبت اكتشاف عدد من الحالات (لأطفال عاشوا في الغابات مع الحيوانات)أن الفرد الذي يعيش منذ ولادته أو طفولته المبكرة جدا بمعزل عن المجتمع البشري يبقى بدون لغة، أو يكتسب لغة الحيوانات التي يعيش بينها. ولكن هذه الحالات أثبتت أيضا أن بإمكان مثل هذا الفرد أن يتعلم لغة مجتمع ما بسرعة إذا اكتُشِفَ وهو في سن صغيرة، ويبطئ في تعلمها كلما زاد عمره، ولا يتمكن من تعلم أية لغة بعد سن معينة يقدرها العلماء المختصون بما بين الثانية عشرة والرابعة عشرة، وذلك بناء على الحالات التي اكتشفوها.

ومن المعروف أيضا أن الطفل العربي إذا أُخِذَ منذ نعومة أظفاره، وعاش فى المجتمع الفرنسي مثلا فإنه سيتعلم هذه اللغة ويتقنها بنفس السرعة التي كان يمكن أن يتعلم ويتقن بها لغته العربية فيما لو عاش ونما في مجتمع عربي.

لهذا لا يمكن القول بأن الطفل يولد مزوَّدًا بلغة معينة حتى لو كانت تلك اللغة هي لغة آبائه وأجداده، أو حتى القول بأنه يولد وعنده الاستعداد لتعلم لغة معينة.

اكتساب الطفل للغة:

يولد الطفل وهو مزوَّد بحاجة فطرية إلى التعبير، وبنزعة إلى محاكاة ما يستمع إليه من أصوات تجعله ميالا إلى المناغاة والتلاعب بالأصوات، كما أن لديه قدرة فطرية على تعلم اللغة، واكتساب مهاراتها، وكل ذلك يؤلف جذور النمو اللغوي عند الأطفال.

ويحتل نمو المعنى مركزا محوريا في نظرية «شترن»:

فهو يرى أن الطفل في سن العام والنصف إلى العامين يتمتع بفهم العلاقة بين الرمز والمعنى، وبإدراك الوظيفة الرمزية للغة، وبالوعي بمعنى اللغة، وباكتساب الإرادة، وأخيرًا الوعي بوجود قاعدة عامة أو فكرة عامة، غير أن هذه الوجهة من النظر يعوزها الدليل القاطع، حيث إن كل الدراسات التي أجريت حول هذه المشكلة لم تأت بنتائج مؤكدة، نظرا لأن ما نعرفه عن عقل الطفل في سن العام والنصف إلى السنتين من العمر لا يسمح بكل هذه العمليات المركبة. غير أننا نستطيع أن نقرر – بصفة عامة – أن اكتساب الطفل للمعنى يمر بثلاث مراحل رئيسة:

المرحلة الأولى:

فيها يحاول الطفل أن ينبِّه من حوله إلى بعض حاجاته، كالحاجة إلى إشباع جوعه، وتأمين راحته، وإحساسه بالبرودة أو الألم، وذلك عن طريق الصراخ العفوي وذلك فور شعوره بأي أمر من هذه الأمور.

وتستطيع الأم أن تميز دلالة كل صيحة من هذه الصيحات، وقبل أن يبلغ الطفل الرضيع الشهر السادس من عمره يكون عادة قد بدأ يُكْثِر من التصويت من أجل التصويت ذاته، ويقرر بعض علماء اللغة أن الطفل السويّ خلال ستة الشهور الأولى يتعلم معظم الأصوات التي يحتاج إليها في نطقه الكلامي فيما بعد، إذ لا يكون قادرا في هذه السن على نطق هذه الأصوات، لذا فهو يختزنها حتى يمتلك القدرة على نطقها.

المرحلة الثانية:

وفيها يقوم الطفل بإصدار أصوات أو صرخات متعمدة بهدف جذب انتباه المحيطين به كي يتدخلوا لتحسين وضعه وتلبية حاجاته، وقد يستعين بالحركات للتعبير عن ذلك. وأهم من ذلك أن هؤلاء المحيطين به والمقربين إليه يستجيبون عادة للأصوات التي يُحْدِثها الطفل، وتؤدي هذه الاستجابة إلى أن يتحقق الطفل بالتدريج من أنه يستطيع أن يستخدم الأصوات وسيلةً يضمن بها تعاون الآخرين واستجابتهم لإشباع حاجاته.

فالطفل هنا ينتقل من مرحلة التصويت الانفعالي إلى مرحلة التصويت الرمزي، التي تتميز بتعرفه مَن حوله، وبمحاولته استخدام الأصوات المحببة إليه، يخلع عليها ألوانا خاصة من النطق المعبر، فقد يستخدم صوتا واحدا يعبر به عن أحاسيس مختلفة، ولكنه يكيِّفه في كل مرة بنطق معين للدلالة على إحساس معين.

وقد نستمع إلى الطفل في هذه المرحلة ينطق بكلمتي (ماما) و(بابا)، ولكن ينبغي ألا يُفْهم من هذا أنه قد بدأ يتحدث، ذلك لأن نطقه بمثل هاتين الكلمتين في هذه المرحلة – يغلب أن يكون مجرد ترديد لأصوات ألف سماعها دون أن تكون لها في ذهنه دلالتها اللغوية المصطلح عليها.

المرحلة الثالثة:

يبدأ فيها الطفل باستعمال الأصوات كوسيلة تعبيرية، فحين تستجاب حاجاته يعبر عن ارتياحه. وكثيرا ما يعبر الطفل عن وحدته وعن غضبه، وعن خوفه بواسطة الأصوات المتنوعة، وبمقدار ما تتنوع أصواته يتضح معنى كل منها، وذلك بالقدر الذي يسهم فيه أهله بإعطائه تفسيرات لها.

ففي هذه المرحلة يطرأ تحول أساسي في تطور لغة الطفل إذ يبدأ باستعمال الكلمات بدلا من الأصوات بهدف الحصول على ما يبتغي، فسرعان ما يلاحظ الطفل أن استعماله الكلمات، ومن ثَمَّ التراكيب الكلامية يصل به إلى ما يريد

الحصول عليه.

وتبدأ لغة الطفل في النمو منذ أن يستمع في مهده إلى لغة الكبار، وكلما زاد استماعه إليهم، وكلما ازداد خبرة، وكلما زاد نضجا، ارتبطت لديه الرموز الصوتية بالأشياء وبالصفات وبالعلاقات المختلفة.

وهناك مجموعة من الملاحظات تلقي الضوء على عملية اكتساب الطفل للغة، نذكر أهمها فيما يلي:

أولاً- الاكتساب والقدرة العقلية: يرى بعض الباحثين أن معاني الكلمات لا تكتسب إلا بعد أن يكون الطفل قد استطاع أن يكوّن صورا ذهنية ثابتة، أو مفاهيم عن الأشياء والأحداث التي تشير إليها الكلمات وإلاّ لَمَا استطاع أن يعبر عن الشيء في غيابه أو يعبر عن شيء «غير محدد». فالطفل الذى يقول «باب» أو «كتاب» أو «بيت» دون أن تكون هذه الأشياء موجودة، لا بد أن تكون لديه صور ذهنية واضحة لهذه الأشياء. كذلك حيث يقول الطفل: «أكل»، «ضرب»، «وقع»، لابد أن يكون لديه مفهوم واضح لهذه الأحداث.

الطفل إذن لا يكتسب معاني الكلمات إلا إذا تكوّنت لديه المفاهيم التي ترتبط بها هذه الكلمات أولا. وبعبارة أخرى إلا إذا استطاع أن يدرك أن الشيء الذى يراه مرة بعد مرة، أو الحدث الذى يختبره مرة بعد أخرى إما أنه هو ذاته وإما أنه أحد أفراد فئة متجانسة ذات خصائص معينة (المفهوم بشكل عام) وتصبح الكلمات في النهاية عبارة عن رموز تشير إلى مفاهيم، وتبدأ عملية تكوين المفاهيم منذ الولادة منذ أن يبدأ، يجذب انتباه الطفل ما يحيط به من مثيرات في البيئة التي يعيش فيها، وما يترتب على حركته من نتائج. وكما يقرر بياجيه فإن مفاهيم دراسة الشيء والزمان، والمكان والعدد، والنسبة وغيرها إنما تنمو تدريجيا كنتيجة للتغيرات الجوهرية التي تطرأ على الطريقة التي يدرك بها الطفل العلاقات بين الأفعال والنتائج.

ثانيًا- للعائلة، ونقصد بها المحيطين بالطفل قبل سن دخول المدرسة

أو الحضانة، للعائلة دور مهم في سرعة اكتساب الطفل للغة، ودقة هذا الاكتساب وصحته؛ إذ تقوم العائلة عن طريق ملاحظة الطفل بتوجيه أصواته اللغوية، فالأم حين تسمع طفلها ينطق بمقاطع تشبه مثلا كلمة (ما.. ما) تشير إلى نفسها وتردد «ماما» فيتعلم الطفل بسرعة قول كلمة «ماما» مرافقا لفظه لهذه الكلمة بالإشارة إلى أمه. وبكثرة التكرار والتقليد وإرشاد من حوله تعني بعض الكلمات عنده شيئا ما.

ثالثًا- التدرُّج: يبني الطفل ذخيرة من المعاني والمفاهيم، ثم إنه يستخدم رموز الكلام في تفكيره وفي حديثه: متدرجا من الكلمات المفردة، أو العبارات المتقطعة إلى الجمل والعبارات الطويلة، حتى إذا بلغ سن دخوله المدرسة استطاع أن يقص الحكايات، ويروي الحوادث، ويتفهمها إذا استمع إليها تُقَصّ وتُحْكَى. ويكتسب قدرةً على استخدام مخزونه اللغوي كله أو بعضه حين يتحدث أو يستمع، ومهما يكن من شيء فإن الطفل يبلغ سن دخول المدرسة، وهو يملك عُدة الحديث والفهم، ويستطيع استخدام أجزاء الحديث الأساسية؛ من أسماء، وأفعال، وحروف، كما يستطيع صياغة الجمل، والعبارات، والتراكيب التي تحمل ما يريد أداءه من معانٍ، تتفق مع نضجه وخبراته.

رابعًا- دور حب الاستطلاع عند الطفل: الطفل بطبيعته محب للاستطلاع، ويدفعه هذا الحب إلى الاتصال المباشر بكل ما يحيط به؛ وبذلك تزداد ثروته اللغوية من ألفاظ ومعانٍ يومًا بعد يوم، فهو يتناول اللُّعَب ويلعب مع رفقائه، وهو يرقب أعضاء أسرته، وجيرانه في أحاديثهم وألوان نشاطهم، وهو ينتقل مع ذويه من مكان إلى مكان، ويحمِّلُه ذووه رسائل شفهية إلى معارفهم، ويعود إليهم بمثل هذه الرسائل وهو يستمع إلى القصص ويرويها، وهو يمارس ألوان النشاط المختلفة من وثب وجري واختفاء وتسلق ... إلخ، وهو في خلال كل هذه الخبرات يضيف إلى قاموسه اللغوي كلمات وتراكيب جديدة، ويزداد تفهمًا لكلمات ورموز لغوية جديدة.

خامسًا- اضطراب المفاهيم أثناء الاكتساب: لو أننا تتبعنا الأطوار التى تمر بها كل كلمة من كلمات اللغة منذ أن يسمع بها الطفل أول مرة إلى أن يتحدد مفهومها الذي يتفق عليه العرف اللغوى لتملكتنا الدهشة، فالكلمة تمر بالطفل فى عديد من المواقف المختلفة، وهو حين يستمع إليها في البداية – فقد تأخذ في ذهنه دلالة معينة، ولكنها في معظم الأحوال غير دقيقة، ولكنها بتعدد المواقف وازدياد الخبرة يتعدّل مفهومها شيئا فشيئا، إلى أن يأتي الوقت الذي يتحدد فيه هذا المفهوم، ويستقر طبقا للعرف السائد في البيئة التى يعيش فيها.

والطفل لا يقف بالطبع – كما يفعل العلماء – ليحدّد المفاهيم والتعاريف، ولكن كل هذه العمليات الذهنية تتأتى تلقائيا ثم تنتهي إلى مفهومٍ ما يقفز إلى ذهنه كلما سمع كلمة (غريبة) أو شاهدها، أو قرأها فيما بعد حينما يتعلم القراءة.

قد يستمع الطفل لأول مرة إلى كلمة (كرسي) حينما تُجْلِسُه على الكرسي، وتنطق بالكلمة، ثم يسمعها مرة أخرى حينما يطلب أبوه الكرسي، ليجلس عليه، وقد يكون المفهوم الذى يرد إلى ذهنه هو أن (الكرسي) (شيء يجلس عليه)، وهو المفهوم الصحيح فعلا، ولكن هذا المفهوم قد يصيبه الاضطراب حينما يرى أعضاء الأسرة يجلسون فوق السرير أحيانا، ولكن ما يلبث هذا الاضطراب أن يزول مع تكرار الخبرات، ويستقر في ذهنه نهائيا أن السرير (شيء ينام عليه) وأن الكرسي (شيء يجلس عليه).

وبمثل هذا الأسلوب ينمو المعجم اللغوي للطفل، وهذا المعجم لا يكاد يستقر، فهو في نمو مستمر، ومقرراته تكاد تكون في تعديل مستمر، وفي أي وقت معين نجد أن هناك كلمات أو تراكيب – قد تحدَّد مفهومُها واستقر طبقا لما يستخدمه الكبار، كما نجد أن هناك كلمات وتراكيب أخرى لا تزال في طور التكوين، أو مازال فيها غموض، ولمعرفة هذا وذاك أهمية كبيرة عند من يتعاملون مع الأطفال عن طريق اللغة؛ متحدثين أو كاتبين.

وقد قام كثير من الباحثين في اللغات الأجنبية بجمع قوائم بالمفردات

والتراكيب، التي تدخل في المعجم اللغوي للأطفال في الأعمار المختلفة، ونشروا هذه القوائم ليستعين بها الناشرون والمؤلفون لكتب الأطفال، وليستعين بها أولئك الذين يقوّمون ما يكتب للطفل.

أما في اللغة العربية فإن الميدان لا يزال جديدا، وقد كانت هناك محاولات قليلة ولكنها في حاجة إلى مزيد؛ منها دراسة أُجريت على أكثر من مائتين من الأطفال المصريين من سكان القاهرة فيما بين الخامسة والسابعة.

سادسًا- الثروة اللغوية للطفل: متوسط معجم الطفل الكلامي حتى العام الرابع – مع الأخذ في الاعتبار البيئة الاجتماعية والثقافية التي يعيش فيها الطفل - – يقرب من ألفي كلمة أصلية، ولكن ينبغي أن نشير هنا إلى أن الأطفال ليسوا سواء في قدرتهم اللغوية، أو سعة معجمهم، وأن بينهم من الفوارق قدرا كبيرا، ففى سن دخول المدرسة نجد مِنْ بينهم مَنْ يتجاوز معجمُه اللغوي ألفي كلمة، ومنهم كذلك من لا يتعدى قاموسه أربعمائة أو خمسمائة كلمة.

سابعًا- أنواع المعاجم التي يمتلكها الطفل: ينبغى أن نعلم أن لكل طفل معجمًا فَهْمِيًّا، وآخر كلاميًّا، ونقصد بالمعجم الفهمي ما يستطيع أن يفهمه حينما يستمع إلى المفردات والتراكيب، وبالمعجم الكلامي ما يستخدمه فعلا في حديثه من مفردات وتراكيب، وبَدَهِيّ أن المعجم الفهمي لأي طفل أوسع نطاقا من معجمه الكلامي، وفيما بعدُ حينما يصبح قادرا على القراءة والتعبير الكتابي – يضاف إلى هذين النوعين نوع ثالث هو المعجم الكتابي، ونعني به ما يستخدمه إذا كتب، وهو قد يزيد أو ينقص عن المعجم الكلامي باختلافٍ بين الأفراد. وتظل هذه الأنواع من المعاجم معه ما دام حيًّا.

ثامنًا- اكتساب الطفل وأنظمة اللغة: عندما يبدأ الطفل تعلم لغته القومية، لا يتعلمها نظاما نظاما، فلا يتعلم الأصوات أولا، ثم طرق اشتقاق الكلمات ثم معاني الكلمات ثم النحو، فهو لا يسمع اللغة كلمة كلمة، كل منها منفصل عن الآخر، بل يسمع كلاما متصلا مرتبطا بسياقات محددة، فمكونات اللغة تُكْتَسب

وتنمو متآزرة متوازية ولا تُكْتَسب بشكل متتالٍ، أما قولنا اكتساب المعنى فليس معناه أننا نفصل اكتساب المعنى عما سواه من الأنظمة، إذ من الصعب – إن لم يكن من المستحيل – أن يتحقق هذا في الواقع اللغوي. إنما الفصل هنا فصل تعسفي تعودنا عليه في البحوث العلمية بغرض تسليط الضوء على جزئية معينة.

تاسعًا- يغلب على لغة الأطفال في مراحلها الأولى أن تتناول المحسوسات لا المجردات: وتعليل ذلك أن الطفل أول ما يتعلم الحديث – يبدأ بما تقع عليه حواسه، وبما يسميه علماء اللغة (أسماء الذوات) كمقابل (لأسماء المعاني)، فهو يتعرف أولا إلى: (بابا) و(ماما) و(لبن) و(كرسي) و(كلب) ... وكذلك معاني الكلمات الدالة على أعضاء الجسم الإنساني، وعلى الأدوات التي يستعملها.

أما الأفعال والحروف فلا تظهر في لغته إلا بعد الأسماء المُحَسَّة، وأما أسماء المعنويات مثل: (حب) و(حنان) و(فرح) و(نسيان)، فهي تختلف في ظهورها، بما أنها تقتضي خبرات معينة، في مواقف معينة تهيئ للطفل عملية (التعميم)، وذلك لأن قدرة الطفل على التعميم لا تتأتى إلا متأخرة بعض الوقت. ومن أجل هذا نجد كلمات مثل (الحرية) و(الشعور) و(الكرامة) لا تعني شيئا بالنسبة للطفل في هذه السن (٥-٧). ولكن اكتساب هذه المعاني الحسية نفسها يستغرق منه وقتا، فهو قد يسمي كلا من الخروف والبقرة والحصان «حمارا». وقد يطلق على أنفه كلمة «عين». ولكنه عندما يتحقق من أن العين «عين» نراه يطلقها على العين الحقيقية سواء كانت عين أمه أو أخته أو عين زائر من الزوار، بل قد يوسِّع ذلك فيطلقها على «عين» القطة «وعين» الدجاجة مثلا.

ولكن اكتساب الطفل للمعنى لا يستمر على هذه الصورة البسيطة، إذ إنه يسمع استعمالا لبعض الكلمات توقعه في الحيرة، إنه يسمع استعمالات مجازية لبعض الكلمات التي تعلمها للدلالة على بعض أجزاء الجسم الإنساني أو على بعض الأدوات، وقد تكون الصلة قريبة بين الاستعمالات المجازية وبين ما تعلَّمه أَوَّلًا، وقد تكون بعيدة.

إنه تعلم أن الرِّجْل هي ذلك الجزء من جسمه، ثم يسمع أمثال، «رجل الكرسي» و«رجل المنضدة».

أما كلمة «عين» فإنه يسمع عبارات مثل «عين الإبرة» أي هذا الثقب الذي يدخل فيه الخيط و«عين الصيرة» و«عين شمس» للدلالة على بعض المواضع، كما يسمع «يا ليل يا عين» في المواويل.

وهو يسمع ما يقابل «أذن الفنجان» أو «يد الفنجان» ونحن نتوسع مع الأطفال في الاستعمالات المجازية، فنُسْمِعُهم مجازات غير موجودة في لغتنا. فقد يسأل الطفل عن الجزء المضيء من المذياع وغيره من بعض الأجهزة الكهربائية مثلا، فنجيبه بأنه «عين الراديو»، وقد يُسَرّ الطفل لذلك ويرضى عنه.

فلا قدرة للطفل في هذه السن على التمييز بين الوظائف المختلفة لعالم الحيوان والنبات والجماد، ومما يسهل عليه قبول هذه الاستعمالات المجازية أنه يرى أن كل شيء حوله حيٌّ، لكل شيء حوله روح، فمن اليسير عليه أن يتقبل أن يكون لكل شيء أذن وأنف وفم وركبة ولسان ... إلخ.

بل إنه أحيانا ليبدأ بالسؤال عن «لسان التفاحة»، وهو قد يتصور أن البرتقالة تراه وتسمعه.

وكثيرا ما يستغل الآباء هذه الظاهرة للسيطرة على الطفل، ولتخويفه، وضمان طاعته فنحن نقول له إن «العصفورة» قالت عنه كذا وكذا، وإنها تخبرنا بكل ما يفعله وبكل ما يدور في نفسه، وهذا ما يجعله أيضًا يصدق الخيالات الموجودة في قصص الأطفال، ويظن أنها حقيقية.

عاشرًا- توظيف ما سبق: إن كل ما سبق بيانه يمثِّل مرتكزًا مهمًّا للتعامل مع الطفل لغويًّا:

١) على المستوى التعليمي، وذلك في تصميم المقررات التعليمية لأطفال الحضانة، وأطفال المدارس الابتدائية.

٢) على مستوى الكتابة الأدبية: في قصص الأطفال.

٣) على المستوى التثقيفي والترفيهي: في القنوات الفضائية الخاصة بالطفل، أو في برامج الطفل المختلفة في الإذاعة والتلفزيون، أو حتى على مستوى تصميم ألعاب لغوية للأطفال.

سادسا- اللغة ظاهرة اجتماعية:

اللغة ضرورة اجتماعية وحضارية، وهي نشاط ينتظم البشر كافة. وكما سبق فإنها قدرة لا تولد مع الإنسان كما تولد معه قدرته على التنفس والرضاعة والحركة والسمع، بل على كل فرد من أفراد الجنس البشري أن يخوض تجربة اكتساب اللغة من أفراد المجموعة البشرية التي ينتمي إليها، سواء أكان مدركا لهذه الحقيقة أم غير مدرك لها، فإذا تعلم الطفل لغة قومه وأتقنها أصبح لديه ما يؤكد به وجوده فى مجتمعه، ومهما بلغ ما يحصله الإنسان من مظاهر حضارية من علوم ومعارف، وطرق ووسائل مادية فإنه يشعر أنه يعتمد اعتمادًا كليا على ما لديه من قدرة لغوية لتحقيق أهدافه.

وتصوُّر مجتمع بشري دون لغة هو أمرٌ بعيد كل البعد عن التصديق بل هو أمر لا مجال للتفكير فيه، فاللغة أداة تواصل وتعاون تربط مجموعة بشرية منفصلة بعضها ببعض، وهي الوسيلة التي يلجأ إليها عضوٌ في مجتمع بشري استجابة لمؤثرات مُعَيَّنة ليحصل بدوره على استجابة فعّالة من عضو آخر (أو أعضاء آخرين) من أعضاء المجتمع.

واللغة ذات وجود كلي في حياة البشر، وهى جزء لا يتجزأ من ماهية الفرد وهويته، وهي المشكِّل لنشاط أفراد المجتمع الواحد ولتجاربهم، والمعبر عما يأتون به من أفعال، ويحسّون به من مدركات، ويمارسونه من تقاليد وعادات، ويؤمنون به من معتقدات، فاللغة – أية لغة – تتأثر بحضارة المجتمع، ونظمه السياسية والاقتصادية، وديانته، وعقائده واتجاهاته الفكرية ودرجة ثقافته ونظرته للحياة، وشئونه الاجتماعية الخاصة والعامة ... إلى آخر تلك الصفات

والمميزات التي تَسِمُ مجتمعًا ما من المجتمعات.

وكل تطور يحدث في ناحية من هذه النواحي يتردد صداه في وسيلة التعبير وهي اللغة، ولذلك تُعَدّ اللغات أصدق سجل لتاريخ الشعوب، فبالوقوف على المراحل التي اجتازتها لغة ما، وفي ضوء خصائص اللغة في كل مرحلة تاريخية ما يمكن استخلاص الأدوار التى مر بها أهلها في مختلف مظاهر حياتهم.

فاللغة مرآة ينعكس فيها ما يسير عليه الناطقون بها في شئونهم، فعقائد الأمة وتقاليدها، وما تخضع له من مبادئ في نواحي السياسة والتشريع والقضاء والأخلاق والتربية وحياة الأسرة، وميلها إلى الحرب أو جنوحها إلى السلم، وما تعتنقه من نُظُم بصدد الموسيقى والنحت والرسم والتصوير والعمارة وسائر أنواع الفنون الجميلة، كل ذلك وما يشابهه يصبغ اللغة بصبغة خاصة في جميع مظاهرها، في الأصوات والمفردات والدلالة والنحو والأساليب.

وبخصوص اللغة العربية فإن اللغة تعكس لنا ألوانًا من البيئات المتنوعة التي كان العربي عرضة لها آنئذٍ، كأسماء الكائنات الحية وغير الحية التي كان على اتصال بها أو المعرفة، وأنواع الأسلحة التي كان يستعملها في حروبه وغاراته، والموازين والأثقال التي كان يصطنعها في بيعه وشرائه ونحوه كما أنها تعكس لنا أيضا شيئا من أثر البيئة الطبيعية في نفسه وإحساساته، ففى ميسورك مثلا أن تقرر عن طريق إحصاء الأسماء التي تعبر في اللغة عن ضروب المصائب والرزايا من ناحية، والأسماء التي تعبر عن مظاهر اللهو والعبث من ناحية أخرى، ثم الموازنة بين هذه وتلك – في ميسورك عن طريق هذا أن تقرر ما إذا كانت بيئة العرب قبل البعثة الإسلامية بيئة قاسية مظلمة قاحلة أم بيئة مشرقة سمحة خصبة.

وليس ذلك وحسب، بل في ميسورك الاستدلال بالألفاظ العربية – الأصيل منها والدخيل – على مختلف التقلبات السياسية التي طرأت على المجتمع الإسلامي في غضون تاريخه الطويل الحافل، وبالتالي الاستدلال على مختلف

الأدوار الاجتماعية التي تقلبت عليه، ومقدار نفوذ كل من العناصر الفلسفية والعِرْقية فيه، فإذا كانت الألفاظ الفارسية مثلا في الآداب والفنون أغزر من الألفاظ اليونانية دل ذلك على أن نفوذ الفرس من هذه الناحية كان أكثر من نفوذ اليونان، وإذا كانت الألفاظ اليونانية في ميدان الفلسفة أوفر من الألفاظ الفارسية والهندية دل ذلك على أن العرب قد تأثروا بالفلسفة اليونانية أكثر من تأثرهم بفلسفة الفرس والهند.

غير أن الوصول إلى هذا الاستدلال ليس باليسير الهين لأن المعجم العربي ناقص من وجوه كثيرة، أهمها الوجه التاريخي المدعم بالشواهد والأدلة والذي يحدد لنا تاريخ شيوع ظاهرة ما أو لفظ ما.

كما أن عثورنا خلال أزمنة التيقظ الفكري والنهضات الكبرى الدينية والثورية والاجتماعية على أسماء الأعلام الذائعة بين الأوساط العامة لأنها – غالبا – أسماء بعض الزعماء أو القادة أو الأنبياء الذين لهم الفضل كل الفضل في بعث هذه النهضات وإحيائها – هذه الأعلام يستدل منها على ما لهؤلاء المصلحين من حظوة لدى الجمهور، وما لتلك النهضات من سحر في أفئدة العامة.

وتتعاظم أهمية اللغة حين تقل الآثار والوثائق أو تنعدم خاصة حول حياة الإنسان الأولى التي لا نجد لدراستها من المصادر الأولية سوى اللغات وبعض الآثار الجيولوجية.

فمن ذلك محاولة العلماء الغربيين الاستدلال بألفاظ اللغات «الهند وأوربية» على موطن «الهندوأوربيين» الأصلي ووصف بيئتهم الطبيعية والاجتماعية، وما إذا كانوا يعرفون البحار والأنهار والأحراش، وأي أنواع الحيوانات كانوا على اتصال وثيق بها، وهل عرفوا الحديد والبرونز قبل تشتتهم وانقسامهم قبائل وشعوبا، أكانوا على درجة كبيرة من التمدن والحضارة أم كانوا في طور الفطرة الإنسانية العريقة في البداوة ؟ إلى غير ذلك من المعلومات الاجتماعية، وقس على ذلك محاولات المستشرقين في الاستدلال ببعض الألفاظ المشتركة بين اللغات السامية على موطن الساميين الأول ونوعه، وحضارة الساميين ومقدارها.

معجم مصطلحات الوحدة

- الصراخ العفوي.
- التصويت الانفعالي.
- التصويت الرمزي.
- المعجم الفهمي.
- المعجم الكلامي.
- الاستعمالات المجازية.
- اللغة اجتماعية.
- اللغة مكتسبة.

ملخص الوحدة الثالثة



- يولد الطفل وهو مزوَّد بحاجة فطرية إلى التعبير، وبنزعة إلى محاكاة الأصوات والتلاعب بها، وقدرة فطرية على تعلم اللغة، واكتساب مهاراتها، وكل ذلك يؤلف جذور النمو اللغوي.
- اكتساب الطفل للمعنى يمر بثلاث مراحل رئيسة: مرحلة الصراخ العفوي، والطفل السوىّ خلال ستة الشهور الأولى يتعلم معظم الأصوات التي يحتاج إليها في نطقه الكلامي.
- وفي المرحلة الثانية يقوم الطفل بإصدار أصوات أو صرخات متعمدة بهدف جذب انتباه المحيطين، ففي هذه المرحلة ينتقل من التصويت الانفعالي إلى مرحلة التصويت الرمزي، التي تتميز بتعرفه مَن حوله.
- وفي الثالثة يبدأ فيها الطفل باستعمال الأصوات كوسيلة تعبيرية، فحين تستجاب حاجاته يرتاح، هنا يبدأ باستعمال الكلمات بدلا من الأصوات والتراكيب الكلامية ليصل إلى ما يريد.
- معاني الكلمات لا تكتسب إلا بعد أن يكون الطفل قد استطاع أن يكوّن صورا ذهنية ثابتة.
- للعائلة أو المحيطين دور مهم في سرعة اكتساب الطفل للغة، ودقة هذا الاكتساب وصحته.

يبني الطفل ذخيرة من المعاني والمفاهيم بالتدريج، وإن لكل طفل معجمًا فَهْمِيًّا، وآخر كلاميًّا، والمعجم الفهمي ما يستطيع أن يفهمه، وبالمعجم الكلامي ما يستخدمه فعلا، وبَدَهِيّ أن المعجم الفهمي لأي طفل أوسع نطاقا من معجمه الكلامي. ونوع ثالث هو المعجم الكتابي، ونعني به ما يستخدمه إذا كتب، وهو قد يزيد أو ينقص عن المعجم الكلامي باختلافٍ بين الأفراد.

- اكتساب الطفل أنظمة اللغة، فمكونات اللغة تُكْتَسب وتنمو متآزرة متوازية ولا تُكْتَسب بشكل متتالٍ.
- يغلب على لغة الأطفال في مراحلها الأولى أن تتناول المحسوسات لا المجردات.
- يسمع استعمالات مجازية لبعض الكلمات التي تعلمها للدلالة على بعض أجزاء الجسم الإنساني «رجل الكرسي»، ومما يسهل عليه قبول هذه الاستعمالات المجازية أنه يرى أن كل شيء حوله حيٌّ.
- اللغة ضرورة اجتماعية وحضارية، وهي نشاط ينتظم البشر كافة.
- تصوُّر مجتمع بشري دون لغة هو أمرٌ بعيد كل البعد عن التصديق.

فاللغة مرآة ينعكس فيها ما يسير عليه الناطقون بها في شئونهم، فعقائد الأمة وتقاليدها، وما تخضع له من مبادئ في نواحي السياسة والتشريع والقضاء.

أسئلة على الوحدة الثالثة

س١: اختر الإجابة الصحيحة:

١- المعجم الفهمي عند الطفل... نطاقًا من معجم الطفل الكلامي.

أ- أوسع. ب- أضيق. ج- أقل. د- أعمق.

الإجابة : أ.

٢- متوسط المعجم الكلامي عند الطفل حتى العام الرابع يقرب من....

أ- ألف كلمة. ب-ألفي كلمة. ج-خمسة آلاف. د-ثلاثة آلاف.

الإجابة : ب.

٣- يغلب على لغة الطفل في المراحل الأولى أن تتناول......

أ- المجردات. ب- المحسوسات. ج- التصورات. د- المجازات.

الإجابة : ب.

٤- تظهر في لغة الطفل..... قبل.......

أ- الأسماء، الأفعال والحروف. ب- الأفعال، الأسماء والحروف.

ج- الحروف، الأسماء والأفعال. د- الأفعال، الحروف والأسماء.

س٢: يكثر في حياتنا اللغوية استعمالات المجاز. ماذا يشكل هذا للطفل ؟وكيف يمكنه التعامل معه؟

س٣: هل يكتسب الطفل اللغة نظاما نظاما؛ بمعنى الأصوات أولا ثم الصيغ ثم التراكيب؟ وضِّح من خلال ملاحظاتك وما درسته.

الإجابة :

مكونات اللغة تُكْتَسب وتنمو متآزرة متوازية ولا تُكْتَسب بشكل متتالٍ.

ليس معنى القول إنه يفهم أكثر مما يتكلم أننا نفصل اكتساب المعنى عما سواه من الأنظمة، إذ من الصعب أن يتحقق هذا في الواقع اللغوي. إنما الفصل هنا بغرض تسليط الضوء على جزئية معينة.

يغلب على لغة الأطفال في مراحلها الأولى أن تتناول المحسوسات لا المجردات: وتعليل ذلك أن الطفل أول ما يتعلم الحديث – يبدأ بما تقع عليه حواسه، وبما يسميه علماء اللغة (أسماء الذوات) كمقابل (لأسماء المعاني).

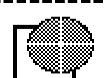
أما الأفعال والحروف فلا تظهر في لغته إلا بعد الأسماء المُحَسَّة، وأما أسماء المعنويات مثل: (حب) و(حنان) و(فرح) و(نسيان)، فهي تختلف في ظهورها، بما أنها تقتضي خبرات معينة، في مواقف معينة تهيئ للطفل عملية (التعميم)، وذلك لأن قدرة الطفل على التعميم لا تتأتى إلا متأخرة بعض الوقت. ومن أجل هذا نجد كلمات مثل (الحرية) و(الشعور) و(الكرامة) لا تعني شيئا بالنسبة للطفل في هذه السن (٥-٧). ولكن اكتساب هذه المعاني الحسية يستغرق منه وقتا، فهو قد يسمي الحصان «حمارا». وقد يطلق على أنفه كلمة «عين».

س٤: في رأيك: هل زيادة المعجم اللغوي عند الطفل دليل إيجابي؟ فكيف نزيد هذا المعجم؟ هل إعادة العمل بنظام الكتاتيب يمكن أن يُسهم؟

س٥: اشرح مفهوم أن اللغة ضرورة اجتماعية حضارية.

س٦: حينما نعرف أن اللغة مرآة ينعكس فيها حياة الناطقين. ما الذي يترتب على ذلك؟

س٧: تتعاظم أهمية اللغة حين تقل الوثائق. هل هذا ينطبق على أمتنا؟ وما دلالته؟



الوحدة الرابعة
وظائف اللغة ونشأتها

الأهداف:

بعد دراسة هذه الوحدة ينبغي؛ أن يكون الدارس قادراً علي أن:

١- يعرف ما تقوم به اللغة من وظائف عديدة في المجتمع.

٢- يصنف أهمية الوظائف وفق أولويتها وضرورتها في المجتمع.

٣- يلاحظ تنوع أشكال اللغة حسب الوظائف المنوطة بها.

٤- يقارن أهمية اللغة المنطوقة باللغة المكتوبة، مع التركيز على الأدوار التي تقوم بها المكتوبة.

٥- يعرف ما دار من مناقشات كثيرة ومتنوعة قام بها تخصصات عديدة حول نشأة اللغة الإنسانية.

٦- يستخلص من النظريات المطروحة رأيا فيما جاء به الغرب والعرب تجاه القضية مستندًا إلى الأسباب.

العناصر:

– وظائف اللغة. - نشأة اللغة :

أولا- الأدلة والشواهد.

ثانيا- النظريات الغربية في نشأة اللغة.

ثالثا- النظريات العربية.

الرأي الأول: نشأة اللغة توقيفية (الإلهام).

الرأي الثاني: اللغة اصطلاحية (المواضعة والاتفاق).

الرأي الثالث: اللغة إقدار إلهي للبشر.

الكلمات المفتاحية:

الحيوانات - العليا – الانفعالية – الغريزية - اللغة – اصطلاح - مواضعة - توقيفية - المحاكاة - نظرية - نتاج - الجماعي.

أولاً- وظائف اللغة[1]:

تقدم قولنا إن اللغة ظاهرة اجتماعية، أوجدها المجتمع لتؤدي عدة وظائف، وقد حاول العلماء قديما أن يحددوا وظيفة اللغة، وفي إطار هذه المحاولة يقع تحديد ابن جني وابن خلدون وقد ذكرنا تعريفهما للغة في مقدمة الوحدة الأولى من هذا الكتاب.

يقول ابن جني حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم «ويقول ابن خلدون» اللغة في المتعارف هى: عبارة المتكلم عن مقصوده «والملاحظ أن الوظيفة هنا وظيفة عامة، ويمكن إذا أنعمنا النظر أن نجد للغة عدة وظائف تقع في إطار هذه الوظيفة العامة.

ولكي نأخذ فكرة شاملة عما يمكن أن تقوم به اللغة في المجتمع، لابد أن ننظر في اللغة على أساس أنها مظهر من مظاهر السلوك الإنساني، إن لم تكن أهم تلك المظاهر جميعا.

وقد عدّد بعض علماء اللغة المعاصرين وظائف اللغة، فبلغت عندهم ثماني وظائف هي:

١- التحية:

إن أول الوظائف اللغوية أو مظاهر السلوك اللغوي، تلك التي تشبه إلى حد كبير ما تؤديه الحيوانات من الأصوات والحركات الجسمانية هي استعمال اللغة للتحية بأنواعها، ولإظهار التأدب والتلطف وذلك فى المناسبات الاجتماعية المختلفة كمناسبة اللقاء، والجلوس معا فى مكان واحد، والحفلات الاجتماعية وما

---

(١) انظر في هذا: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة – نايف خرما ص : ٢٠٨ – ٢١٥ .

شابهها. فأنت ترى أو تقابل أحد الجيران أو المعارف صباحا فتقرئه السلام المعتاد، ويرد هو السلام بالشكل التالي مثلا:

- صباح الخير.

- صباح الخير.

- كيف الحال.

- حسن، الحمد لله.

وينتهي الحديث ويذهب كل منكما في سبيله. ويمكن بالطبع أن تستعمل تعابير أخرى مختلفة، ولكنها كلها تؤدي نفس الوظيفة. فما هي هذه الوظيفة؟ وهل نفهم من هذه التعبيرات معانيها الحَرْفية مثلا؟ لنفترض أن جارك هذا كان في أزمة مالية أو في حالة نفسية سيئة لأي سبب من الأسباب فهل تختلف إجاباته عما ذكرناه ربما اختلف بعض الشيء، كأن يجيب عن سؤالك عن حاله قائلا: ماشي الحال، الحمد لله. ولكن ليس من المنتظر أن يجيبك قائلا «زي الزفت» مثلا. فعباراتك وعبارته إذن تكاد تكون عبارات مُقَنَّنة أو «كليشيهات» متعارفا عليها في المجتمع الذي تعيش فيه أنت وجارك لا تعني أي منها بالفعل ما تعنيه كلماتها حرفيا، إذ ليس هذا المقصود منها.

إن المقصود من مثل هذه العبارات، ومن الأحاديث عن الطقس ومن الأحاديث التي تدور في الحفلات التي يجتمع فيها مِن الناس مَنْ لا يعرف بعضهم البعض الآخر معرفة جيدة أو أنهم يعرفون بعضهم بعضا معرفة جيدة ولكنهم يجتمعون بشكل متكرر جدا لدرجة أنهم لا يجدون موضوعا مهما يتحدثون فيه – إن القصد من هذه الأحاديث على ما يبدو لا يعدو أن يكون إقامة العلاقات الاجتماعية أو تأكيد تلك العلاقات. فوظيفتها الأولى إذًا وظيفة اجتماعية إذ ليس فيها من الأفكار أو المعلومات ما هو هام يحتاج إلى توصيلٍ من فرد إلى آخر. وهذا لا يعني بالطبع أن هذه الوظيفة قليلة الأهمية، بل إنها في الواقع أحد الأسس التي يقوم عليها الشعور بالانتماء الاجتماعي والعبارات

المختلفة المستخدمة للتحية وتلك المستخدمة للتأدب عند مخاطبة الغير لها وظيفة اجتماعية أخرى. فهي في كثير من الحالات تدل على الطبقة الاجتماعية أو المركز الاجتماعي الذي يشغله كل من المتكلم والمخاطب على السواء كما تدل على العلاقة بينهما، يتبين ذلك إذا وضعنا أمامنا تلك العبارات التي تستخدم في تحية الصباح:

١- السلام عليكم.

٢- صباح الخير.

٣- صباح الفل.

٤- صباحين وحتة.

٥- يسعد صباحك.

فلكل من هذه العبارات دلالة على المستوى الثقافي لقائلها، فقائل «السلام عليكم» رجل ملتزم دينيا، وقائل «صباح الخير» رجل يتحدث العامية، قد يكون مثقفا أو غير مثقف لكنه مهذب، وقائل «صباح الفل» رجل عامي غير مثقف يحيِّي زميلا له، وقائل «صباحين وحتة» رجل سوقيّ مبتذل. أما قائل «يسعد صباحك» فهو امرأة.

وقد ينتقل الفرد من مستوى إلى مستوى، وذلك تلبيةً لرغبات محددة لديه.

٢- الاستعمال الديني:

شبيه بهذه الوظيفة اللغوية استعمال اللغة في أداء العبادات الدينية والأوردة والأدعية من ناحية واستعمالها فى طقوس السحر والشعوذة... إلخ من ناحية أخرى. ففي الحالة الأولى تكون وظيفة اللغة الأساسية هي إقامة أو متابعة الاتصال بالخالق، كما تكون لها وظيفة فرعية هي تأكيد أواصر الصلة بين أبناء ذلك المجتمع الذي يدينُ بدينٍ معين، فإن اللغة التي تستعمل في المراسم الدينية لا

يهم معناها الحرفي بقدر ما يهم مجرد استعمال صيغ معينة موحدة متعارَف عليها بين أفراد المجتمع الواحد. ونحن هنا لا نتكلم فقط عن لغة الكتب السماوية فهذه بطبيعتها ثابتة لا تتغير، يحاول المجتمع بكل طاقته المحافظة عليها دون أي تغيير ولكننا نشير إلى اللغة التي هي من وضع الإنسان كلغة الأذان أو خطبة الجمعة أو الأحد ولغات المناسبات المختلفة كعقد القِران وألفاظ الطلاق والوفاة والدفن والتعزية والتهنئة، واللغة المستعملة في القَسَم، ولغة السؤال، واستفتاح الكلام أو الكتاب ثم لغة الصوفية والزاهدين ثم لغة المشعوذين وأضرابهم.

وهذه اللغات تتميز عادة ببعض ميزات خاصة كاستعمال الكلمات الغامضة والقديمة والاستفادة من الإمكانات الصوتية للغة لإضفاء الجَرْس الموسيقي عليها، واستعمال الرمز والمجاز على نطاق واسع، كما أنها تتميز بصفة هامة جدًا هي المحافظة الشديدة بحيث يستمر نص معين قيد الاستعمال أحيانا لمئات السنين بدون تغيير أو تبديل. وبسبب قلة أهمية المعنى الحرفي لعبارات هذا الاستعمال اللغوي يصل الأمر إلى استعمال لغة غير معروفة في العصر الحاضر لغة للمراسم الدينية كاستعمال اللاتينية حتى عهد قريب في الطقوس الدينية لجميع الطوائف المسيحية لمئات السنين، واستعمال السنسكريتية للطقوس الدينية الهندية، والقبطية للطقوس الدينية المسيحية فى مصر، والعربية لإقامة الشعائر الدينية للمسلمين الذين لا يعرفون اللغة العربية.

فوظيفة اللغة هنا إذًا مرتبطة بالعلاقة الشخصية بين العبد وربه من ناحية، كما أنها تدل على انتماء الفرد لأسرة دينية معينة من ناحية أخرى. فقولُ أحدهم» السلام عليكم» أو» بسم الله الرحمن الرحيم» أو» لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»، تدل في الحال على انتمائه إلى مجتمع إسلامي، وأما قولُ آخر» الرب حافظك» أو» باسم الأب والابن والروح القدس» أو» الله محبة»، فإنه يدل دلالة مباشرة على الانتماء إلى مجتمع مسيحي، وذلك بغض النظر عن المعنى الحرفي لأي من هذه العبارات.

٣- استعمال قانوني (اللغة = الفعل):

ثم هناك استعمال آخر للغة في مناسبات رسمية، وبعضها ذات طابع ديني أو قانوني أيضا كالمحاكمات والبيع والشراء والزواج والطلاق، إّلا أن وظيفة اللغة هنا لا هي اجتماعية صرفية ولا هى شكلية قليلة المعنى، ولا هي في نفس الوقت نقل المعلومات أو الأفكار. فعندما يعقد قران أحد الناس، ويقول وكيل الفتاة مثلا: زوَّجتُك وأنكحتك موكلتى ... إلخ ويجيب العريس أو وكيله قائلا: قبلت زواج موكلتك ... إلخ فإن لكلامِ كل منهما وقع الفعل، فقد تم عقد القران بمجرد نطقهما بتلك العبارات أمام الشهود. ولعل هذا هو ما دفع بعض رجال الدين من التحذير بالتلفظ بهذه الصيغة في مجال الأعمال الفنية؛ وذلك لخطورة هذه الألفاظ، وحمايته من أن تُفَرَّغ من معناها، ورأوا أن النطق بهذه الصيغة في الأعمال الفنية، ينشئ فعلًا وضعًا جديدًا بين الرجل والمرأة، وهو الزواج.

ونفس الوظيفة يؤديها الكلام المتعلق بالطلاق، فطالما يقول الرجل لزوجته: «أنت طالق ... إلخ»، فقد حُرَّمت عليه، وأدت العبارة وظيفة الفعل وينطبق الكلام على أحكام المحاكم، عندما ينطق القاضي بالحكم قائلا: حكمت المحكمة بكذا ...».

٤- إصدار الأوامر:

للغة وظيفة أخرى نحاول عن طريقها السيطرة على محيطنا بشكل دائم ومنظم، هذه الوظيفة هي: إصدار الأوامر، والتحكم في تصرفات الآخرين، أو السيطرة على أشياء أخرى في البيئة المحيطة بنا. وتشمل هذه الوظيفة نواحي كثيرة من حياتنا اليومية منذ أن نستيقظ من نومنا. إن جزءًا كبيرا من اللغة التي نستعملها خلال حياتنا اليومية يتألف من نوع من الأمر والنهي بكل أشكالهما الأسلوبية (أمر – طلب شديد، طلب عادى، رجاء، استجداء، دعاء، ترجٍّ... إلخ)، ونحن نحصل بواسطة هذه الوظيفة على:

أ) ما نتمناه ونرجو تحقيقه، ويقع المتكلم هنا في مرتبة أقل: وتلاحظ ذلك في:

دعاء العبد إلى الله سبحانه وتعالى ـ رجاء الابن من أبيه ـ رجاء المواطن

من المسئولين... إلخ.

ب) ما نريد تنفيذه، وهنا يقع المتكلم في سلطة أعلى، ونستطيع أن نلاحظ ذلك في لغة الأمر الصادرة من:

من الأب إلى أبنائه ـ من الأستاذ إلى طلابه ـ من الرئيس إلى مرؤوسيه... إلخ.

جـ) ما نحتاج إليه من أمور مادية، وهنا لا يلحظ أطراف الحوار أنها لغةٌ آمره، لكثرة ما تعودوا عليها، وهذا النوع من الأوامر يكون غالبًا مُخَفَّفًا ببعض كلمات التلطيف (لو سمحت ـ من فضلك ـ بعد إذنك...)، ومن الممكن أن تُستعمَل هذه الكلمات في المستوى السابق، لكنه ليس دائمًا، ثم إن صاحبه يوصف عادة بأنه مهذَّبُ جدًّا ذو أخلاق عالية، لأنه يستخدم ألفاظًا ليس مضطرًّا إليها، ولن يعاتبه أحد إذا لم يستخدمها.

تلاحظ ذلك في طلب طعام الإفطار أو الغداء... إلخ، أو الملابس التي نرتديها أو كالأمور الكثيرة الأخرى التي نريدها أن تُنَفَّذ في نطاق حياتنا الاجتماعية أو الوظيفية وهكذا.

٥- نقل المعلومات:

في حياتنا العادية تختلط الأوامر والنواهي المذكورة في الفقرة السابقة بالسؤال عن الأشياء والرد على السؤال بإعطاء بعض المعلومات مهما كانت قيمة تلك المعلومات، كأن تسأل زميلك قائلا أين كتابي؟ فيجيبك: مع محمد، وكسؤال أحدهم عن الوقت، وإجابته بأن الساعة كذا، وهذه الوظيفة هي إحدى الوظائف الأساسية التي يشار إليها بوظيفة الاتصال.

والمعلومات التي تنتقل من شخص إلى آخر أو من فرد إلى مجموعة مؤلفة من عدد صغير أو من آلاف أو ملايين الناس، ليست كلها معلومات عادية تتعلق بأمور الحياة اليومية، بل إن تلك المعلومات التى يتم نقلها فى اجتماعات تجارية أو اقتصادية أو سياسية أو عملية ذات مستوى رفيع، هي معلومات في غاية الأهمية وتؤثر على حياة الملايين. أما لغة الخطب ولغة الصحف ولغة الإذاعة

والتليفزيون التي تمتلئ بها حياتنا طوال النهار والليل، فإن فيها من المعلومات ما هو هام وفيها ما هو غير هام، ولكن فيها أيضا أمرًا آخر غير المعلومات فمعظم ما يقال وما يكتب فى وسائل الإعلام تلك يقصد إلى التأثير على البشر وإقناعهم إما بشراء بضاعة أو بالإيمان بمبدأ أو بتأييد مرَشَّح، أو بتغيير سلوكهم بطريقة ما أو .... أو ... إلخ، ففي اللغة إذن كثير من التوجيه والإقناع، أي كثير من محاولة التأثير على البشر لا مجرد نقل المعلومات إليهم.

٦- التعبير عن المشاعر:

ولا شك أن اللغة تستعمل أيضا للتعبير عن المشاعر المختلفة من سعادة وفرح وحزن وغضب واستياء ... إلخ، ويتراوح مستوى التعبير عن تلك الأحاسيس من التصفير أو الغناء دلالة على الفرح والسعادة، أو الشَّتْم دلالة على الغضب الشديد، إلى أرقى أنواع الآداب من شعر ونثر. وفي معظم هذه الحالات يكون استعمال اللغة نوعا من التنفيس عما في داخل الإنسان، بصرف النظر عما إذا كان هناك من يسمع ذلك الكلام أم لا.

كما يكون استعمال اللغة هنا أيضا من قبيل مشاركة الآخرين أفراحهم وأحزانهم، فأنت حين تعبرعن فرحتك بنجاح صديق لك وتهنئه بذلك، أو حين تُظْهِر حزنك على ما أصاب صديقا لك من مكروه وتبدو متعاطفا معه، حين تفعل ذلك فإنَّك تنمِّي روح الألفة والمحبة والود بين أفراد المجتمع الواحد الذى «إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى».

٧- التعبير عن الفكر:

هنا تؤدي اللغة وسيلة عظيمة، يتمكن بها البشر من التعبير عن أفكارهم، وتكاد تكون وجهًا آخر للوظيفة السابقة (التعبير عن المشاعر)، غير أن المشاعر مسألة غريزية يستوي فيها كل البشر، أما هنا فهي تعبير عن إعمال العقل، فكأنها ليست متاحة لكل البشر، بل لمن لديهم فكر يعبرون عنه، وإذا كان (المعبِّر عن المشاعر) يكتفي أحيانًا بالتعبير دون أن يهتم بتوصيل ذلك

للآخرين، فإن (المعبِّر عن الفكر) يهتم بالدرجة الأولى بتوصيل تلك الأفكار إلى الآخرين، وهذا هو هدفه الذي يدفعه إلى التعبير عن فكره أساسًا.

وربما كان من طريف ما يُذْكر هنا أن هنالك وظيفة مناقضة لهذه وهي استعمال اللغة لإخفاء الفكر أو لإخفاء الفقر إلى الأفكار. وهذا الاستعمال شائع في لغة السياسيين، وفي لغة الخارجين على القانون فيما بينهم، وفي الكلام المحرم اجتماعيا، وفي هذه الحالات إمَّا أن يُسْتَعمل كلامٌ كبير لتغطية أفكار هزيلة، أو تستعمل عبارات خاصة معناها الخارجي الظاهر غير مقصود بل هي تشير إلى معانٍ أخرى متفق عليها بين أفراد فئة معينة من الناس فيما يعرف باللغة الاصطلاحية، أو تستعمل عبارات مهذبة مكان عبارات لا يستسيغ المجتمع استعمالها.

إن وظيفة اللغة في نقل الأفكار من أهم وظائفها جميعا، ومنذ اختراع الكتابة وتسجيل الأفكار بها تمكَّن البشر من نقل تلك الأفكار عبر القرون وكانت نتيجتها هذه الحضارة المتقدمة جدًّا التي يعيشها سكان العالم.

٨- وظيفة اللغة المكتوبة:

هي وظيفة مستحدثة بالنسبة إلى تاريخ اللغة؛ إذ الكتابة تشكِّل طورًا حضاريًّا متقدمًا في تاريخ اللغة، ومنذ أن بدأ الإنسان في كتابة لغته أصبحت هذه اللغة المكتوبة تؤدي وظيفةً غايةً في الأهمية، فعلى الرغم من أنه من الممكن أن يقوم مجتمع معين بحفظ دينه وتراثه وأساطيره وآدابه وعاداته بالطريقة الشفوية، أى عن طريق نقل التراث شفويا من جيل سابق إلى جيل لاحق، فإن ذلك التراث معرَّضٌ للضياع أو التحريف والتغيير لأسباب تتعلق بالحفظ والذاكرة، كما تتعلق بالنفس البشرية، ولكن نفس المجتمع إذا تطور فأصبح مجتمعا معقَّدًا وزاد تراثه زيادة هائلة بحيث لم يعد بالإمكان الاعتماد على الأفراد وذاكرتهم، فإن الوسيلة الوحيدة لحفظ ذلك كله هو تسجيله كتابةً، والواقع أن الأمة التي لم تستعمل الكتابة قط قد فقدت معظم تاريخها وتراثها،

كما هو الحال مثلًا في الأمة العربية التي لا يمكن التأريخ لها إلا قبل مائتي عام تقريبًا قبل الإسلام. كما أنه لم يعد ممكنا الآن بحال من الأحوال الاعتماد على اللغة المنطوقة، وقد زاد من أهمية اللغة المكتوبة فى وقتنا هذا استخدام الآلات الحديثة التي تعرض صورًا للمخطوطات، والنقوش التي تيسِّر للباحث قراءتها في أكثر من مكان، وزاد من ذلك أيضًا اختراع الحاسوب (الكمبيوتر) لحفظ هذا الكم الهائل من المعلومات والعلوم والآداب ومعالم الحضارة الأخرى في عصرنا الحاضر، ومن ثم استدعاؤه في أي وقت، وتبادله أيضًا من خلال الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت)، وفى ذلك مصلحة للدارسين والباحثين حاليا والأجيال القادمة.

ثانيًا- نشأة اللغة:

هذه قضيةَ نشأة اللغة وما يتبعها من توزعها إلى فصائل، ثمَّ توزُّع الفصائل إلى لغات، وتنوع اللغة الواحدة إلى لهجات ومستويات، واللغة المشتركة وتنوُّعِها، فالمنطق وواقع الأمور يفرضان أن اللغة في أول نشأتها كانت واحدة، ثم مرت عليها عوامل فتتتها، وجعلتها لغات متعددة، وحتى لو كانت اللغة نشأت متعددة كما تقول بعض الآراء، فإنها أيضًا ازدادت أعدادها بفعل العوامل التي سنشير إليها.

وبالطبع لن نسأل هنا عن ماهية اللغة الأولى التي نطق بها الإنسان، على الرغم من اهتمام كثير من الباحثين بالإجابة عنه، والسبب في ذلك أن البحث في هذا الموضوع يؤدي إلى كثير من الاضطراب، والفلسفات، كما يعتمد أحيانًا على تصورات دينية؛ إسلامية ويهودية، هي في حقيقة الأمر اجتهادات، وآراء تفسيرية وليست حقائق علمية.

وسوف يكون منهجنا موازيًا لحقيقة الأمور، فنبحث أولًا في نشأة اللغة، ثم في أسباب تفرع اللغة الواحدة إلى عدة لغات ومستويات، ثم حديث عن الفصائل اللغوية، لأنها هي الناتج الطبيعي لهذه الأسباب ثم نضيِّق البحث، فنتناول

التنوعات داخل اللغة الواحدة.

دار نقاش طويل حول موضوع نشأة اللغة، وأعتقد أن السبب في تشعب المناقشات يرجع إلى عدة أسباب؛ لعل من أهمها:

١- **جاذبية الموضوع:** فالحديث عن نشأة الأمور يجذب عددًا كبيرًا من الدراسين، بل من المثقفين بوجهٍ عامّ.

٢- **تعدد اهتمام المناقشين:** منهم اللغويون، والفلاسفة، ورجال الدين، والأنثروبولوجيون، ومنهم كذلك بعض المهتمين غير المتخصصين، وكل صنف من هؤلاء ينطلق من المبادئ التي يقضي بها تخصصه، أو تقضي بها معارفه، كما أن الهدف من البحث في هذا الموضوع، وما يترتب عليه يختلف من طائفة إلى طائفة.

٣- **غيبة الشواهد المادية:** ففي غيبة الشواهد المادية الملموسة في شكل نقوش مثلا، ينفتح الباب على مصراعيه للاجتهاد البشري، وهو متاحٌ للجميع دون قيود.

وقبل أن نأتي على ذكر هذه الآراء، نشير إلى أربع ملحوظات مهمة:

١) أن معظم النقاش دار حول: كيف نشأت اللغة ؟ أما: متى نشأت اللغة ؟ فلم يُثِر قدرًا مماثلًا من النقاش، بل إن بعض المؤلفات اللغوية لا تتعرض له بالحديث.

٢) أنه ليس هناك نظرية متكاملة، يمكن أن يعود إليها وحدها تصوُّر نشأة اللغة، بل التصور الكامل يأتي من الإفادة منها جميعًا، ذلك أن كل رأي له شواهد من اللغة نفسها، فهي مفيدة في تكاملها، ضعيفة في انفرادها.

٣) أن الجمعية اللغوية بباريس رأت في عام ١٨٨٦ م، أن موضوع نشأة اللغة ليس من الموضوعات التي يمكن البحث فيها، أو الإتيان فيها بجديد، وأنه يكفي ما قيل فيها من نظريات أو آراء، ولذلك تلاحظ أن

ما يُطرح من آراء ونظريات بقي هو هو على مدار عشرات السنين لم يُضَف إليه جديد.

٤) أن بعض أصحاب الآراء والنظريات يناقش المسألة بعيدًا عن النصوص الدينية معتمدًا على الأدلة العقلية وحدها، لكن ليس معنى ذلك أنه ينفيها، كل ما في الأمر أنه لم يشر إليها فقط، أي سكت عنها، وبعضهم يستدل بالنصوص الدينية على وجهة نظره، وإن كانوا يختلفون أيضًا في تفسير هذه النصوص.

وسوف نُلِمُّ إلمامًا سريعًا بما قيل في هذا الموضوع من خلال ثلاثة عناوين(١):

أولًا- الأدلة والشواهد.

ثانيًا- النظريات الغربية.

ثالثًا- النظريات العربية.

أولًا- الأدلة والشواهد:

فنحن هنا نبحث في نشأة شيء دون أدلة مادية أو شواهد ملموسة تجعل الباحث على درجة يقينية، وكان لا بد في غيبة هذه الشواهد من الاعتماد على شيء مُشاهَد وفي متناول النظر والبحث، فاعتمد بعض العلماء على بعض الشواهد، لكن كل شاهد أو دليل كان يتضمن مشكلة، أو يعترض عليه مُعترِض، وسوف نذكر هنا بعض هذه الأدلة والشواهد وما أثارته من مشكلات أو اعتراضات:

الشاهد الأول- لغة الأطفال:

يرى بعض الباحثين أن الاعتماد على ملاحظة اكتساب الطفل للغة يساعدنا

---

(١) لمراجعة تفصيلات هذا الموضوع انظر: (علم اللغة) للدكتور علي عبد الواحد وافي، و(اللسان والإنسان) للدكتور حسن ظاظا، و(اللغة) لفندريس (المدخل إلى علم اللغة) للدكتور رمضان عبد التواب، و(مدخل إلى اللغة) للدكتور محمد حسن عبد العزيز .

على معرفة كيف نشأت اللغة عند الإنسان، فقد لاحظوا أن الطفل يبدأ باستخدام أسماءٍ، سواء أكانت أسماء لأشخاص محيطين به أو أشياء تقع في محيطه ومتناول يده أو نظره، ولاحظوا من الناحية الصوتية أن الكلمات الأولى التي ينطقها الطفل هي في الغالب مكونة من مقطع واحد طويل، مثل: با ـ ما ـ نا ـ دا...، وأنه قد يكرر هذا المقطع فيقول: با با ـ ما ما ـ دا دا... فأرادوا أن يبنوا على ذلك الشاهد تصورَ كيفية نشأة اللغة؛ وذلك بأنها بدأت بكلمات مكونة من مقطع طويل؛ واحد أو مكرر، وقالوا: ربما يكون الإنسان قد بدأ تاريخه مع اللغة بمثل هذه الكلمات.

وقد اُعترض على ذلك الشاهد لسببين:

١) أن الطفل يحاكي نموذجا أمامه، يتمثل في المحيطين به من أم أو أب أو أخوة... إلخ، أما في نشأة اللغة فإن الإنسان لم يكن أمامه نموذج يحاكيه.

٢) أن الطفل يستخدم هذه الكلمات لا ليعبر بها عن مدلولٍ واحد، بل يستخدمها للتعبير عن أكثر من مدلول، فإن نطق الطفل مثلًا لكلمة (ما ما) قد يعني مناداتها، أو طلبها، أو السؤال عنها، أو الشكوى منها، أو أنه يطلب منها مالا يعرف له اسمًا أو لا يستطيع أن ينطق به... إلخ هذه المدلولات، وهذا يتنافى مع البداية البسيطة للغة، التي تبدأ بكلمة واحدة للتعبير عن مدلولٍ واحد.

الشاهد الثاني- لغة الإنسان البدائي واللغات القديمة:

فكَّر بعض الباحثين كذلك في الاستعانة بملاحظة لغة المجتمعات البُدائية، على أمل أن تلقي ضوءًا على كيفية النشأة عند الإنسان البُدائيّ، إذ لاحظوا عليه الدقة الشديدة في التعبير عن الأشياء المادية وبخاصة تلك المتوافرة في البيئة، مثل الطيور والحيوانات والنباتات، وضربوا مثلا لذلك بلغة أهل الإسكيمو وغزارة الأسماء الدالة على أنواع الثلج فيها.

وقد اعترض على ذلك الشاهد لسببين:

١) أن بعض هذه اللغات بسيط جدا، وبعضها معقد جدا، ومعنى ذلك أنها

ليست على وتيرة واحدة، فعلام نعتمد: على البسيطة جدًّا ؟ أو على المعقدة جدًّا ؟ فالأمر إذًا محل اختلاف.

٢) أن هذ اللغات التي نسمعها الآن من الأمم البدائية لا يمكن أن تمثل الصورة الأولى لتلك اللغة، بل لقد سبقتها بلا شك صور ومراحل مرت بها، حتى وصلت إلينا على هذا النحو الذي نسمعه، ومعنى ذلك أننا نعتمد على شيء متطور في تصور شيء أولي أو بُدائي، وهذا بعيد عن المنطق.

لكن مع ذلك يرى المعارضون أن الاعتماد على ملاحظة لغات الأمم البدائية يمكن أن يفيد في أمرين:

الأول: فهم بعض التغييرات التي حدثت وتحدث في اللغة؛ إذ إن كثرة الألفاظ الدالة على أمور مادية محسوسة من شأنه أن يلقي الضوء على حركة التطور الدلالي في اللغات، فإن الألفاظ تنتقل وفقًا لذلك من الدلالة المادية المحسوسة إلى الدلالة المعنوية المجرَّدة، وهذا يعني أن نشأة اللغة بدأت بأسماء ذات دلالات مادية.

الثاني: أننا يمكن بناءً على ملاحظة هذه اللغات أن نقرر أن ألفاظ الطلب والضمائر وكلمات النداء هي أقدم الأشكال اللغوية.

الشاهد الثالث- صيحات الحيوانات العليا:

كما رأى بعض الباحثين أنه يمكن الاعتماد على ملاحظة طرق الاتصال بين الحيوانات، مثل القردة العليا، التي تستخدم صيحات انفعالية، وإيماءات وإشارات، وذلك للتعبير عن الخوف والفزع، أو التحذير، والتخويف... إلخ.

وقد اعترض على ذلك بأمرين:

١) أن الحيوان لم يطوِّر هذه الصيحات والإشارات، إذ العلاقة بين الصوت ومدلوله هي علاقة طبيعية، لا تتغير بتغير الزمان والمكان، بل بقيت كما

هي، أما الإنسان فإن العلاقة بين الصوت ومدلوله هي علاقة عرفية.

٢) أن امتلاك اللغة يتطلب قدرة عقلية متميزة، لا يتمتع بها الحيوان، وينفرد بها الإنسان، فلا يمكن إذًا المقارنة ولا الاستدلال.

وكما رأيت، فإن ما سبق من أدلة لم يقدم دليلًا دامغًا نستطيع من خلاله أن نقرر مطمئنين كيف نشأت اللغة، وهذا ما فتح الباب لاجتهادات العلماء في تصور هذه النشأة، وفيما يلي سنعرض لبعض النظريات في نشأة اللغة، وسوف نكتفي بخمس نظريات؛ ثلاث لعلماء اللغة الغربيين، واثنتين للعلماء العرب.

ثانيًا - النظريات الغربية في نشأة اللغة:

قدم كثير من علماء الغرب كثيرًا من الآراء والنظريات في نشأة اللغة، وحين نقول الغرب فإننا نقصد الغربيين في العصور القديمة والحديثة أيضًا، وليس معنى معالجتها هنا أن العرب كانوا بعيدين عن هذه الآراء، فقد قبلها بعضهم، غير أنهم لم يكونوا أصحابها، وهذه كلمة سريعة عن ثلاثٍ هي أشهرها:

النظرية الأولى- نظرية المحاكاة:

أولاً- فكرتها:

أن اللغة نشأت تقليدا لأصوات الطبيعة من حول الإنسان: خرير الماء ـ حفيف أوراق الشجر ـ مواء القطة ـ صهيل الحصان...، ثم تطورت فصارت كلمات.

ثانيًا- التعليق:

١) تفسر فقط بعض كلمات اللغة (لا تفسر: الكرامة - الواجب - الحب...).

٢) أن أبناء اللغات المختلفة يسمعون الصوت الواحد لكن يدلون عليه برموز مختلفة الديك، فنحن نحاكي صوت الديك فنقول: كوكو، أما الألماني فيقول: كيكيريكي (kikeriki)[١].

---

(١) د/ رمضان عبد التواب ـ المدخل إلى علم اللغة ص ١١٣ .

٣) أنها لا تفسر النظام الذي يتبعه الإنسان في صياغة هذه الكلمات، في اللغة العربية مثلًا يُصاغ معظمها على وزن فعيل ٠ فالنظام إذًا سابق لعملية الكلام !!

٤) أن التقليد لن ينتج إلا صيحات مشابهة لأصوات الطبيعة أو أصوات الحيوانات، وهو أمر مختلف عن إنتاج كلمات لغوية داخل نظام.

٥) أن اللغة تتضمن كلمات فيها محاكاة لهذه الأصوات لكن معناها مختلف تمامًا، مثل: الفحيح: صوت الأفعى، أما فحفح فمعناها: صحَّح المودَّةَ وأخلصها. وكذلك (وفَحَّ الرَّجُلُ فِي نَوْمِهِ يَفُحُّ فَحِيحًا وفَحْفَحَ: نَفَخَ؛ قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: هُوَ عَلَى التَّشْبِيهِ بِفَحِيح الأَفْعَى. والفَحْفَحَةُ: تَرَدُّد الصَّوْتِ فِي الحَلْق شَبِيهٌ بالبُحَّة).

٦) علَّق العالم العربي على هذا الرأي قائلًا في الخصائص: " وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي ونحو ذلك. ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد. وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل" (١).

النظرية الثانية- الانفعالية الغريزية:

أولًا- فكرتها:

إن الإنسان بدأ لغته بصفة انفعالية محضة، ولعلها كانت في البداية مجرد غناء ينظِّم بوزنه حركات المشي، أو العمل اليدوي، أو صيحة كصيحة الحيوان تعبر عن الألم، أو الفرح، أو تكشف عن خوف أو رغبة في الغذاء، ثم تطور الأمر وصارت تلك الصيحات أو الأصوات صالحة لاستعمال المجتمع للتواصل فيما بين أفراده.

---

(١) ابن جني، أبو الفتح عثمان ـ الخصائص ج١ ص ٤٧ ـ ٤٨ .

ثانيًا- التعليق:

١- تقدم تفسيرًا لبعض الاستعمالات اللغوية، لكن لا توضح لنا كيف ظهرت بقية الكلمات التي لا تعبر عن الحاجات الإنسانية ٠

٢- أن هذا المستوى وصل إليه أيضا الحيوان، ومع ذلك لم تنشأ له لغة مثل لغة الإنسان.

٣- لا تقدم لنا هذه النظرية كيفية انتقال هذه الصيحات من مجرد صيحة إلى رموز لغوية داخل نظام.

٤- تتميز هذه النظرية بأنها جعلت نشأة اللغة صادرة من الإنسان برغبته هو، وليس محاكيًا لأصوات الطبيعة كما فعلت النظرية السابقة.

النظرية الثالثة- نتاج العمل الجماعي:

أولاً- فكرتها:

ترى هذه النظرية أن اللغة نشأت من الأصوات التي تصدر عن مجموعة من الرجال الذين يؤدون عملا يدويًا شاقًّا، كتحريك صخرة، أو جر شجرة، وهذه الأصوات المنغَّمة تستطيع أن تسمعها الآن إذا ما صادفت مجموعة من العمال يعملون عملا جماعيًّا، فإنهم يستعينون على مشقة العمل ببعض الصيحات المنظمة، أو الأغاني.

التعليق:

١- من ميزات هذه النظرية أنها تقدم لنا تفسيرا لنشأة الصوامت والحركات، إذ هذه الصيحات لا تتكون إلا بمزيج من هذه وتلك.

٢- كذلك من ميزاتها أنها تظهر اللغة على أنها نتاج موقف اجتماعي، وهو أمر مقبول منطقًا وواقعًا.

٣- تقدم هذه نشأة اللغة على أنها بدأت في صورة أوامر ونواهٍ، وهذا يعني أن الأمر والنهي هما أقدم الأشكال اللغوية.

٤- هذه النظرية افترضت وجود موقف اجتماعي سابق للغة؛ فهي تقول إن

الموقف الاجتماعي كان سببًا في نشأة اللغة، على الرغم من أننا يمكن أن نتصور أن اللغة وجدت أولًا، ومن ثمَّ كانت سببًا في التجمع البشري، وهنا تكون اللغة نفسها سابقة للموقف الاجتماعي، وليست ناشئة عنه. ويمكن الرد على هذا التصور بأنه ليس هناك ما يمنع من أن يبدآ معا (اللغة ـ التجمُّع)، ثم تطورا على المستويين: كلام أكثر تعقيدا، وعمل أكثر تنظيما.

ثالثًا- النظريات العربية[1]:

قدَّم العلماء العرب أكثر من رأي يفسِّر نشأة اللغة، وقد تبنَّى ذلك أيضًا بعض علماء الغرب، قديمًا وحديثًا، لكن كلام علماء العرب في هذا الأمر لا علاقة له من قريب أو بعيد بما قاله الغربيون، وفضلنا إفراد العلماء العرب للتركيز على أنهم انشغلوا أيضًا بهذه الفكرة مثل غيرهم من العلماء، إذ إن الإنسان المفكر، في أي زمان، لابد أن يكون مشغولًا بأمر لغته؛ كيف بدأت وكيف تطورت، وسوف نكتفي هنا بثلاثة آراء عربية تدور حول نشأة اللغة: هل هي وحي من الله سبحانه وتعالى جملةً وتفصيلًا، أو هي من وضع الإنسان جملة وتفصيلًا، أو أن الله سبحانه وتعالى أمكن الإنسان من المقدرة على وضع اللغة، وقد دار حول كل رأي نقاش وردوا عليه، لكننا لن نتتبَّع ذلك كله، وإنما سنكتفي بإبراز أهم ملامح كل رأي (١)، ويمكن مراجعة التفصيلات في: كتاب المزهر في علوم اللغة وأنواعها لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي ج ١ ص ٨ ـ٣٠.

وهذه كلمة عن كل رأي من الآراء الثلاثة:

الرأي الأول: التوقيفي (الإلهام).

يرى أصحاب هذا الرأي أن اللغة هي إلهام ووحي من الله سبحانه وتعالى،

---

(١) من أوفى المراجع التي تحدثت في هذا الموضوع : (نصوص في فقه اللغة العربية) للدكتور السيد يعقوب بكر ص ٥٦ وما بعدها، و (فقه اللغة في الكتب العربية) للدكتور عبده الراجحي ص ٧٧ وما بعدها، و(مدخل إلى اللغة) للدكتور محمد حسن عبد العزيز ص ٣٢٥ وما بعدها

وزعيم هذه المدرسة هو ابن فارس (ت ٣٩٥هـ)؛ وسنورد نصَّه هنا، ثم نتبعه ببيان النقاط الرئيسة في مذهبه، يقول ابن فارس في كتابه(الصاحبي في فقه اللغة) تحت بابٍ عنوانه:

باب القول عَلَى لغة العرب أتوقيف، أم اصطلاح[١]:

"أقول: إن لغة العرب توقيف. ودليل ذَلِكَ قوله جلّ ثناؤه: "وعلَّم آدمَ الأسماء كلَّها"[٢] فكان ابن عبّاس يقول: علّمه الأسماء كلّها، وهي هَذِهِ الَّتِي يتعارَفُها الناس من دابة وأرض وسهل وجبل وحمار وأشباه ذَلِكَ من الأمم وغيرها. وروى خُصَيْف عن مُجاهد قال: علمه اسم كلّ شيء. وقال غيرهما: إنما علَّمه أسماء الملائكة. وقال آخرون: علّمه ذرّيته أجمعين. والذي نذهب إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ مَا ذكرناه عن ابن عباس.

فإن قال قائل: لَوْ كَانَ ذَلِكَ كما تذهب إِلَيْهِ لقال: "ثُمَّ عرضهن أَوْ عرضها" فلما قال "عرضهم" عُلم أن ذَلِكَ لأعيان بني آدمَ أَوْ الملائكة، لأن موضوع الكناية فِي كلام العرب يُقال لما يَعقِل "عرضهم" ولما لا يعقل "عرضها أَوْ عرضهن" - قيل لَهُ: إنما قال ذَلِكَ والله أعلم لأنه جَمع مَا يَعقل وَمَا لا يعقل فغلَّب مَا يعقل، وهي سنّة من سنن العرب، أعني باب التغليب...

قال: أفتقولون فِي قولنا سيف وحُسام وعَضب إِلَى غير ذَلِكَ من أوصافه أنه توقيف حَتَّى لا يكون شيء منه مُصْطَلَحًا عَلَيْهِ؟ قيل لَهُ: كذلك نقول: والدليل عَلَى صِحَّة مَا نذهب إِلَيْهِ إجماعُ العلماء عَلَى احتجاج بلغة القوم فيما يختلفون

---

(١) الصاحبي لابن فارس ص ٣١ وما بعدها .

(٢) جزء من آية قرآنية من سورة البقرة، وقد دار حولها النقاش في موضوع نشأة اللغة، والآيات بتمامها هي : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ [٣١] قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ [٣٢] قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (٣٣) البقرة.

فِيهِ أَوْ يتفقون عَلَيْهِ، ثُمَّ احتجاجهم بأشعارهم، ولو كَانَتْ اللغة مُواضَعَةً واصطلاحًا لَمْ يكن أولئك فِي الاحتجاج بهم بأولى منا فِي الاحتجاج لَوْ اصطلحنا عَلَى لغة اليوم ولا فرق.

ولعلَّ ظانًا أن اللغة الَّتِي دلّلنا عَلَى أنها توقيف إنما جاءت جملة واحدة وَفِي زمان واحد. وَلَيْسَ الأمر كذلك، بل وقّف الله جلَّ وعزَّ آدمَ عليه السلام عَلَى مَا شاء أن يعلمه إياه مما احتاج إِلَى علمه فِي زمانه، وانتشر من ذَلِكَ مَا شاء الله، ثُمَّ علَّم بعد آدم عليه السلام من الأنبياء صلوات الله عليهم نبيًا نبيًا مَا شاء أن يعلمه، حَتَّى انتهى الأمر إِلَى نبيّنا محمد صلى الله تعالى عَلَيْهِ وآله وسلم، فآتاه الله جلَّ وعزَّ من ذَلِكَ مَا لَمْ يؤته أحدًا قبله، تمامًا عَلَى مَا أحسنَه من اللغة المتقدمة. ثُمَّ قر الأمر قراره فلا نعلم لغة من بعده حدثت.

فإن تعمَّل اليوم لذلك متعمِّل وجد من نُقَّاد العلم من ينفيه ويُرده. ولقد بلغنا عن أبي الأسود أن امرأً كلمه ببعض مَا أنكره أبو الأسود، فسأله أبو الأسود عنه فقال: "هَذِهِ لغةٌ لَمْ تبلغك" فقال لَهُ: "يَا بن أخي لا خير لَكَ فيما لَمْ يبلغني" فعرَّفه بلطف أن الذي تكلم بِهِ مختلَق. وخلَّةٌ أخرى: أنه لَمْ يبلغنا أن قومًا من العرب فِي زمانٍ يُقارب زمانَه أجمعوا عَلَى تسمية شيء من الأشياء مصطلِحِين عَلَيْهِ، فكنا نَستدِل بذلك عَلَى اصطلاحٍ كَانَ قبلهم. وقد كَانَ فِي الصحابة رضي الله تعالى عنهم - وهم البُلغاء والفُصحاء – من النظر فِي العلوم الشريفة مَا لا خفاء بِهِ. وَمَا علِمناهم اصطلحوا عَلَى اختراع لغةٍ أَوْ إحداث لفظةٍ لَمْ تتقدمهم".

ويمكن تركيز النقاط التي أشار إليها ابن فارس فيما يأتي:

أولًا- لغة العرب توقيف، أو وحي وإلهام من الله سبحانه وتعالى، والدليل: قوله تعالى: ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾.

ثانيًا- وقع الاختلاف في الأسماء التي تعلمها آدم، وهناك ثلاثة آراء:

الرأي الأول- الأسماء كلها. وهو الرأي الذي يختاره ابن فارس. وقال إن الضمير (هم) في (عرضهم) جاء على سبيل التغليب.

الرأي الثاني- أسماء الملائكة.

الرأي الثالث- أسماء ذريته أجمعين.

ثالثًا- الدليل على أن اللغة توقيفية:

١) أن العلماء في عصره حينما يستشهدون باللغة فإنهم يستشهدون بلغة من كان قبلهم، أي لغة جاءت من زمن سابق، ولو كانت اللغة مواضعةً واصطلاحًا لكان عليهم أن يستشهدوا بلغتهم هم.

٢) أن العلماء في عصر ابن فارس لم يضعوا أو يصطلحوا على كلمات جديدة، ولو صنعوا ذلك لكان دليلًا على أن من كان قبلهم صنع ذلك أيضًا، ومعنى ذلك أنه لا هؤلاء ولا أولئك لهم علاقة بنشأة اللغة، وأنه لو كان أحد يمكنه أن يضع ألفاظًا جديدة لكان أولى الناس بذلك الصحابة رضوان لله عليهم، لكنهم لم يفعلوا.

رابعًا- أن اللغة لم تأتِ دفعة واحدة، بل إن الله سبحانه وتعالى علَّم آدم ما يحتاجه، ثم علَّم سبحانه وتعالى الأنبياء، حتى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

خامسًا- أن اللغة تم وضعها ولا مجال فيها لجديد، وإن تكلَّف أحدٌ لغةً أخرى فإن العلماء يردونه (لا خير لك فيما لم يبلغني).

الرأي الثاني- الاصطلاحية (المواضعة والاتفاق):

يرى أصحاب هذا الفريق أن اللغة نشأت نشأة إنسانية، وذلك بطريق المواضعة والاتفاق، وقد أشار إليهم ابن جني بقوله: "هذا موضع محوج إلى فضل تأمل غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف"، وقد أشار ابن جني أن بعض العلماء كانوا يترددون بين الرأيين، ومنهم شيخه أبو علي الفارسي والأخفش (أبو الحسن) كانا يريان ذلك في بعض كلامهما" وقد كان أبو علي رحمه الله أيضًا قال به في بعض كلامه. وهذا أيضًا رأي أبي الحسن على أنه لم يمنع قول من قال: إنها

تواضع منه".

وقد شرح ابن جني هذا الرأي فقال:

" ذهبوا إلى أن أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة قالوا: وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدًا، فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات فيضعوا لكل واحد منها سمة ولفظًا إذا ذكر عرف به ما مسماه ليمتاز من غيره وليُغني بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين، فيكون ذلك أقرب وأخف وأسهل من تكلف إحضاره لبلوغ الغرض في إبانة حاله.

بل قد يحتاج في كثير من الأحوال إلى ذكر ما لا يمكن إحضاره ولا إدناؤه كالفاني وحال اجتماع الضدين على المحل الواحد كيف يكون ذلك لو جاز وغير هذا مما هو جار في الاستحالة والبعد مجراه فكأنهم جاءوا إلى واحد من بني آدم فأومأوا إليه، وقالوا: إنسان (إنسان إنسان) فأي وقت سمع هذا اللفظ علم أن المراد به هذا الضرب من المخلوق، وإن أرادوا سمة عينه أو يده أشاروا إلى ذلك فقالوا: يد عين رأس قدم أو نحو ذلك.

فمتى سمعت اللفظة من هذا عرف معنيِّها [مقصوده] "...

ثم لك من بعد ذلك أن تنقل هذه المواضعة إلى غيرها فتقول: الذي اسمه إنسان فليجعل مكانه (مرد) والذي اسمه (رأس) فليجعل مكانه (سر) وعلى هذا بقية الكلام. وكذلك لو بدئت اللغة الفارسية فوقعت المواضعة عليها لجاز أن تنقل ويولد منها لغات كثيرة: من الرومية والزنجية وغيرهما.

وعلى هذا ما نشاهده الآن من اختراعات الصناع لآلات صنائعهم من الأسماء: كالنجار والصائغ والحائك والبناء، وكذلك الملاح.

قالوا: ولكن لا بد لأولها من أن يكون متواضعًا بالمشاهدة والإيماء"(١).

---

(١) ابن جني، أبو الفتح عثمان ـ الخصائص ج١ ص ٤٥.

ويمكن الإشارة إلى النقاط الرئيسة في هذا النص فيما يلي:

أولًا- نشأة اللغة هي المواضعة، وذلك لاستخدام الأسماء بدلًا من إحضار الأشياء المتحدَّث عنها.

ثانيًا- اُتُّفِق على أن هذه الأسماء خاصة بهذه المسميات.

ثالثًا- أنه من الممكن تغيير هذه الاتفاقات، فتنشأ لغات أخرى: فيُغيَّر لفظ: إنسان إلى: مرد [إنسان بالفارسية].

رابعًا- مما يؤكد ذلك ما كان يقوم به الصُّنَّاع في زمن ابن جني؛ وهو تسمية الأدوات التي يعملون بها وإطلاق ألفاظ عربية عليها، لم تكن معروفة من قبل.

ولعلنا نلاحظ هنا أن ابن فارس في الرأي السابق قد أنكر أن يكون أحدٌ قد أضاف إلى اللغة شيئًا، وهو على العكس مما أثبته ابن جني هنا، على الرغم من أنهما متعاصران (ابن جني توفي سنة ٣٩٢ هـ، وابن فارس توفى سنة ٣٩٥ هـ)، ويمكن تفسير ذلك بأن ابن فارس ينطلق من موقف عدم الاعتداد بما زاد في اللغة وعدم الاعتراف به.

الرأي الثالث- إقدار إلـهي للبشر:

هذا الرأي وسطٌ بين الرأيين السابقين، فاللغة في نظره ليست إنشاءً إلهيًّا جملةً وتفصيلًا، وليست كذلك بشرية. إن هذا الفريق يرى أن تدخل المشيئة الإلهية لم يكن في وضع اللغة، وإنما بإعطاء البشر القدرة على وضعها، وهذا الأمر يمكن تقريبه بمثال سريع: إن المشيئة الإلهية لم تخترع الطائرة، وإنما أعطت الإنسان القدرة على اختراعها.

وفي رأينا أن ابن جني هو المعبر عن رأي هذا الفريق، على الرغم من أن بعض الباحثين يصفونه بالتردد، وبعضهم يرى أنه يؤمن بأن اللغة مواضعة واصطلاح كما يرى المعتزلة، وهو منهم.

يقول ابن جني: " إلا أن أبا علي رحمه الله قال لي يومًا: هي من عند الله واحتج بقوله سبحانه: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾ وهذا لا يتناول موضع الخلاف. وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله: أقدر آدم على أن واضَعَ عليها وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة. فإذا كان ذلك محتملًا غير مستنكر سقط الاستدلال به".

وقد وضعنا ابن جني مع هذا الفريق لأنه بالفعل لا ينتمي إلى الفريق الأول ولا الثاني، وإذا كان أستاذنا الدكتور عبده الراجحي يرى أن ابن جني ليس متردِّدًا، بل هو من أنصار أن اللغة مواضعة واتفاق، كما يرى المعتزلة، فإني أرى أن خير ما يعبر عن رأي ابن جني هو عباراته نفسها التي تؤكد بالفعل تردده بين الرأيين، وهو ما جعلنا نضعه في فريق وسط، وهذه هي عبارات ابن جني:

"واعلم فيما بعد أنني على تقادم الوقت دائم التنقير والبحث عن هذا الموضع، فأجد الدواعي والخوالج قوية التجاذب لي مختلفة جهات التغول على فكري.

وذلك أنني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدقة والإرهاف والرقة ما يملك علي جانب الفكر حتى يكاد يطمح به أمام غَلوة السحر.

فمن ذلك ما نبه عليه أصحابنا رحمهم الله ومنه ما حذوته على أمثلتهم فعرفت بتتابعه وانقياده وبعد مراميه وآماده صحة ما وفقوا لتقديمه منه. ولطف ما أسعدوا به وفرق لهم عنه.

وانضاف إلى ذلك وارد الأخبار المأثورة بأنها من عند الله عز وجل فقوي في نفسي اعتقاد كونها توقيفًا من الله سبحانه وأنها وحي.

ثم أقول في ضد هذا: كما وقع لأصحابنا ولنا وتنبهوا وتنبهنا على تأمل هذه الحكمة الرائعة الباهرة، كذلك لا ننكر أن يكون الله تعالى قد خلق من قبلنا- وإن بعُد مداه عنا - من كان ألطف منا أذهانًا وأسرع خواطرَ وأجرأ جنانًا.

فأقف بين تين الخلتين حسيرًا وأكاثرهما فأنكفئ مكثورًا.

وإن خطر خاطر فيما بعد يعلق الكفَّ بإحدى الجهتين ويكفُّها عن صاحبتها قلنا به وبالله التوفيق"(١).

خلاصة كلام ابن جني في هذا النص:

١) كلما أفكر في الأمر أجد الأفكار متصارعة في عقلي.

٢)أحيانا تخطر لي أفكار تؤكد لي أن اللغة وحي من عند الله، وأحيانًا أخرى تخطر لي أفكار تؤكد لي أن اللغة مواضعة واصطلاح.

٣) فأقف بين الرأيين حائرًا.

٤) إن خطر لي ما يغلِّب أحد الرأيين على الآخر فسأقول به.

٥)وقد انتهت مؤلفات ابن جني ولم يعد إلى الموضوع مرة أخرى، ومعنى ذلك أنه ظل متردِّدًا.

لعلك لاحظت أن كل الآراء السابقة ما هي إلا اجتهادات بشرية، في فهم أمرٍ حدث في عصور ما قبل التاريخ، فلا أحد يمتلك أدلة دامغة على ما يقول، أما الآية القرآنية، فقد نسي كثير من أصحاب الآراء أنها تدور في محيط غير بشري، وقد أرادوا الاستدلال بها على نشأة اللغة البشرية، وشتان بين الأمرين.

لم يكن أحد من البشر شاهدًا في الحضرة الإلهية، غير آدم عليه السلام، فمن أين علم البشر اللغة التي تعلمها آدم، والكلمات التي تعلمها من الحق سبحانه وتعالى ؟! هل أخبر بها آدم ؟

إذا كانت النظريات تتضارب وتتجدد حتى اليوم في نشأة الكون، على الرغم من أن بين أيديهم أدلة مادية يمكن تحليلها، فما بالك بأمر نشأة اللغة، وليس بين أيدينا أية أدلة مادية معينة ؟!

يبدو أن الجمعية الفرنسية كانت على حق في إغلاق باب البحث في هذا الموضوع.

---

(١) ابن جني، أبو الفتح عثمان ـ الخصائص ج١ ص ٤٨.

معجم مصطلحات الوحدة

- الحيوانات العليا.
- الانفعالية الغريزية.
- اللغة اصطلاح.
- اللغة مواضعة.
- اللغة توقيفية.
- نظرية المحاكاة.
- نظرية نتاج العمل الجماعي.

ملخص الوحدة الرابعة

- تعدّدت وظائف اللغة بعض علماء اللغة المعاصرين، فبلغت عندهم ثماني وظائف؛ منها التحية والاستعمال الديني والقانوني والأوامر والنواهي والتعبير عن الفكر وعن المشاعر.

- وظيفة اللغة المكتوبة هي وظيفة مستحدثة بالنسبة إلى تاريخ اللغة، إذ الكتابة تشكِّل طورًا حضاريًّا متقدمًا في تاريخ اللغة، فاستطاع الإنسان أن يسجل إنجازاته.

- فالمنطق وواقع الأمور يفرضان أن اللغة في أول نشأتها كانت واحدة، ثم مرت عليها عوامل جعلتها لغات متعددة.

- ليس هناك نظرية متكاملة، تصوُّر نشأة اللغة، بل التصور الكامل يأتي من الإفادة منها جميعًا، ذلك أن كل رأي له شواهد من اللغة نفسها، فهي مفيدة في تكاملها.

- الجمعية اللغوية بباريس رأت في عام ١٨٨٦ م، أن موضوع نشأة اللغة ليس من الموضوعات التي يمكن البحث فيها ويكفي ما قيل فيها من نظريات أو آراء.

- رأى بعض الباحثين أن الاعتماد على ملاحظة اكتساب الطفل للغة يساعدنا على معرفة كيف نشأت اللغة عند الإنسان، والبعض رأى ملاحظة لغة المجتمعات البُدائية، أو يمكن الاعتماد على ملاحظة طرق الاتصال بين الحيوانات، مثل القردة العليا. وقد اعترض على كل ذلك.

- وقد حاول علماء الغرب الاعتماد على نظرية المحاكاة أو الانفعالية الغريزية أو تصور أنها نتاج العمل الجماعي.

- والنظريات العربية هنا كانت بين الرأي التوقيفي (الإلهام) الذي رآه ابن فارس، اعتمادا على تفسير الآية (وعلَّم آدم الأسماء كلها) والرأي الآخر أنها اصطلاحية (المواضعة والاتفاق) وهو رأي ابن جني.

أسئلة على الوحدة الرابعة

س١: اختر الإجابة الصحيحة:

١- عبارات التحية والسلام بيننا لها وظيفة.... ولها دلالة على المستوى....

أ- ثقافية، الاجتماعي. ب- اجتماعية، الاقتصادي.

ج- اجتماعية، الثقافي. د- دينية، النفسي.

الإجابة: ج.

٢- استعمال اللغة للمراسم الدينية، مثل.... للطقوس الهندية، و.... للطقوس المسيحية.

أ- الهندية، القبطية. ب- السنسكريتية، الفرعونية.

ج- الفارسية، السنسكريتية. د- السنسكريتية، القبطية.

الإجابة : د.

٣- استعمال وكيل الفتاة: زوَّجتك موكلتي، تعني....، وتجعل للغة وظيفة.....

أ- الزواج، ثقافية. ب- الموافقة، دينية.

ج- وقع الفعل، قانونية. د- وقع الفعل، معرفية.

٤- عند استعمال....... تكون مخففة ببعض كلمات.....

أ- المجاملات، التلطف. ب- التودد، الحزم.

ج- الأوامر، التلطف. د- النواهي، مأثورة.

٥- من الشواهد التي بنى عليها العلماء تصورهم لكيفية نشأة اللغة... و...

أ- اللغات البدائية، الحاسوب. ب- لغة الأدباء، اللغات القديمة.

ج- لغة الطفل، اللغات البدائية. د- اللغات المتقدمة، لغة الطفل.

٦- رأى..... أن نشأة اللغة توقيفية، أما.... فرأى أنها اصطلاحية عرفية.

أ- ابن فارس، ابن جني. ب- ابن فارس، أبو علي الفارسي.

ج- ابن جني، ابن فارس. د- أبو الحسن الأخفش، أبو علي الفارسي.

س٢: كيف يمكن للغة أن تكون أداة للتعبير عن الأفكار، وعن إخفاء الأفكار والتشويش عليها؟

س٣: قارن بين وظيفة اللغة المنطوقة، ووظيفة اللغة المكتوبة، من خلال معطيات الحضارة الحديثة.

س٤: ناقش الاعتراضات التي وُجهت لفكرة تصور نشأة اللغة اعتمادًا على لغة الطفل واللغات البدائية.

س٥: قارن بين نظرية المحاكاة والنظرية الانفعالية الغريزية لتفسير كيفية نشأة اللغة.

الإجابة:

المحاكاة: أن اللغة نشأت تقليدا لأصوات الطبيعة من حول الإنسان: خرير الماء - حفيف أوراق الشجر - مواء القطة - صهيل الحصان...، ثم تطورت فصارت كلمات.

فهي تفسر فقط بعض كلمات اللغة (لا تفسر: الكرامة - الواجب - الحب...).

وهي لا تفسر النظام الذي يتبعه الإنسان في صياغة هذه الكلمات، في اللغة العربية مثلًا يُصاغ معظمها على وزن فعيل. فالنظام إذًا سابق لعملية الكلام !!

التقليد لن ينتج إلا صيحات مشابهة لأصوات الطبيعة أو أصوات الحيوانات، وهو أمر مختلف عن إنتاج كلمات لغوية داخل نظام.

ولكن اللغة تتضمن كلمات فيها محاكاة لهذه الأصوات لكن معناها مختلف تمامًا، مثل: الفحيح: صوت الأفعى، أما فحفح فمعناها: صحَّح المودَّةَ وأخلصها. وكذلك (وفَحَّ الرَّجُلُ فِي نَوْمِهِ يَفُحُّ فَحِيحًا وفَحْفَحَ: نَفَخَ؛ قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: هُوَ عَلَى التَّشْبِيهِ بِفَحِيح الأَفْعَى. والفَحْفَحَةُ: تَرَدُّد الصَّوْتِ فِي الحَلْق شَبِيهٌ بالبُحَّة).

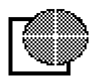
أما الانفعالية الغريزية: فيها الإنسان بدأ لغته بصفة انفعالية محضة، ولعلها كانت في البداية مجرد غناء ينظِّم بوزنه حركات المشي، أو العمل اليدوي، أو صيحة كصيحة الحيوان تعبر عن الألم، أو الفرح، أو تكشف عن خوف أو رغبة في الغذاء، ثم تطور الأمر وصارت تلك الصيحات أو الأصوات صالحة لاستعمال المجتمع للتواصل فيما بين أفراده.

فالنظرية تقدم تفسيرًا لبعض الاستعمالات اللغوية، لكن لا توضح لنا كيف ظهرت بقية الكلمات التي لا تعبر عن الحاجات الإنسانية.

أن هذا المستوى وصل إليه أيضا الحيوان، ومع ذلك لم تنشأ له لغة مثل لغة الإنسان.

ولا تقدم لنا هذه النظرية كيفية انتقال هذه الصيحات من مجرد صيحة إلى رموز لغوية داخل نظام.

تتميز هذه النظرية بأنها جعلت نشأة اللغة صادرة من الإنسان برغبته هو، وليس محاكيًا لأصوات الطبيعة كما فعلت النظرية السابقة.



الوحدة الخامسة

اللغـة متطورة

الأهداف:

بعد دراسة هذه الوحدة؛ ينبغى أن يكون الدارس قادرًا على أن:

١- يعرف أن اللغة المستعملة تدور مع حركة الحياة فهي متغيرة.

٢- يقارن فترتين زمنيتين متباعدتين ليدرك حقيقة حدوث التغير.

٣- يلاحظ المراحل التي يمر بها أي تغير لغوي.

٤- يتعرف الأسباب التي تؤدي إلى التغير أو التطور اللغوي في المجتمع.

٥- يكتشف أن الجغرافيا تؤثر في التغيرات اللغوية.

٦- يستخلص من عوامل الثبات اللغوي إذا ما قورنت بعوامل التغير اللغوي إمكان وجود توازن في حركة اللغة في المجتمع.

العناصر:

- اللغة بين الثبات والتغير.
- أهم العوامل التي تؤدي إلى التغير:
  - العامل الأول: التطور الحضاري.
  - العامل الثاني: الاستعمال.
  - العامل الثالث: اتساع المنطقة اللغوية.
  - العامل الرابع: الاحتكاك اللغوي.
- عوامل ثبات اللغة.

الكلمات المفتاحية:

مجلة - اللسان – العربي - التطور – الحضاري – الصوتي – المعجم - الوجيز – الوسيط - المحيط - قاموس - القياس.

اللغة بين التغير والثبات:

نود في البداية أن نؤكد مجموعةً من الأمور التي تلقي الضوءَ على موضوع تطور اللغة وثباتها، أهم هذه الأمور:

١) لن نشغل بالنا كثيرًا بصحة ما يحدث للغة، هل هو تطور، أو تغيُّر؟ هناك من يرفض لفظ " تطور" لأن التطور معناه التغير إلى الأفضل، وهذا يترتَّب عليه أن كل تغيير في اللغة هو تغيير نحو الأفضل، رغم أن بعض ما يحدث للغة هو انحرافٌ وخطأٌ من وجهة نظرهم، وآخرون يرون في التطور انتقالا من "طَوْرٍ إلى طَورٍ" والقضية هنا لا علاقة لها بالأفضلية، وبخاصة أن الأفضلية نسبية، ثم نستطيع أن نقول إنه بالفعل انتقال إلى الأفضل من وجهة نظر المتحدثين باللغة بدليل أنهم استحسنوه واستخدموه.

٢) ليست هناك لغة ظهرت للوجود فجأة وهي ناضجة مكتملة، يقول فندريس:
"من العبث أن نؤكد أن الفرض القائل بأن هناك لغة كاملة قُدَّت في عهد سحيق مما قبل التاريخ فرض خيالي محض" (اللغة ص ٤١٩)، فاللغة وفقًا لهذا التصور مجموعة من التطورات المتتابعة، كوَّنت على مدى أزمنة عديدة لغةً ذات أنظمة واضحة، فالتطور إذًا عامل مهم ليس في حياة اللغة فقط، بل في نشأتها كذلك.

٣) اللغة ليست كِيانًا هامدًا، أو ساكنًا، يقول فندريس أيضًا استكمالًا للفكرة السابقة: "شأنه شأن الفكرة القائلة بأنه يمكن أن توجد لغة لا تتغير

وتبقى جامدةً في سكونها أبد الآبدين. يجب أن نُسَلِّمَ بالتغيير لأنه أمر حتْميّ" (اللغة ص ٤١٩)، وعلى الرغم من أن تطور اللغة يبدو في بعض الأحيان بطيئًا، فالأصوات والمفردات والتراكيب والدلالة معرضة كلها للتطور، ولكن سرعة التغير فقط هي التي تختلف من فترة زمنية إلى أخرى، ومن مستوى إلى آخر من مستويات اللغة.

فإذا كان الأفراد والجماعات يمرون بمراحل تطورية مختلفة فإن لغاتهم وألسنتهم تتغير وتتطور تبعا لهذا التطور. وإذا كان تطور الإنسان أو نموه يُرى بالعيان أي أنه يمكن ملاحظته وقياسه، فإن التغير في اللغة لا يتم بنفس السرعة أو نفس المجرى الزمني، فالتغير اللغوي غالبا ما يكون أبطأ من تطور الإنسان، فإذا لم يكن بالإمكان قياس هذا التطور اللغوي بالساعات والأيام فإنه يمكن قياسه بالسنين والأجيال والقرون، وعلماء اللغة يستطيعون ملاحظة التطور اللغوي متى ما توافرت لهم المادة اللغوية المناسبة في فترات لغوية متعددة.

فلو قمنا بمقارنة بين فترتين لغويتين متباعدتين لاكتشفنا اختلافاتٍ عميقةً كثيرةً من شأنها أن تعوق ـ إلى حدٍّ ما ـ فهمَ المرحلةِ السابقة، وإدراكِها إدراكًا تامًّا، فمما لا شكَّ فيه أننا في حاجة لاستعداد لغوي خاص كي نتمكن من فهم بعض معاني الألفاظ التي استخدمها رفاعة الطهطاوي في كتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" أو معاني الألفاظ المذكورة في المراسيم (جمع مرسوم) التي كان يصدرها محمد علي والي مصر بدءًا من عام ١٨٠٥م.

٤) كل التغيرات التي تصيب اللغة تقع على مرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة فردية، تتمثل في التغير نفسه، إذ يظهر هذا التغير في الكلام الفعلي، وهو لذلك عمل فردي، ولكن هذا لا يعني أنه مقصور على فرد واحد، فقد يتصادف أن يقع التجديد على ألسن أفراد كثيرين في وقتٍ واحدٍ، دون اتفاق بينهم، بل قد يشعر عددٌ آخر من أبناء المجتمع بأن هذا التجديد كان حاضرًا في أذهانهم وكان في استطاعتهم أن يبدأوا به، هذا القبول الاختياري

وذلك الاتفاق غير المقصود عاملان أساسيان في المرحلة الثانية، وهي مرحلة ذات صبغة اجتماعية، إذ هي مرحلة انتشار التغير، فإذا ما سُمِع التغير الجديد في عبارة، أو في عبارات، ولاقى قبولا من أفراد المجتمع، ترتَّب عليه استعمالهم لهذه الصورة من التغير، وقبول المجتمعِ كلمةً ما، أو تعبيرًا ما، يتبعه إثبات هذه الكلمة في المعجم اللغوي الخاص باللغة، وهذه هي المرحلة الأخيرة من إضافة الكلمة أو التعبير إلى اللغة.

ويمكن الوصول إلى هذه المرحلة الأخيرة بسرعة، إذا كانت الجهة الواضعة هي ذاتها واضعة المعجم اللغوي، هنا يصبح ما تقره جزءًا من معجم اللغة، وبخاصة إذا توفَّر لواضعها وسائل التقدير والاحترام اللغوي والاجتماعي، وإذا توفَّر لما تضعه وسائل النجاح والانتشار. نقول هذا وفي ذهننا مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الذي تقر لجانه المتعددة كثيرا من الألفاظ الجديدة، ويجد ما تقره طريقه إلى المعاجم التي يصدرها المجمع (المعجم الكبير ـ المعجم الوسيط ـ المعجم الوجيز ـ المعاجم المتخصصة)، ويمكن أيضًا الإشارة إلى مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي، ومقره في الرباط بالمغرب، وهو تابع لجامعة الدول العربية، وقد وضع مجموعة كبيرة من المعاجم المتخصصة في دوريته التي كان يصدرها بعنوان "اللسان العربي".

وليس الأمر مقصورًا على الهيئات، فقد تولى بعض الأفراد وضع ألفاظ جديدة في اللغة، وصنعوا معجمًا أثبتوا فيه ما يرونه من ألفاظ جديدة، من هؤلاء إسماعيل مظهر، الذي وضع معجمًا باسم " قاموس النهضة " وبه كثير من الكلمات والتعبيرات الجديدة.

وأرجو أن يكون واضحًا أن إضافة لفظٍ جديد في هذه المعاجم لا ينبني عليها وجوب استعمال المجتمع لهذا اللفظ، فهناك ألفاظ وضعها مجمع اللغة العربية وأثبتها في معاجمه، لكن لم تلقَ قبولًا في المجتمع ولم تنتشر.

أما إذا كانت الجهة الواضعة، سواء أكانت فردًا، أم هيئةً، لا تصنع معاجمَ،

فإن أمر إضافة ما تقرره إلى المعجم يأخذ وقتًا أطول، وقد يشيع اللفظ في لغة المجتمع، ويظل مستعملا لعدة سنوات، ومع ذلك لا يُدرج في المعجم اللغوي، ومن أمثلة ذلك (فيديو ـ سينما ـ مترو ـ راديو ـ معجن ـ مسرَح ـ ـ مَرْجَحَ).

ومن ثَمَّ يدخل بعضه نظام اللغة إذا أقرته المعجمات أو علماء اللغة (في مصر: مجمع اللغة العربية يقر كثيرا من أوجه التغير في اللغة العربية).

٥) تطور اللغة ذو جانبين: جانبٌ لا شعوري يتم في كل لغة، ولا يُفطَن إليه إلا بعد يكون قد استقر، ويصعب أو يستحيل معرفة المسئول عنه، ولا المكان الذي تم فيه التغيير، أما الجانب الثاني فهو تطور مقصود مُتَعَمَّد يقوم به أفراد مهتمون بالعربية وقضاياها المعاصرة، أو تقوم به المجامع اللغوية، وهذا التطور المقصود المتعمَّد نستطيع أن نراه في الجيل الواحد، ويشهده المرء خلال حياته القصيرة.

٦) أن تطور اللغة يعني أنها تتحرك بعيدًا عن المثل الأعلى، فالتطور تغيُّر وأي تغير يعني تغييرًا يصيب الشيءَ فيكون هناك مرحلة قبل التغيير، ومرحلة بعد التغيير، وإذا كان الأمر كذلك، استطعنا أن نفهم لماذا توصف كل أشكال التطور في بدايتها بأنها انحرافات لغوية، وهي بالفعل انحرافات، فالتطور في أي شيء، وليس اللغة فقط، ما هو إلا انحراف عن المعهود، لذلك يُعد أمرًا طبيعيًّا أن يصف بعض اللغويين هذه التطورات في مراحلها الأولى بأنها انحرافات، والحادث في كثير من الأحيان أن المجتمع يسير قُدُمًا في التغير غيرَ عابئٍ باعتراضات اللغويين.

٧) اللغة لا تقع تحت تأثير عوامل التطور فقط، بل تتأثر أيضًا بعوامل الثبات، الأمر الذي يحفظ الإيقاع الطبيعي لتطور اللغة، فلا تتعثر أو تتخلف، ولا تتسارع فتصل إلى مرحلة اللانظامية، فتفقد اللغة أهم مظهر من مظاهرها، وهو أن اللغة نظامٌ.

٨) في كل لغة قوتان متصارعتان، أولاهما تشد الفرد إلى المركز،

والأخرى تدفعه بعيدا عن المركز، وهاتان القوتان تساعدان على خلق نوع من التوازن اللغوي، وهو ما يجعل اللهجات جزءا لا يتجزأ من اللغة الواحدة، وقد تتغلب إحدى القوتين، فإن تغلبت القوة المركزية انجذب الفرد بكامله إلى المركز، وإن تغلبت القوة اللامركزية فإن عوامل التطور ستنطلق في التأثير على اللغة، وتبدأ في التطور على كل المستويات.

وتتمثل القوة المركزية في مظاهر عدة؛ منها تصحيح الآباء لأبنائهم عندما يقع هؤلاء فيما يسمى بالأخطاء اللغوية، وقد تكون هناك عوامل نفسية خفية حين نخاف أحيانا من السخرية والتهكم اللذين نتوقع أن نُقابَل بهما عندما يكون في كلامنا نوع من التشدّق والتحذلق، أو ما يكون فيه من مخالفة المتعارف عليه بين أفراد المجتمع الواحد.

وفيما يأتي إشارة إلى عوامل تطور اللغة، وكذلك إشارة إلى عوامل ثبات اللغة وسنكتفي بأبرز تلك العوامل:

أولاً- أهم العوامل التي تؤدي إلى تغيُّر اللغة:

ليس معنى أننا سنذكر هذه العوامل منفصلةً أنها تعمل كذلك منفصلةً، بل الصحيح أنها تعمل معًا متفاعِلةً متداخلةً، ولا نستطيع أن ننسب تغيرا ما إلى عاملٍ دون عاملٍ إلا في أضيق الحدود، قد نستطيع أن نقول إن لغةً ما في زمنٍ ما تأثرت بهذا العامل أكثر من بقية العوامل، وهذا صحيح، لكنَّ الأصلَ أنَّ اللغةَ ظاهرةٌ اجتماعيةٌ، فهي متداخلة تداخل المجتمع الذي يتحدث بها.

وما سنذكره هنا من أسباب تنوُّع اللغة وتغيُّرِها مسئولٌ إلى حدٍّ بعيد عن:

أ) توزع اللغة الأم إلى فصائل.

ب) توزُّع اللغة الفصحى إلى لهجات.

ج) توزُّع اللهجة الواحدة إلى مستويات.

غير أن العوامل تختلف قوة وضعفًا في مدى تأثيرها على كل تنوُّعٍ من التنوُّعات السابقة.

العامل الأول- التطور الحضاري:

وأعني بالتطور الحضاري: التطور العلمي والتقني والفكري، فحينما يمتلك المجتمع فكرة مبتكرة، أو شيئًا جديدًا يريد أن يتحدث عنه، فإنه يبحث له عن لفظ يدل عليه، والتطور هنا يكون وليد الحاجة إلى التجديد في التعبير، وهذا التطور يقصد إليه قصدًا، ويتم عن عمدٍ في ألفاظ اللغة.

ويلجأ المجتمع في مقابلة المفاهيم الجديدة إلى وسيلتين لغويتين؛ هما:

١) أن يلجأ إلى الألفاظ المستعملة بالفعل في اللغة، أو حتى التي تنوسيت، ولم يعد أحد يستخدمها، فيقوم بتغيير دلالة هذه الألفاظ وإكسابها الدلالة الجديدة المرادة.

وتتم هذه العملية عادة عن طريق جهات لغوية سواء أكانت هيئاتٍ أم مجامعَ أو لجانًا تشكلها هيئات سياسية لوضع الألفاظ الجديدة، وذلك مثل الوزارات أو جامعة الدول العربية.

وقد يقوم بهذا بعض الأفراد المهتمين بقضية اللغة العربية وتطويرها، ومن ثم يدخل في اهتمامهم وضع ألفاظ عربية تعبر عن المفاهيم الحضارية الجديدة.

لكن عملية الوضع هذه لا تكفي لإضافة كلمة جديدة إلى اللغة، لأنه يبقى بعد ذلك، كما قلنا، أن يقابل المجتمع اللغوي هذه الكلمة بالقبول والاستحسان، فيستخدمها، هنا نستطيع أن نقول إن كلمةً أو تعبيرًا جديدًا أُضيف إلى لغة المجتمع.

٢) أن يلجأ إلى استعارة ما يحتاجه من ألفاظ من اللغات الأجنبية، وبالطبع سيكون مصدر الاستعارة هو اللغات التي تسيطر على الحركة العلمية في العصر الحديث، ومن ثم تأتي استعارة العربية من اللغة الإنجليزية والفرنسية، وفي بداية العصر الحديث كانت الاستعارة غالبًا من اللغة

الفرنسية، أما الآن فالغالب هو الاستعارة من اللغة الإنجليزية.

ولجوء اللغة لاستعارة ما تحتاج إليه هو الأمر الطبيعي، لكن قد تلجأ اللغة إلى استعارة ما لا تحتاج إليه، وذلك يعود في نظر بعض الباحثين، إلى الإعجاب بألفاظ لغة المصدر، وهو أمر حدث قديمًا في اللغة العربية، وقد وضع السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، بابًا في كتابه "المزهر في علوم اللغة وأنواعها" وعنون الباب بـ "باب في المُعرَّب الذي له اسم في لغة العرب" (ج ١ ص ٢٨٣) أورد فيه مجموعةً من الألفاظ التي نقلها العربُ من لغاتٍ أخرى، على الرغم من وجود مقابلها في اللغة العربية.

وهناك نوع من الاستعارة نستطيع أن نسمِّيَه استعارة إجبارية، ففي فترة الحكم التركي لمصر، كانت الفرمانات والمراسيم تصدر من تركيا مستخدمةً لغة عربية من نوع خاص امتلأت بألفاظ تركية، أو بكلمات عربية أو معربة ذات نهايات تركية

(كتب خانة - سلخانة - مهندس خانة - دفتر خانة - عربخانة - حكيم باشي - باش كاتب - باش مهندس) ومن ذلك ألفاظ الرتب العسكرية: باكباشي - يوزباشي - صاغ - أميرالاي، وبالطبع لم يجد المجتمع بُدًّا من استخدامها، فهو لم يسعَ إلى استعارتِها بل أُعيرت له.

العامل الثاني- الاستعمال:

اللغة، أية لغة، لم تُخلق لكي تُحبس في خزائن، لا تُمَسّ، ولو كان الأمر كذلك، لبقيت اللغة كما هي، لا تتطور، ولا تتغير، لكن الواقع يقول إن اللغةَ وُضِعت للاستعمال؛ يتداولها الناس كما يتداولون العملة النقدية، وأي شيء وُضع للتداول بين الناس، لا بد أن يصيبه شيء من التغيير والتبديل، فتنتقل اللغة إلى الجيل التالي مختلفةً عمَّا تسلَّمها الجيل السابق، ويستمر هذا التبديل من جيل إلى جيل، فتتغير الألفاظ وتتبدل.

ولهذا الاستعمال آثار متعددة، تظهر في عناصر كثيرة، نستطيع أن نذكر منها ما يأتي:

١) سوء السمع أو الفهم:

وهو أمر نستطيع أن نَتَبَيَّنَه من خلال بعض المواقف اللغوية التي مرت بنا، فنحن نسمع اللفظ للمرة الأولى، وقد نُسيءُ فَهْمَ ما استمعنا إليه، فنسمع صوتًا مكان آخر، وقد نفهم دلالة مغايرة للمعنى الحقيقي، ونحو عادة لا نستوقف المتحدث لنسأله عن صحة ما استمعنا إليه، ولا نحن نحتفظ بمعجم نعود إليه كلما غَمُضَ علينا معنى لفظ، بل نعتمد على أنفسنا في صحة ما نسمع، وفي دلالته، وقد نصيب، وقد نخطئ.

وليس من المستبعد أن يقع سوء الفهم هذا من أفراد متعددين، ومن ثَمَّ يتجهون اتجاهًا واحدًا في سوء الفهم أو السمع، فيساعد ذلك على تطور اللفظ؛ على مستوى الصوت إذا أساؤوا سمعه، وعلى مستوى المدلول، إذا أساؤوا فهمه. فتكون نتيجة هذا كله تطور في اللفظ يرثه الجيل التالي من الجيل الأول.

وسوء الفهم أو السمع مسئول في رأي بعض الباحثين عن تفسير تلك الألفاظ العربية الكثيرة التي نرى كلا منها يعبر عن دلالات متباينة لا ارتباط بينها ولا وجه شبه ولا صلة؛ من ذلك:

الأرض: الكوكب المعروف + الزكام.

الليث: الأسد + العنكبوت.

الزمهرير: هو البرد الشديد، لكن بعض متحدثي هذا العصر يظنونه: الحر الشديد.

العتيد، وهو الأمر المُعَدُّ سَلَفًا الحاضر، لكن بعض المعاصرين يفهمه على أنه بمعنى القديم.

فيبدو أنَّ تحولَ دلالة مثل هذه الكلمات كان تحوُّلا فجائيًّا أشبه بالطفرة، ولا يفسر ذلك إلا ما نقصده هنا بـ "سوء الفهم أو السمع".

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن هذا هو السبب فيما يسمى بالمشترك اللفظي.

٢) القياس:

القياس عملية تلازم كلًّا منا في مراحل الحياة، فنحن لم نسمع كلَّ اسم فاعل، ولا كل اسم مفعول، كذلك لم نسمع الجمل التي نستعملها في حديثنا وكتابتنا، فكل ذلك وغيره جاء عن طريق إجراء القياس، فنحن نقيس ما لم نسمع على ما سمعناه، ولا يتوقف عمل القياس على ما نستخدمه من لغةٍ فقط، بل فيما نسمعه كذلك، إذ نحن لم نسمع من قبل كل الكلمات والتراكيب التي نسمعها ليل نهار، ومن ثَمَّ نعتمد في فهمنا على ما سبق أن تلقيناه عن طريق المشافهة أو غيرها.

وقد يكون القياس صحيحًا، وقد يكون خاطئًا؛ من الأول ما وافق سلوك العربية في أصواتها، وصرفها، وتراكيبها، ومن الثاني، أي القياس الخاطئ، تأنيث بعض الكلمات بالتاء على الرغم من أنها صالحة للنوعين معًا، مثل صبور، وأكول، واطراد تأنيث جريح وأسير وأمثالها، إذ يقضي الصرف العربي بألا تؤنث هذه الكلمات إذا ذُكر موصوفها (ليس بالمعنى النحوي)، فإذا ذُكِرَ الموصوف امتنع التأنيث.

(رأيت أسيرةً ـ رأيتُ امرأةً أسيرًا)، ومنه كذلك تغيير طريقة تأنيث الكلمة؛ فيقال في مؤنث عطشان وظمآن: عطشانة، وظمآنة، وفي الفصحى: عَطْشى وظمأى. ومن القياس الخاطئ كذلك تأنيث كلمة " مستشفى "، قياسًا خاطئًا على مثل " فُضلى "، ظنًّا أن الألف في "مستشفى" زائدة، في حين أنها مبدلة من أصلٍ هو "الواو" إذ إن جذرها المعجمي هو "ش ف و".

٣) التطور الصوتي:

العنصر الثالث الناتج عن كون اللغة مستعملةٌ هو "التطور الصوتي"، ونراه حين يصيب اللفظ بعض التغير في الأصوات، وقد يترتب على ذلك تغير دلالي، ويضرب الدكتور إبراهيم أنيس مثالا واضحًا على ذلك بكلمة "قماش" المشهورة التي تتنوع إلى أقمشة قطنية، وصوفية، وحريرية؛ هذه الكلمة نبحث عنها في معجم "القاموس المحيط" للفيروزابادي، فنجده يذكر لها معنى وحيدًا هو: "أراذل

الناس، وما وقع على الأرض من فتات الأشياء" غير أن معجم صحاح العربية يذكر من معانيها أنها "متاع البيت"، فيتساءل الدكتور إبراهيم أنيس: لا ندري كيف تطورت تلك الدلالة حتى صارت على النحو المألوف لنا الآن؟".

ويجيب الدكتور أنيس فيقول: " إذا صحَّ ما يرويه بعض الدارسين للألفاظ الدخيلة من أن هذه الكلمة مأخوذة من كلمة فارسية هي " كماش" [گماش] بمعنى نسيج من قطن خشن، تكون الكلمة العربية الأصيلة قد نطقت قافها " جافًا أو كافًا " لسبب أو لآخر، فأشبهت الكلمةَ الفارسيةَ، وانصرفت دلالتها إلى الدلالة الفارسية بمعنى النسيج "، لكنهما كتبتا بحروف واحدة (قماش):

* قماش ← گماش أو كماش ⁂ قماش = گماش في الدلالة.

كذلك أغلب الظن أن الذي ساعد كلمة "خيشوم" التي تعني الأنف إلى أن تتطور فتصير في لهجات الكلام الآن بمعنى "الفم" هو أن أصواتها قد أصابها بعض التطور فاختصرت إلى "الخشْم".

٤) الابتذال:

العنصر الرابع للاستعمال هو "الابتذال" الذي يصيب بعض الألفاظ في كل لغةٍ من اللغات، لأسباب؛ منها السياسي، ومنها الاجتماعي.

أ) **السياسي:** نشير في البداية إلى أن التقلب السياسي له أثر بالغ في تطور اللغة وبخاصة على مستوى المفردات والتراكيب؛ ظهورًا واختفاءً وتحويلا للدلالة؛ فبعض الظروف السياسية تتطلب الحط من ألقاب ورتب اجتماعية فتنزوي بعض الألفاظ التي كانت تستخدم في اللغة استخدامًا واسعًا، وقد تظل مستخدمة لكن بعد أن تنحط دلالتها، لكن احتمالا ثالثًا يظل واردًا هو أن تعود هذه الألقاب إلى الاستخدام اللغوي بقوة، لكن في بيئة تختلف عن بيئتها القديمة، ولأسباب مختلفة كذلك.

هذا يصدق على الألقاب الآتية: " أفندي ـ بك ـ باشا".

أفندي: لقب حاكم مصر (مضافًا إلى نا المتكلمين) = أفندينا ← أقل الألقاب في تسلسل الرتب.

بك: لقب متوسط ← عاد للاستخدام في نداء لبعض ضباط الشرطة وبعض أصحاب الوظائف، وبعض رجال الأعمال (من المستوى المتوسط وفوق المتوسط)، أو نداء من رجل الشارع إلى أي شخص يرتدي الزي الأفرنجي (= بيه: في النطق العامي).

باشا: لقب حاكم مصر ← أعلى لقب في سلسلة الرتب ـ عاد إلى الظهور خاصًّا بكبار ضباط الشرطة ـ وكبار الموظفين ـ نداء من رجل الشارع إلى الأشخاص الذين تبدو عليهم سمات الثراء (النسبي).

- كل هذه الألفاظ قد تستخدم في التهكُّم والسخرية، وفي الغزل (الرديء) أحيانًا.

ويصدق ذلك على كلمة حاجب تغير استعمالها من الواقف أمام باب الحاكم أو الوزير، إلى الحاجب في بعض أيام العرب في الأندلس (عصر الحِجابة) إلى حاجب المحكمة في عصرنا هذا.

وإلى العامل السياسي، بمفهومه الواسع، يعود ظهور مفردات وتراكيب ذات دلالة محددة مثل: الحرب الباردةـ الجمهورية العربية المتحدة، نكسة ٦٧ ـ جبهة الصمود والتصدي ـ درع الصحراء ـ عاصفة الصحراء ـ. وقد تختفي بعض هذه الاستخدامات من التوظيف العامّ للغة، وبخاصة الألفاظ التي ارتبطت بظرف سياسي معين، لكنها تظل مستخدمة في التوظيف الخاص للغة (مقالات صحفية ـ تحليلات تاريخية...).

ب) الاجتماعي: قد يكون اللفظ قبيحًا في دلالته، أو يشير إلى ما يخجل بعض الناس من التصريح به (المحظور اللغوي)، أو فيما يتصل بالقذارة، أو النجاسة، أو يرتبط بالغريزة الجنسية، أو يكون مرتبطًا بما يُتشاءم منه؛ كالموت والفقر والمرض، أو بما يُخشى منه؛ كالجن

(العفاريت)، أو بما لا يريدون التصريح به لأغراض اجتماعية، كاسم الأم أو اسم البنت، هنا نلحظ أن كل اللغات تفقد بعضًا من ألفاظها التي تعبِّر عن هذه النواحي، فيختفي بعض هذه الألفاظ أو ينحصر استعمالها في بعض الطبقات، ويحل محلها ألفاظ أخرى تُلمِّح إلى المقصود ولا تصرِّح به، لكن ما تلبث هذه الألفاظ أن تتحول إلى التصريح بعد أن كانت تلمِّح فقط، فيُعيد المجتمع الكَرَّةَ مرة أخرى، فيستخدم ألفاظًا جديدة، ويظل الأمر هكذا.

وهذا هو السبب في امتلاء المعجم العربي بالكثير من الألفاظ والتراكيب التي تعبِّر عن كل حالة من الحالات السابقة، وهذه أمثلة سريعة لذلك:

الأعور = المُمَتَّع.

الأعمى = البصير ـ أبو بصير ـ المحجوب.

البَرَص = الوَضَح.

الصحراء = مفازة.

الموت = أبو يحيى ـ هادم اللذَّات ـ اليقين "واعبد ربَّك حتى يأتيَكَ اليقينُ".

التعبير عن موت أحدهم = لحق بالطيف الخبير ـ اختاره الله ـ استأثر به الله ـ انتقل إلى جوار ربه ـ قضى نحبه ـ استوفى أجلَه ـ ضحا ظلُّه (ضحا يضحو بمعنى بدا وظهر)... (انظر كتاب فقه اللغة للثعالبي في موضوع " تحسين اللفظ ").

العامل الثالث- اتساع المنطقة اللغوية:

اتساع المنطقة ليس عاملا في تطور اللغة فقط، بل هو، بالإضافة إلى ذلك، عاملٌ في اتخاذ هذا التطور أشكالا مختلفة تتعدد بتعدد بيئات هذه اللغة؛ فحين نتصور أن لغةً من اللغات قد اتسعت رقعتها، وفصل بين أجزاء أراضيها عوامل جغرافية أو اجتماعية أو سياسية، فإننا نستطيع أن نتوقع إمكان تطور هذه اللغة وفقًا للظروف الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية التي تعيشها كل بيئة.

فقد تفصل جبال أو أنهار أو صحاري أو نحو ذلك بين بيئات اللغة الواحدة، ويترتب على هذا الانفصال قلة احتكاك أبناء الشعب الواحد بعضهم ببعض، أو انعزال بعضهم عن بعض. وينتج عن هذا أن تتكون مجاميع صغيرة من البيئات اللغوية المنعزلة التي لا تلبث بعد مرور قرن أو قرنين من الزمان أن تتطور تطورا مستقلا يباعد بين صفاتها، ويفرقها إلى تطورات مختلفة، إذ لا بد من تطور الكلام وتغيره على مرور الزمن.

ولكن الطريق الذي يسلكه الكلام في هذا التطور يختلف من بيئة إلى أخرى، لأن ظروف الكلام تختلف بين البيئات المنعزلة، ولو أمكن أن تتحد هذه الظروف لاتخذ الكلام طريقا واحدا في تطوره، وشكلا واحدا في تغيره، ولظلت البيئات المنعزلة ذات توظيف لغوي واحد ذي ملمح تطوري محدد. ولكن الواقع المشاهد أن البيئات متى انعزلت فإنها تتخذ أشكالا متغايرة في تطور لهجاتها.

هذا الذي قلناه كان مسئولا عن اختلاف أوجه التطور اللغوي في اللغة الواحدة في زمن سابق حين كان الانعزال واقعًا، أما في عصرنا هذا فلا نستطيع أن نقول إن الانعزال يقع كما كان يقع قديمًا، إذ تكسر وسائلُ الاتصال والانتقال حدةَ هذا الانعزال، ومن النادر أن نجد بيئة لغوية منعزلة عن العالم أو عن غيرها من لهجات أو لغات، أقول من النادر.

العامل الرابع- الاحتكاك اللغوي:

للاحتكاك اللغوي صورٌ متعددة؛ أهمها:

أ) احتكاك ناتج عن الاحتلال: وذلك حينما يكون الاحتكاك نتيجة عمل عسكري فيكون للغازي لغة، وللمغزوِّ لغة (بريطانيا وبعض الدول العربية).

ب) احتكاك ناتج عن هجرات جماعية (هجرة القبائل العربية من الجزيرة العربية إلى الدول التي فتحها المسلمون)، وقد تكون الهجرة إجبارية (بعض الأفارقة والهجرة إلى أمريكا بعد اكتشافها).

ج) احتكاك ناتج عن المجاورة: وهو تجاور جغرافي ينتج عنه تمازج شعبين لكلٍّ منهما لغته المستقلة، كالعرب والفُرْس مثلًا.

وتكون النتيجة أحد أمرين:

الأول: بقاء اللغتين مع تأثر إحداهما بالأخرى في مستويات اللغة المختلفة، أو قد يتأثران معًا، والأمر يعود إلى المستوى الحضاري للغتين؛ تساويًا أو اختلافًا، فإن تساويا كان التأثر والتأثير متقاربين، وإن اختلفا كان تأثير الأعلى حضارةً وثقافةً هو الغالب، والمثال على ذلك تجاور اللغة العربية واللغة الفارسية في شرق الجزيرة العربية، وتجاور العربية مع الهندية في جنوب شرق الجزيرة العربية، وهذا هو السبب في المقولة المشهورة التي تُحدد من يؤخذ بلغته من العرب ومَن لا يؤخذ منه إذ حددت قبائل: قيس وتميم وأسد، ثم هذيل، وبعض كنانة وبعض الطائيين، واستبعدت مثلا اليمن لمجاورته الهند والحبشة وعُمان لمجاورته الهند وفارس (إيران).

الثاني: القضاء على إحدى اللغتين قضاءً يكاد يكون تامًّا، أما القضاء التام فهو أمر يُعد من قبيل المستحيل، لأن الملاحظ دائمًا هو بقاء بعض ظواهر اللغة المقضيّ عليها، وتعمل هذه البقايا في تغيير الأداء اللغوي لأصحاب الأرض، ويبقى هذا التغيير قائمًا وشاذًّا في إطار اللغة الغالبة. وقد حدثنا التاريخ عن أمثلة كثيرة للصراع اللغوي، فقد غزا العرب جهات كثيرة متعددة اللغات، واستطاعت العربية آخر الأمر أن تصرع هذه اللغات، وأن تحل محلها، (الآرامية في الشام ـ القبطية في مصر ـ البربرية في بلاد المغرب ـ الفارسية في بعض بلاد فارس)، ومن المحتمل أن تضعف اللغة الغالبة فتضعف، وتعود اللغة الأصلية إلى الظهور مرة أخرى، لكن بعد أن يكون قد دخلها كثير من الألفاظ من اللغة الوافدة (العربية في الأندلس ← الإسبانية وما فيها من آثار لغوية عربية كثيرة)

(العربية في فارس ← الفارسية وما فيها من آثار عربية كثيرة).

العامل الخامس- التأثير الفردي:

وهو عامل يمكن وصفه بأنه عامل عصريّ، ساعدت عليه بشكل يكاد يكون كاملا وسائل الإعلام ولا سيما القنوات التليفزيونية، ويحدث ذلك حينما يستخدم أحد المشهورين تعبيرًا ما، أو ينطقه بطريقة معينة، فيبدأ بعض المتحدثين باللغة في تقليده، وبعد فترة يصبح ذلك جزءًا من الكيان اللغوي، لكن أغلب ذلك يظل حبيسًا للهجة المعينة ولا ينفذ إلى المستوى الفصيح، وقد يبدأ الأمر على أنه تقليد لهذه الشخصية، لكنه يتحول ليكون استخدامًا حقيقيًا في اللغة.

هذا العامل ينحصر أو يكاد في المستوى اللهجي، وقد ذكرته هنا لاتصاله بعوامل التطور، وللتحذير منه، حتى لا يُسمح له بالنفاذ إلى لغتنا الفصيحة ولا سيما عن طريق الرواية أو القصة القصيرة، التي يلجأ بعض كتابها إلى تطعيم لغتهم ببعض الألفاظ العامية بحجة الواقعية كما يرون.

ثانيا- عوامل ثبات اللغة:

من العوامل ما لا يكون سببا في تطور اللغة، بل يكون سببًا في التقليل من آثار عوامل التطور، وكأنها تمثل سقفًا تقف عنده عوامل التطور، ومن ثَمَّ تبدو اللغة بين عاملي شد وجذب فتبقى حركة تطورها متزنة غير متسارعة.

والعوامل الآتية يمكن وصفها بوصفٍ واحدٍ هو: أنها جميعًا تربط المتحدث بنموذجٍ وحيد، وترسي أمامه المثالَ، فيظل مشدودًا إليه.

العامل الأول- السياسي:

الوحدة السياسية تؤدي إلى اختلاط سكان الأقاليم المختلفة واتصالها بشكل قوي وبصورة دائمة. ووجود حكومة مركزية مسيطرة على مجموعة من الأقاليم والدويلات تجعل الفرصة سانحة لالتزام أبناء اللغة بنموذج لغوي واحد، محاولين فيه تقليل الاختلافات اللغوية بينهم، الأمر الذي يجعل بعض صور التطور محدودة التأثير جغرافيا وثقافيا، فلا يسمح بصورة متطورة إلى النفاذ إلى المجتمع العام، ولعل هذا هو السبب في أن كثيرًا من صور التطور اللغوي

ظل حبيس اللهجات، دون أن يخترق اللغة المشتركة.

هذا الكلام يصدق على العلاقة بين العامية واللغة الفصحى، كما يصدق على العلاقة بين العامية واللهجات المحلية (عامية القاهرة مثلا في مقابل عاميات الأقاليم المصرية المتميزة لهجيًا. فنحن نلاحظ أن عاصمة الدولة تكون محطًّا لأنظار قاطني المناطق الأخرى فيحاولون تقليد لهجاتها والتخلي عما تنفرد به لهجاتهم الأصلية. ومن هنا تنشأ لغة عامة خالية إلى حد كبير من خصائص اللهجات المحلية).

كما أن الساسة والحكام يجرّدون أحاديثهم العامة من مختلف الظواهر الصوتية والصرفية والمعجمية وغيرها مما تطوَّر تطوُّرًا خاصًّا في لهجة الإقليم الذي ينتمي إليه حاكم دولةٍ ما، ليكون ما يوجهه إلى الشعب مفهوما لدى كل الطبقات الاجتماعية، مجرَّدًا من أية شائبة لغوية خاصة به تشير إلى انتمائه المحلي، وهو يريد أن يكون منتميا إلى الجميع بوصفه حاكم هذا الشعب.

العامل الثاني- الديني:

الدين الإسلامي يجمع الناس حول كتاب مقدسٍ واحد يقرأونه، ويتعبدون به، ويطبقون أحكامه، كما أن الدين يدعو إلى الاجتماعات العامة في الصلاة، وفي مجالس الشورى، وفي الحج والعمرة، وفي الأعياد، ولذلك أثره الكبير في تقليص أوجه التطور اللغوي فلا يسمح لها بأن تتمادى فتؤثر على اللغة المشتركة التي تجمع أصحاب الدين حول كتاب واحد ومن ثَمَّ لغة واحدة.

العامل الثالث- الأدبي:

الأدب وسيلة مهمة أيضًا من وسائل جذب اللغة ناحية الثبات، وتحجيم حركة التطور المتسارعة؛ فالأدباء من شعراء وقصاصين يكتبون أدبهم بلغة يفهمها جميع الشعب بمختلف طبقاته ولهجاته ليروج ويشيع، وتلك اللغة التي يكتبون بها تتخلص من الخصائص المتعلقة باللهجات المحلية لأي إقليم من أقاليم الدولة، وهذا يمهّد سبل إرساء نموذج لغوي واحد يجتمع الناس حوله، والشاعر يقف هنا موقف الحاكم، فكلاهما لا يريد أن يُظِهَر للناس انتماءه المحلي، سعيًا

إلى ترسيخ انتمائه العام لكل من يستمع إليه.

وقد سادت عند العرب لغة عامة صيغ بها الشعرُ والنثرُ اللذان اهتمت بهما الأسواق الأدبية كعكاظ وذي المجاز والمجنة. وكم جرى التنافس والمبارزة بين الشعراء في هذه الأسواق ليُحْكَم لهذا بالتفوق على ذاك، وكانت تلك الأشعار مصدر إمتاع للجماهير العربية، ولكي يؤدي الخطيب أو الشاعر رسالته كاملة واضحة، ولكي يترك سامعيه مشدودين معجبين بقوله وبلباقته، كان عليه أن يتحاشى تلك الصفات المحلية التي تتصل بلهجة من اللهجات، وأن يتحدث إلى القوم بلغة تواضعوا عليها، وتعودوا عليها جميعا، كذلك كان لا بد لهؤلاء الشعراء الذين جاءوا من بيئات متباينة أن ينظموا شعرهم بلغة خالية من السمات اللهجية الخاصة، وذلك لينال الشاعر إعجاب سامعيه، ولا يكون موضع سخريتهم، لهذا توحدت القبائل في لغة أدبية ممتازة ومختارة، وهي لغة رافضةٌ كل مظاهر التطور التي حدثت للهجات المتباينة.

يتصل بهذا العامل في العصر الحديث **وسائل الإعلام** (صحافة ـ سينما ـ إذاعة وتليفزيون...): فيجب على هذه الوسائل أن تستعمل في أحاديثها وأفلامها وبرامجها وتمثيلياتها لغة يُراعى فيها استعمال الأساليب والعناصر اللغوية التي لا تختص بإقليم من الأقاليم، والتي لا تشوبها أي ظاهرة لغوية خاصة، وإن كانت وسائل الإعلام أيضًا تُسهم في شيوع كثير من أوجه التطور اللغوي، ولا سيما أننا نتحدث عن إعلام متعدد المصادر، مختلف الرؤى، متباين الأهداف.

□

معجم مصطلحات الوحدة

- مجلة اللسان العربي.
- التطور الحضاري.
- التطور الصوتي.
- المعاجم المتخصصة.
- المعجم الكبير.
- المعجم الوجيز.
- المعجم الوسيط.
- القاموس المحيط.
- قاموس النهضة.
- القياس الخاطئ.

□



ملخص الوحدة الخامسة

- البعض يرفض لفظ " تطور" اللغة لأن التطور معناه التغير إلى الأفضل، وهذا يترتَّب عليه أن كل تغيير في اللغة هو تغيير نحو الأفضل، رغم أن بعض ما يحدث للغة هو انحرافٌ وخطأٌ من وجهة نظرهم.

- اللغة ليست كِيانًا هامدًا، أو ساكنًا، ولكن تطور اللغة يبدو في بعض الأحيان بطيئًا، فالأصوات والمفردات والتراكيب والدلالة معرضة كلها للتطور.

- التغيرات التي تصيب اللغة تقع على مرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة فردية، تتمثل في التغير نفسه، والمرحلة الثانية، وهي مرحلة ذات صبغة اجتماعية، فـهي مرحلة انتشار التغير.

- تطور اللغة ذو جانبين: جانبٌ لا شعوري يتم في كل لغة، ولا يُفطَن إليه إلا بعد أن يكون قد استقر، ويصعب أو يستحيل معرفة المسئول عنه، ولا المكان الذي تم فيه التغيير.

أما الجانب الثاني فهو تطور مقصود مُتَعَمَّد يقوم به أفراد مهتمون بالعربية وقضاياها المعاصرة، أو تقوم به المجامع اللغوية.

- في كل لغة قوتان متصارعتان، أولاهما تشد الفرد إلى المركز، والأخرى تدفعه بعيدا عن المركز، وهاتان القوتان تساعدان على خلق نوع من التوازن اللغوي، فإن تغلبت القوة المركزية انجذب الفرد بكامله إلى المركز إلى الثبات أو اللغة المشتركة، وإن تغلبت القوة اللامركزية فإن عوامل التطور ستنطلق في التأثير على اللغة، وهو ما يتجه إلى اللهجات.

أهم العوامل التي تؤدي إلى تغيُّر اللغة، التطور الحضاري، والاستعمال واتساع المنطقة اللغوية، الاحتكاك اللغوي وكذلك التأثير الفردي.

ويلجأ المجتمع في مقابلة المفاهيم الجديدة إلى وسيلتين لغويتين؛ هما:

١) أن يلجأ إلى الألفاظ المستعملة بالفعل في اللغة، فيقوم بتغيير دلالة هذه الألفاظ وإكسابها الدلالة الجديدة المرادة. عن طريق جهات لغوية سواء أكانت هيئاتٍ أم مجامعَ.

٢) أن يلجأ إلى استعارة ما يحتاجه من ألفاظ من اللغات الأجنبية.

- ولجوء اللغة لاستعارة ما تحتاج إليه هو الأمر الطبيعي، لكن قد تلجأ اللغة إلى استعارة ما لا تحتاج إليه إلى الإعجاب بألفاظ لغة المصدر، وهو أمر حدث قديمًا في اللغة العربية، وقد وضع السيوطي، بابًا في كتابه المزهر هو باب في المُعرَّب الذي له اسم في لغة العرب.

- الاستعمال فاللغةَ وُضِعت للاستعمال؛ يتداولها الناس كما يتداولون العملة النقدية، فلابد أن يصيبها شيء من التغيير. ويظهر أثر الاستعمال في عناصر كثيرة، منها سوء السمع أو الفهم أو التطور الصوتي، والقياس الخاطئ، والابتذال لبعض الألفاظ.

- اتساع المنطقة اللغوية، عاملٌ في اتخاذ هذا التطور أشكالا مختلفة تتعدد بتعدد بيئات هذه اللغة.

- الاحتكاك اللغوي له صورٌ متعددة؛ أهمها: احتكاك ناتج عن الاحتلال، واحتكاك ناتج عن هجرات جماعية (هجرة القبائل العربية من الجزيرة العربية إلى الدول التي فتحها المسلمون).

- التأثير الفردي وهو عامل عصريّ، ساعدت عليه وسائل الإعلام المتعددة.

- أما عوامل ثبات اللغة السياسي، فالوحدة السياسية تؤدي إلى اختلاط سكان الأقاليم المختلفة.

- والعامل الديني فالإسلام يجمع الناس حول كتاب مقدسٍ واحد يقرأونه، ويتعبدون به، ويطبقون أحكامه، كما أن الدين يدعو إلى الاجتماعات العامة في الصلاة. والعامل الأدبي وسيلة مهمة أيضًا من وسائل جذب اللغة ناحية الثبات، وتحجيم حركة التطور المتسارعة.

؟ أسئلة على الوحدة الخامسة وإجاباتها

س١: اختر الإجابة الصحيحة:

١- في كل لغة قوتان......، أولاهما تشد الفرد إلى..... والأخرى إلى......

أ- متعاونتان، الثبات، التغير. ب- متصارعتان، المركز، العكس.

ج- مختلفتان، الذاتية، الفردية. د- متصارعتان، الثبات، المركز.

الإجابة : ب.

٢- من أهم العوامل التي تؤدي إلى تغير اللغة......... و.......

أ- الاستعمال، سوء الفهم. ب- التطور الحضاري، الاستعمال.

ج- الوحدة السياسية، الاستعمال. د- الوحدة الدينية، التطور الحضاري.

٣- قد يؤدي الاستعمال إلى التغير اللغوي، ويظهر ذلك في....... :

أ- التطور الحضاري والقياس. ب- سوء السمع أو الفهم.

ج- الاستعمالات الدينية والسياسية د- القياس الخاطئ والتطور الصوتي.

الإجابة : ب.

٤- عند التطور الحضاري يلجأ المجتمع لمقابلة المفاهيم الجديدة، بطريقتين........ :

أ- المجمع اللغوي، الاستعمال الشعبي.

ب- تحميل الألفاظ المستعملة بدلالات جديدة، استعارة الألفاظ الأجنبية.

ج- استعمال المجاز وتحميل الألفاظ المستعملة بدلالات جديدة.

د- الألفاظ المهجورة والألفاظ المعاصرة.

٥- الاستعمال الخاطئ لكلمة (مستشفى) سببه......

أ- التطور الصوتي. ب- سوء السمع.

ج- القياس الخاطئ. د- سوء الفهم.

٦- كلمة (عتيد) أصابها تغيير لغوي، بسبب..........

أ- التطور الصوتي. ب- التطور اللغوي

ج- سوء السمع والفهم. د- القياس الخاطئ.

س٢: التأثير الفردي يمكن أن يكون عاملا من عوامل التغير وكذلك العكس. اشرح الفكرة.

س٣: من عوامل الثبات اللغوي، الوحدة السياسية والدينية. ما رأيك؟ وهل يمكن ملاحظة عوامل أخرى؟

س٤: قارن بين التطور الحضاري والاستعمال في قوة التأثير اللغوي في اتجاه التغيير.

س٥: ما صور الاحتكاك اللغوي ؟ وما نتائجه ؟ مع التمثيل ما أمكن.

الإجابة:

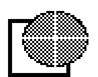
للاحتكاك اللغوي صورٌ متعددة؛ أهمها:

أ) احتكاك ناتج عن الاحتلال: يكون الاحتكاك نتيجة عمل عسكري فيكون للغازي لغة، وللمغزوِّ لغة (بريطانيا وبعض الدول العربية).

ب) احتكاك ناتج عن هجرات جماعية (هجرة القبائل العربية من الجزيرة العربية إلى الدول التي فتحها المسلمون)، وقد تكون الهجرة إجبارية (بعض الأفارقة والهجرة إلى أمريكا بعد اكتشافها).

ج) احتكاك ناتج عن المجاورة: وهو تجاور جغرافي ينتج عنه تمازج شعبين لكلٍّ منهما لغته المستقلة، كالعرب والفُرْس مثلًا.

وتكون النتيجة أحد أمرين: إما بقاء اللغتين مع تأثر إحداهما بالأخرى في مستويات اللغة المختلفة، أو قد يتأثران معًا، والأمر يعود إلى المستوى الحضاري للغتين؛ تساويًا أو اختلافًا، فإن تساويا كان التأثر والتأثير متقاربين، وإن اختلفا كان تأثير الأعلى حضارةً وثقافةً هو الغالب، والمثال على ذلك تجاور اللغة العربية واللغة الفارسية في شرق الجزيرة العربية، وإما القضاء على إحدى اللغتين قضاءً يكاد يكون تامًّا، أما القضاء التام فهو أمر يُعد من قبيل المستحيل، لأن آثار اللغة المهزومة تظل في اللغة الغالبة. وقد حدثنا التاريخ عن أمثلة كثيرة للصراع اللغوي، فقد غزا العرب جهات كثيرة، واستطاعت العربية آخر الأمر أن تصرع هذه اللغات، وأن تحل محلها، القبطية في مصر ـ البربرية في بلاد المغرب.



الوحدة السادسة

تصنيف اللغات

الأهداف:

بعد دراسة هذه الوحدة؛ ينبغي أن يكون الدارس قادرًا على أن:

١- يعرف أن اللغات الإنسانية تتعدد إلى درجة يصعب إحصاؤها.

٢- يدرك أسباب صعوبة الإحصاء لها، فاللغات القديمة بعضها اندثر، وبعضها معروف بشكل يمكن دراسته.

٣- يقف على أوجه الشبه بين اللغات الإنسانية التي جعلتهم صنفوها في فصائل أو أسر.

٤- يستوعب تصنيف اللغات بحسب أنماطها.

٥- يقارن بين أسس تصنيف اللغات إلى: اللغات العازلة، والإلحاقية أو الإلصاقية، والمتصرفة.

٦- يقارن بين التصنيف للغات بحسب الشكل وبحسب القرابة اللغوية.

٧- يحدد الفاصل بين اللغة واللهجة، والعلاقة بينهما.

العناصر:

- الفصائل اللغوية.
- تصنيف اللغات إلى فصائل.
- تصنيف اللغات بحسب طبائعها وأنماطها.
- تصنيف اللغات بحسب قرابتها اللغوية.
- اللغة واللهجة.

الكلمات المفتاحية:

ثبات – اللغة - السوابق - مستويات - الاحتكاك – اللغوي – التطور - الصوتي - المُعرَّب – العامية - استعارة - الفصائل - المُقْحَمات - الأحشاء – الدواخل - القرابة - اللغات - البربرية - الحامية - السامية - السنسكريتية – المتصرفة - العازلة - الفصحى - الكوشية - الإلحاقية - الإلصاقية - الهندوأوربية – اللُّغَيَّات - اللواحق.

أولا- الفصائل اللغوية[١]:

تتنوع لغات البشر وتتعدد، لدرجة أنه يكاد يكون من المستحيل علينا إحصاء جميع اللغات واللهجات التي يستعملها الإنسان الآن، والأمر أكثر استحالةً لو أردنا الإحاطة بكل لغات البشر منذ بدء الخليقة.

فاللغات المستعملة الآن ما يزال بعضها كامنا في بقاع نائية من مجاهل الكرة الأرضية، لم يتصل الناطقون بها بنظام التبادل الفكري الحديث، فبقيت بعض لغاتهم ولهجاتهم غير مكتوبة ولا مدروسة ولا مسجلة. واللغات القديمة فيها لغات مندثرة مع الأمم التي تكلمت بها. بادت هذه الأمم قبل أن تعرف الكتابة وبادت معها طرقها في التعبير. بل هناك لغات وصلتنا كتابات تصويرية منها، ولكننا لا نعرف على وجه التحقيق كيف كانت تُنطق ولا كيف كان نظامها في النحو وصياغة الألفاظ والجمل.

ومع ذلك فإن معرفة المحدثين من علماء اللغة بالنظم المختلفة التي تهيمن على ألسنة البشر قد تقدمت تقدما كبيرا بفضل الكتابة والطباعة، وتنوع وسائل المواصلات، وسرعتها، واختراع الوسائل الآلية للتسجيل الصوتي كل ذلك أتاح لعالم اللغويات الحديث مادة ضخمة يستطيع من خلالها أن يصنّف اللغات، إن لم يكن على وجه الحصر والإحاطة الكاملة، فهو على الأقل يصف معظم ما

---

(١) انظر في هذا: لغات البشر: ماريو باي، اللسان والإنسان: د. حسن ظاظا .

نعرف من اللغات، ويحدد العلاقات المختلفة القائمة بينها، بما يعطي للدارس فكرة واضحة عن هذا المظهر الحضاري الكبير، وهو تعبير الإنسان عما يدور في فكره بلسانه يقول «جان بيرو»: فإنه من العسير إحصاء اللغات المعروفة فى الوقت الحاضر. والصعوبة التي نرتطم بها تأتي أولا من الناحية النظرية، فالكلمة الاصطلاحية «لغة» تتضمن حقيقة معقدة ليس من السهل تعيين حدودها. أين تنتهي اللغة وأين تبدأ اللهجة ؟ وأين تنتهي اللهجة ويبدأ اللحن أو اللُّغَيّة ؟ كل هذا في دنيا الأمر الواقع ما يزال غائما، وليس هناك فيصل يساعد على التمييز النهائي، والتقسيم الواضح الحاسم. ثم إن المعلومات الوثيقة ما تزال تنقصنا في كتل كاملة، ومعقدة جدا، من التعبير الإنسانى سواء في أفريقيا أم في أمريكا، الأمر الذي يحرمنا من إنجاز تعداد دقيق. وبناء على ذلك فإن الجهود الإحصائية لن تستطيع، والحالة هذه، أن تطمح إلا في أرقام تقريبية، ربما لا تغطي كل ما يسمى «لغة» بقدر ما تنسحب على أشكال وألوان من الألسنة واللهجات واللُّغَيَّات.

وفي هذه الحالة يكون الرقم الذي يقدمه اللغويون قريبا من الواقع، ومع ذلك فهم مختلفون فيه بين ألفين وخمسمائة وثلاثة آلاف وخمسمائة (٣٥٠٠) من اللغات.

ومعظم اللغات المستعملة بين البشر الآن، والتي عرف المستكشفون المجتمعات المتكلمة بها، قد وُصِفت وسجلت على نحو من الدقة يزيد وينقص. والعقبات الحقيقية التي تقف في وجه علماء اللغات هي اللغات الميتة. ففي عائلة اللغات الهندية الأوروبية ما تزال مشاكل معينة مطروحة على بساط البحث تنتظر التفسير: فقد وجدت في البلقان ومنطقة البحر الأسود مجموعة لغوية تكاد تكون غير معروفة، وهي المجموعة «التراقية الفريجية».

واللغة التراقية القديمة نفسها ما تزال إلى الآن شبه مجهولة مثلها مثل الكتابات «الأيبيرية» التي تسجل لغة أمة سكنت شرقي إسبانيا وامتدت شمالا

على الساحل الفرنسي حتى نهر الرون، قبل الاحتلال الروماني لهذه الجهات. وهي أيضا لغة تكاد تكون غير مفهومة. واللغة القبرصية قبل اليونان هي أيضا لغز من الألغاز. ونفس الغموض يحيط بنقوش معينة في آسيا الصغرى قبل الأتراك وقبل الروم وقبل اليونان، بل قبل الحيثيين كل ذلك يضاف إلى اللغة الأترورية.

وهناك لغات مندثرة منها عدد معين في آسيا الصغرى تضاف إلى هذه الصعوبات اللغوية، وتجعل أمر الوصف والتصنيف للغات البشر تقريبيًّا وغير كامل.

ومع ذلك فليست الصورة كلها معتمة بهذا الشكل، فهناك لغات قديمة كثيرة معروفة لدينا بشكل دقيق أو قريب من الدقة منها:

١- لغة شومر، وهم أمة سكنت جنوبي العراق حول الخليج العربي وتركت لنا آثارا مكتوبة يرجع أقدمها إلى منتصف الألف الرابع قبل الميلاد. وقد بلغ من قوة هذه اللغة أنها لم تمت نهائيا بعد غزو الساميين الأقدمين «الأكاديين» للعراق، بل عاشت قرونًا طويلة في ظلهم، لغة للعلم والدين والثقافة.

٢- لغة أكاد، منذ النصف الأخير من الألف الرابع قبل الميلاد بدأ زحف الساميين من جزيرة العرب نحو سهول العراق، فعاشوا أولا بجانب السومريين، وتعلموا كتابتهم وتكلموا بلغتهم، كما أنهم سجلوا اللغة الأكادية منذ ذلك الوقت نفسه، وابتلعوا السومريين سياسيا وعنصريا، فاستمرت اللغة الأكادية حية متطورة في صورة اللغة البابلية والآشورية، وظلت تصارع عوامل الموت حتى بعد سقوط نينوي عاصمة الآشوريين أمام الغزو الفارسي بقيادة قيروش سنة ٥٣٨ قبل الميلاد، فامتدت بها الحياة بين الكهنة والعلماء والفلكيين والأطباء والمنجمين، بل بين بعض طبقات الشعب، إلى ما قبل ميلاد المسيح عليه السلام بقليل.

٣- اللغة المصرية الفرعونية، وتبدأ وثائقها كذلك من الألف الرابع قبل الميلاد، ثم تستمر في صورة أخرى بعد انتشار المسيحية في مصر، هي اللغة القبطية التي لم تستطع اليونانية على عهد الإسكندر والبطالمة، ولا اللاتينية في ظل الاحتلال الروماني، أن تمحواها، ولم تتقلص إلا أمام الفتح الإسلامي الذي أقر اللغة العربية بصورة نهائية في البلاد.

٤- اللغة الحيثية (أو الحثِّية) في آسيا الصغرى، وقد كُتبت اللغة الحيثية بالخط المسماري، التي تغطي وثائقها الألف الثاني قبل الميلاد.

٥- اللغة الصينية القديمة، وآثارها المكتوبة ترجع كذلك إلى الألف الثاني قبل الميلاد، ولكنها لا تنتهي في خلاله كما انتهت الحيثية بل تزدهر، وتكثر فيها الأعمال الأدبية الكبرى منذ الألف الأول قبل الميلاد، ثم تواصِلُ تطورَها الطبيعي، وتظلُّ على قيد الحياة إلى يومنا، حيث تعتبر بحق من أهم اللغات الآسيوية الحية.

٦- اللغة السنسكريتية، وهي لغة الهند المقدسة وترجع نصوصها الأدبية إلى غضون الألف الأول قبل الميلاد.

٧- اللغة اليونانية وهي أيضا معروفة لنا بنصوصها منذ الألف الأول قبل الميلاد، أى منذ عصر هوميروس الذى يقترن اسمه بالملحمتين العظيمتين: «الإلياذة» و«الأوديسا».

٨- اللغة العبرية القديمة، لغة التوارة، وأسفار الأنبياء اليهود، وتراث الحكمة القديمة عندهم، وهي من نصوص يرجع أقدم ما وصلنا منها مكتوبا إلى ألف قبل الميلاد.

٩- اللغة اللاتينية، وهى أيضا من هذا الألف الأول قبل الميلاد، ولكن الحياة استمرت بها إلى القرن الخامس عشر المسيحي؛ حيث بدأت القوميات تتبلور، وأخذت اللهجات المتفرعة عن اللاتينية تقوى حتى تغلبت عليها وأنهت وجودها.

هذه الأمثلة المعدودة التي ذكرناها تبيِّن أن اللغات القديمة ليست كلها مجهولة لنا، بل إن قدرا كبيرا منها، بل من أهمها، مسجَّل معروف يجعل مشكلات التصنيف أقل خطورة مما يتصور بعض الباحثين[١].

تصنيف اللغات إلى فصائل:

حاول العلماء أن يصنفوا اللغات التى تم اكتشافها وفحصها ليسهل حصرها، ومعرفة علاقات بعضها ببعض، فيضعون كل مجموعة من اللغات في تصنيف واحد على أساس التشابه في مجموعة عناصر قديمة، غير أنها بالطبع تختلف في بقية العناصر القابلة للتطور، وهذه العناصر القديمة التي تجمع بين لغات المجموعة الواحدة هى:

١- الضمائر.

٢- الأعداد.

٣- أسماء الإشارة والموصول.

٤- الاشتراك في معاني نسبة كبيرة من الألفاظ ذات الدلالات القديمة، كالأرض والسماء، وألفاظ القرابة كالأب والأم، والابن والأخ والعم، والألفاظ الدالة على جسم الإنسان كاليد والرجل والعين والأذن والبطن والرأس.

٥- أدوات الربط بين أجزاء الجملة، كأدوات العطف، وأدوات الشرط.

٦- الاشتراك العامّ في كيفية تركيب الجمل[٢].

وهنا يجب أن ننبه على أمرين:

الأمر الأول: أن كون هذه العناصر تجمع بين مجموعة لغات معينة لا يعني

---

(١) اللسان والإنسان، د. حسن ظاظا .

(٢) د. إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية .

أن تتطابق هذه اللغات تطابقا تاما في هذه العناصر، إذ لو حدث ذلك لتوحدت اللغات وصارت صورة لغة واحدة. إن معنى الاشتراك هنا هو الاشتراك العام مع الاعتراف بوجود اختلاف في بعض التفصيلات، هذا الاختلاف هو الذى بَرَّر فصل هذه اللغة عن تلك، كما أن الاشتراك العام هو الذي برر جمع لغات معينة في فصيلة واحدة، فهذا الاشتراك العام لا يمكن أن يكون طارئا أو عارضا.

الأمر الثاني: أن هذه العناصر إنما عُدَّت قديمة لأنه ليس من السهل أن تتطور، بل هى أشبه بالمواد المتحجرة، فتداولتها ألسنة الأفراد، دون أن تحاول أن تُحْدِث بها تغييرا يبعدها عن أصولها، إذ يكون هذا التغيير في حدود ضيقة جدًّا بحيث يبقى دائما في الكلمة عنصُر ثابت لا يتغير، على حين تتعرض سائر العناصر اللغوية كبعض الأسماء والأفعال والحروف لتغيُّرات بالغة التأثير، حتى تتباين مواد اللغة عن مواد جاراتها أو أخواتها فتتشعب اللغة الواحدة إلى لغات مختلفة لا يربط بينها سوى العناصر القديمة المتبقية رغم التطور[١].

وتصنيف اللغات إلى فصائل يتبع طريقتين تتكاملان فيما بينهما:

١- تصنيف اللغات إلى فصائل بحسب طبائعها أو أنماطها.

٢- تصنيف اللغات إلى فصائل بحسب قرابتها اللغوية.

١- تصنيف اللغات بحسب طبائعها أو أنماطها:

في هذا التقسيم نظر الباحثون في علم اللغة الحديث إلى اللغات، لا من حيث انتماؤها إلى أصل معين يمثل اللغة الأم لكل مجموعة، ولا من حيث درجة القرابة بين لغات المجموعة الواحدة، بل من حيث الصبغة العامة التى تميز طريقة التعبير، أي من حيث النمط المتبع في صياغة الألفاظ (الصرف) وفى صياغة الجمل (النحو). وخرجوا من هذا بملاحظة أن لغات البشر تندرج تحت ثلاث فصائل:

---

(١) د. عبد الصبور شاهين: في علم اللغة العام .

أ- اللغات العازلة: ويمكن تسميتها اللغات الجامدة: وهي لغات موادها الأصلية عبارة عن وحدات ثابتة تتكون عادة من مقطع واحد، ثم عند الاستعمال توضع هذه المواد متتابعة حسب نظام نحوي مبنيّ على ترتيب أماكن الكلمات في الجملة، دون المساس بأية مادة أو لفظة من هذه الألفاظ بتغيير إعرابي أو صرفي أو صوتي. ومن أمثلتها القديمة اللغة السومرية في العراق، فالسومريون كانوا يستعملون ألفاظا وحيدة المقطع، ومن هذه الفصيلة أيضا في اللغات الحديثة اللغة الصينية، وكثير من اللغات القريبة منها في أواسط آسيا والشرق الأقصى.

ب- اللغات الإلحاقية أو الإلصاقية: وهى لغات تختلف عن الفصيلة الأولى بأن فيها مادة أصلية تتألف من مقطع أو أكثر، وتبقى كما هى بلا تغيير، ولكن يستعان فيها لتنويع الدلالات النحوية والصيغ الصرفية بزوائد مقطعية، تلتصق بالمادة الأصلية على صورة سوابق أو لواحق. ومن عينات هذه الفصيلة التي تستعين بالسوابق لغة «البانتو» في وسط إفريقيا، ومن اللغات التي تستعمل اللواحق لغة «الإسكيمو»، وكذلك اللغة التركية.

ج- اللغات المتصرّفة: وهى التى تتكسر فيها المادة الأصلية، فتقبل السوابق Prefixes واللواحق Suffixes والمُقْحَمات (الأحشاء أو الدواخل) Infixes التي تُحْشَر في وسط البنية الأصلية، كما تقبل الإدغام والحذف في بعض الحروف، حسب نظام صوتي في كل لغة منها، لأجل تنويع الصيغ، وكذلك لتحديد الوظائف النحوية عن طريق علامات الإعراب.

ومن أمثلتها: اللغة العربية التي تستخدم السوابق في الدلالة على المضارعة مثلا (حروف أ ن ى ت) والسين وسوف للدلالة على الاستقبال، و(ال) للدلالة على التعريف.

كما تستخدم اللاحقتين (ون أو ين) للدلالة على جمع الذكور العقلاء، واللاحقة (ات) للدلالة على جمع المؤنث، واللاحقة (ة) للدلالة على المؤنث.

كما تستخدم أيضا المقحمات فى صياغة اسم الفاعل مثلا (كتب: كاتب)

وصيغة المبالغة (كتب: كَتَّاب)، والصفة المشبهة (كَرُمَ: كريم).

وعلى الرغم مما يبدو على هذا التقسيم من إحكام فقد هاجمه عدد كبير من العلماء، منهم «إدوارد سابير» الذى يقول إن هناك اعتراضين كبيرين يتجهان ضد هذا التقسيم: أحدهما، أن معظم اللغات لا تنتمي إلى فصيلة من هذه الفصائل بصورة خالصة، بل تتأرجح بين فصيلتين منها، أو بين الفصائل كلها، فاللغات السامية مثلا كالعربية والعبرية والسريانية ... إلخ تنتمي إلى اللغات الإلصاقية والمتصرفة في آن واحد، فمادة «أخذ» مثلا فى اللغة العربية يأتي منها المضارع بإضافة «سابقة» هي حروف المضارعة، مع تغيير طبيعة الحركات بتسكين الهمزة وضم الخاء (يأْخُذ)، فإذا انتقلنا إلى الأمر من هذا الفعل وقع فيه الحذف وقلنا «خُذْ»، وإذا أسندناه إلى الجمع المذكر أضفنا «لاحقة» وقلنا «أخذوا»، وإذا أتينا بجمع اسم المفعول منه قلنا: مأكولون: بسابقةٍ هي الميم. ومُقْحَمة هي الواو، ولاحقة هي الواو والنون.

أما الاعتراض الثاني فهو أن مثل هذا التقسيم من حيث الشكل يُعدُّ سطحيا؛ إذ إنه يجمع تحت فصيلة واحدة عدة لغات يختلف بعضها عن بعض تماما من حيث الروح، لأن واضعي هذا التقسيم قد لاحظوا ببساطة وجه الشبه الخارجي البحت، فمما لا شك فيه أن لغة كمبوديا التي تستعمل السوابق والمقحمات، إنما تستعملها استعمالا صرفيا محدودا بتنويع المشتقات، على حين أن السوابق المستعملة في لغة البانتو أكثر سيطرة على الكلمة والجملة، إذ لها أهداف في النحو والتركيب وتحديد العلاقة بين الفكرة واللفظ. ويضيف «سابير» إلى ذلك أن التقسيم فاسد من حيث جمعه السوابق واللواحق تحت فصيلة واحدة لمجرد النظرة السطحية الخارجية أيضا، على حين أن اللغات التى تعتمد اعتمادًا أساسيًّا على السوابق تختلف من حيث الفكر اللغوي عن تلك التي تعتمد على اللواحق.

٢- تصنيف اللغات بحسب قرابتها اللغوية:

يُعَدُّ تقسيم اللغات إلى عائلات أو مجاميع كل مجموعة منها يفترض أنها

منحدرة من أصل واحد من أهم نتائج علم اللغة التاريخي. ولما كان علم اللغة التاريخي نفسه ودراسة تاريخ اللغات من المباحث الحديثة في اللغة، فقد جرت عادة الكتَّاب الغربيين على اعتبار أصول هذا التقسيم من مخترعاتهم، وأنها لم تبدأ إلا مع مقارنة اللغات الأوروبية بعضها ببعض، ويذكرون أن انتباه المفكرين في أوروبا إلى هذا التقارب بدأ بملاحظة اللغات الرومية (أي المنحدرة من اللاتينية) وذلك في أوائل القرن الرابع عشر حيث تُعْزَى مقالةٌ إلى الأديب الإيطالى دانتي Dante حول الألفاظ التي معناها «نعم» في اللغات الرومية، ورجوعها جميعا إلى أصول فصيحة في اللغة اللاتينية.

وفي القرن السابع عشر شغلت مسألة القرابة بين اللغات الرومية أذهان المفكرين، وعلى الرغم من الوضوح الشديد في سمات هذه القرابة، فقد ظلت موضع شك، بل إنكار، من فريق من العلماء، حتى أكدها البحث العلمي في القرن التاسع عشر فقط. وبالطبع سارت المقارنات اللغوية في البداية متعثرة جدا.

ويعد التأريخ للغات وتصنيفها في عائلات في ذلك الوقت قد جاء متأخرا جدا بالنسبة لظاهرة كان ينبغي أن تشد انتباه العلماء من قبل، فقد كانت هناك دوافع تؤدي إلى البحث مبكرًا في هذا الموضوع، من هذه الدوافع:

١) روح الصراع بين اللاتينية الفصحى ولهجاتها العامية (اللغات فيما بعد)، وما كانت تواجهه تلك اللهجات من نفور ومقاومة في حلقات العلم الرصينة المحافظة، كان من الممكن أن يلفت هذا نظر الباحثين إلى تفرع اللغات من أصل واحد.

٢) إلى جانب ذلك كان هناك عامل آخر له صفة دينية، هو أن الكتاب المقدس الذي تدين له أوربا كان أصله باللغة العبرية، وكان اليهود منذ حقبة التلمود قد أشاعوا أن هذه اللغة التي كلَّم الله بها موسى لغةٌ أبدية أزلية سماوية، نستطيع أن نقول إنها في اعتقادهم اللغة الرسمية لله. ووافقهم على ذلك آباء الكنيسة المسيحية، فظلوا حتى القرن السابع

يقولون إنه مادامت هذه اللغة هي لغة الوحي فإنه يترتب على ذلك ضرورة الاعتقاد بأنها اللغة الأولى للبشر التي عنها تفرعت جميع ألسنتهم، وإن كانت حكاية برج بابل التي وردت في سفر التكوين من التصوُّرات التي خففت كثيرا من سلطان هذه العقيدة. ومع ذلك فقد وُجِدَ من يقول بأمومة العبرية للغات البشر، ومنهم جيشارد Guichard الذي ألف في ذلك في أوائل القرن السابع عشر دراسة عن «النسق الاشتقاقي للغات المنحدرة من العبرية».

والتأريخ للغات وتقسيمها إلى عائلات، وإنْ كان يرجع في أوربا إلى القرن التاسع عشر، إلاّ أنه أقدم من ذلك بكثير، فابن حزم الأندلسى المتوفى في القرن الخامس الهجري ذكر أن اللغة العربية والعبرية والسريانية متفرعة من أصل واحد. كذلك قال ابن سيده في كتابه «المُخَصَّص» «وكنعان بن سام ابن نوح، وإليه ينسب الكنعانيون، وكانوا أمة يتكلمون بلغة تضارع العربية» فمن ذلك يتبيَّنُ إدراكُ هذين العالمين أن العبرية والسريانية والكنعانية من نفس العائلة اللغوية التي تنتمي إليها اللغة العربية. بل إن كثيرًا من علماء المسلمين عند تفسيرهم للقرآن الكريم، كانوا يشيرون إلى بعض ألفاظ تشابهت في العربية والعبرية والسريانية، ونذكر منهم الراغب الأصفهاني في كتابه «مفردات القرآن». وقد كَثُرَ بين اللغويين العرب من يتكلمون في أصول بعض الألفاظ كالمصحف والمنبر والسورة والآية والملائكة ويتلمَّسون لها المنابع الأولى في الحبشية أو السريانية أو غيرهما، ثم هناك كل الكتب التي ألفت في المُعَرَّب والدخيل، وما جاء في كلام العرب من لغة النبط ولغة حمير وهي اليمنية القديمة. كل ذلك يدل على أن هؤلاء العلماء كانوا منذ القرن التاسع والعاشر الميلاديين متنبهين في حدود الإمكانيات العلمية المتاحة لهم، لصلات القرابة بين اللغات. وقد قسَّم العلماء لغات الأرض إلى ثلاث فصائل، تحت كل فصيلة مجموعات لغوية، وفي كل مجموعة لغوية عدد من اللغات، وهذا بيان سريعٌ بها:

الفصيلة اللغوية الأولى: فصيلة اللغات الهندوأوربية.

توصلوا إليها بعد دراستهم للغة السنسكريتية والإغريقية واللاتينية، ومن أفرادها:

١- اللغات الآرية أو الهندية الإيرانية، وتشمل شعبتين:

- الأولى: شعبة اللغات الهندية: وهي اللغة السنسكريتية.

- والثانية: شعبة اللغات الإيرانية: وتشمل الفارسية القديمة والحديثة.

٢- اللغات الإيطالية وتشمل اللاتينية وما تفرع منها، وهي الفرنسية والإيطالية والأسبانية والبرتغالية، ولغة رومانيا.

٣- اللغات الجرمانية، ومنها لغات السويد والنرويج والإنجليزية والألمانية.

الفصيلة اللغوية الثانية: اللغات الحامية – السامية:

وتشمل مجموعة اللغات الحامية، ومجموعة اللغات السامية.

أولاً- اللغات الحامية:

سميت بهذا الاسم نسبة إلى حام بن نوح. وأفراد هذه الفصيلة هي:

١- اللغة المصرية القديمة التى تفرعت منها اللغة القبطية أو ما يعرف باللغة المصرية الحديثة، وقد ظلت هذه اللغة الأخيرة لغة تخاطب حتى القرن السابع الميلادي.

٢- اللغات البربرية وهى عبارة عن مجموعة لهجات منتشرة في شمال أفريقيا. ولا تزال هذه اللهجات لغة تخاطب بين عدد من القبائل في هذه البلاد وخاصة فى مراكش.

٣- اللغات الكوشية (نسبة إلى كوش ابن حام) وهي لغات السكان الأصليين للقسم الشرقى من أفريقيا على حدود البحر الأحمر. ومن اللغات الكوشية اللغات الصومالية، وكذلك يتكلم اللغات الكوشية بعض سكان الحبشة.

ثانيا- اللغات السامية:

في أواخر القرن الثامن عشر أطلق العالم الألمانى شلوتزر لقب «الساميين» على الشعوب الآرامية والفينيقية والعبرية والعربية واليمنية والبابلية – الآشورية. ولا يزال هذا اللقب يطلق على هذه الشعوب، وما انحدر منها حتى الآن. وكان هذا الاسم نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام المذكور فى سفر التكوين مع أخويه حام ويافث. أما اللغات السامية فهي لغات هذه الشعوب وما تفرع منها. ثم لغات أخرى ظهر أنها من نفس الفصيلة فيما بعد وهي اللغات الحبشية.

ويرجح بعضهم أن المهد الأول للساميين كان القسم الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية (بلاد الحجاز ونجد واليمن وما إلى ذلك).

أفراد هذه الفصيلة:

يطلق مصطلح اللغات السامية على اللغات الآتية:

١- اللغات الأكادية:

أو ما يسمى باللغات البابلية – الآشورية.

٢- اللغات الكنعانية:

ومن أهمها اللغتان الفينيقية والعبرية:

والمعروف أن اللغة العبرية قد انقرضت من التخاطب، وحلت محلها اللغة الآرامية فى أواخر القرن الرابع. واقتصر استخدامها على الكتابة والطقوس الدينية منذ ذلك الوقت حتى العصر الحاضر. وفى أواخر القرن التاسع عشر قوي اتجاه اليهود فى مختلف أنحاء العالم إلى إحياء اللغة العبرية كلغة وكتابة وتخاطب معا. وقد قوي هذا الاتجاه بوجه خاص في أوروبا الشرقية وفلسطين. وقد أدى ذلك إلى بعثها من جديد. وأخذ بعضهم يستخدمها في التخاطب العادي في حياتهم اليومية كما هو الحال في إسرائيل.

٣- اللغات الآرامية:

ومن أشهر اللهجات الآرامية المعروفة الآن اللغة السريانية ظلت الآرامية

قوية ثابتة الأركان حتى هددتها اللغة العربية وانتصرت عليها.

٤- اللغات اليمنية القديمة:

ومن أشهر لهجاتها اللهجة الحميرية واللهجة السبئية. وتختلف هذه اللغات عن اللغة العربية اختلافا كبيرا في شتى المظاهر اللغوية. والواقع أن اللغات اليمنية تعد مستقلة عن اللغة العربية ولكنها تؤلف معها ومع اللغات الحبشية السامية شعبة واحدة يطلق عليها اسم «الشعبة السامية الجنوبية» وذلك مقابل الشعبة السامية الشمالية «التى تتألف من الأكادية (البابلية – الآشورية) والكنعانية (الفينيقية والعبرية) والآرامية.

ولقد أدى طول احتكاك اللغة العربية باللغات اليمنية القديمة إلى انتصار اللغة العربية عليها في كثير من المناطق، وذلك في المراحل الأخيرة من العصر الجاهلي. غير أن اللغة العربية في اليمن قد أصابها شىء من التحريف في أصولها ومفرداتها وقواعدها بسبب تأثرها باللغات اليمنية المغلوبة، وقد نتج عن ذلك وجود لهجات عربية في اليمن تختلف بعض الاختلاف عن اللهجات العربية الشمالية. ولكن هذا الخلاف كان خلافا بسيطا لم يمنع من تفاهم أهل اليمن مع أهل الحجاز ونجد في المرحلة الأخيرة للعصر الجاهلي.

وكما تغلبت العربية على اللغات اليمنية القديمة في ميادين التخاطب تغلبت عليها في ميادين الكتابة والآداب. وقد كان بعض الباحثين من العرب يظنون أن اللغة اليمنية واللغة العربية تمثلان لهجتين للغة واحدة. وأن الخلاف بينهما يسير بسيط. وليس صحيحا فيما يتعلق باللغات اليمنية القديمة التي كانت لغة مستقلة بجوار اللغة العربية. فقد كانت مستقلة عن العربية، وليست منها في شىء، وإن كانت تكون معها شعبة لغة واحدة من اللغات السامية.

ولكن بعد انتصار العربية على اليمنية القديمة أصبحت هناك عربية في اليمن تختلف عن عربية الشمال، فقد كانت عربية الجنوب في اليمن متأثرة باليمنية القديمة، من أجل هذا قسموا العربية بعد أن دخلت اليمن إلى عرب

عاربة وأخرى مستعربة، وقسموا العربية إلى قسمين:

أ- العربية العدنانية أو المضرية (الشمالية) وهي لغة أهل الحجاز ونجد وما إليها.

ب- العربية الحميرية أو القحطانية (الجنوبية) وهي لغة أهل اليمن. وهذا الرأي قد يكون صحيحا ولكن فقط فيما يختص بلهجات أهل اليمن. بعد أن انتصرت العربية عليها.

٥- اللغات الحبشية السامية:

يرجع الفضل في نشر اللسان السامى في بلاد الحبشة إلى هجرة عشائر سامية إليها من اليمن، وامتزاجها بسكان الحبشة الأصليين الذي يرجع معظمهم إلى أجناس حامية.

وعن طريق التصارع اللغوي بين لغة القبائل المهاجرة ولغة السكان الأصليين انتصرت لغة الساميين على لغة البلاد الأصلية واتسع نطاقها بالتدريج حتى عمت مساحة كبيرة من الحبشة (أما بقية سكان الحبشة فلا يزال معظمهم يتكلم لهجات حامية كوشية وقليل منهم يتكلم لهجات سودانية. واللغات الحبشية تعتبر من الشعبة السامية الجنوبية وهى تكون من اللغات اليمنية والعربية شعبة واحدة. وقد كانت هذه اللغات متشابهة إلى حد كبير في بعض الظواهر اللغوية. غير أن طول اتصال اللغات الحبشية باللغات الحامية في الحبشة أكسبها صفات خاصة أبعدتها عن أخواتها الساميات.

واللغات الحبشية السامية لها أنواع متعددة منها اللغة الأمهرية، وهي اللغة المستخدمة الآن في التخاطب في معظم مناطق الحبشة السامية اللسان.

٦- اللغة العربية:

تؤلف اللغة العربية مع اللغات اليمنية القديمة واللغات الحبشية السامية شعبة لغوية واحدة يطلق عليها اسم الشعبة السامية الجنوبية. وذلك أن صلات القرابة التي تربطها بهذين الفرعين أقوى كثيرًا من صلات القرابة التي تربطها

بشعبة اللغات السامية الشمالية، كما يبدو ذلك من الموازنة بينها في أصول الكلمات والأصوات والقواعد. وتختلف هذه الفروع الثلاثة نفسها في مبلغ قربها بعضها من بعض. فصلة القرابة بين اللغات اليمنية القديمة واللغات الحبشية السامية أقوى كثيرًا من صلة القرابة بين كل منهما واللغة العربية. ويرجع السبب في ذلك إلى أن اللغات الحبشية السامية قد انشعبت بشكل مباشر عن اللغات اليمنية القديمة، وأن الفضل في نشر اللسان السامي ببلاد الحبشة يرجع إلى المهاجرين الأولين من بلاد اليمن.

ولقد نشأت اللغة العربية في أقدم مواطن الشعب السامي أي في بلاد الحجاز ونجد وما إليهما. ولكن ما وصل إلينا من آثارها يعد من أحدث الآثار السامية. فأقدم ما عرفناه من آثار العربية البائدة لا يتجاوز القرن الأول ق. م وأقدم ما وصل إلينا من آثار العربية الباقية لا يكاد يتجاوز القرن الخامس بعد الميلاد.

ثانيًا- اللغة واللهجة:

تعريف اللهجة:

اللهجة في الاصطلاح العلمى الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمى إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد البيئة. وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسِّر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفَهْم ما قد يدور بينهم من حديث فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات.

وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات، هي التي اصطلح على تسميتها باللغة، فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص، فاللغة تشتمل عادة على عدة لهجات، لكل منها ما يميزها، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات.

وتتميز بيئة اللهجة بصفات صوتية خاصة تخالف كل المخالفة أو بعضها صفات اللهجات الأخرى في اللغة الواحدة. غير أن اللهجة قد تتميز أيضا بقليل من الصفات التي ترجع إلى بنية الكلمة ونسيجها، أو معاني بعض الكلمات، ولكن يجب أن تكون هذه الصفات الخاصة التي مرجعها بنية الكلمات ودلالتها من القلة بحيث لا تجعل اللهجة غريبة على أخواتها، بعيدة عنها، عسرة الفهم على أبناء اللهجات الأخرى في نفس اللغة، لأنه متى كثرت هذه الصفات الخاصة، بَعُدت باللهجة عن أخواتها، فلا تلبث أن تستقل وتصبح لغةً قائمة بذاتها.

فلا بد أن تشترك لهجات اللغة الواحدة في الكثرة الغالبة من الكلمات ومعانيها، وفي معظم الأسس التى تخضع لها بنية الكلمات، وفوق هذا وذاك في تركيب الجمل، فإذا اختلفت معاني معظم كلمات اللهجة، واتخذت أُسسًا خاصة في بنية كلماتها، وقواعد خاصة في تركيب جملها، فإنها لا تسمى حينئذ لهجة، بل لغة مستقلة، وإن ظلت تتفق مع غيرها في صفات تجعلها تنتمي إلى فصيلة واحدة من الفصائل اللغوية.

أما أسباب تكون اللهجات، وكذلك أسباب بقاء اللغة المشتركة التي تظل قوية، فتشد بقية اللهجات إليها فتعود إلى ما ذكرناه تحت عنوان: اللغة بين عوامل الثبات وعوامل التغيُّر؛ إذ اللهجة كما قلنا، ما هي إلا لغة تغير بعض عناصرها.

معجم مصطلحات الوحدة

- ثبات اللغة.
- السوابق Prefixes .
- مستويات اللغة.
- الاحتكاك اللغوي.
- التطور الصوتي.
- المُعرَّب.
- العامية.
- استعارة الألفاظ.
- الفصائل اللغوية.
- المُقْحَمات (الأحشاء أو الدواخل Infixes).
- القرابة اللغوية.
- اللغات البربرية.
- اللغات الحامية.
- اللغات السامية.
- اللغة السنسكريتية.
- اللغات المتصرفة.
- اللغات العازلة.
- اللغة الفصحى.
- اللغات الكوشية.

- اللغات الإلحاقية أو الإلصاقية.
- اللغة المصرية القديمة.
- اللغات الهندوأوربية.
- اللهجات (اللُّغَيَّات).
- اللواحق Suffixes.



ملخص الوحدة السادسة

- تتعدد لغات البشر لدرجة أنه يكاد يكون من المستحيل علينا إحصاء جميع اللغات واللهجات التي يستعملها الإنسان الآن، فمنها المستعملة ومنها اللغات القديمة وفيها لغات مندثرة مع الأمم التي تكلمت بها. بادت هذه الأمم قبل أن تعرف الكتابة.
- وفي هذه الحالة يكون الرقم الذي يقدمه اللغويون الذي هم مختلفون فيه بين ألفين وخمسمائة وثلاثة آلاف وخمسمائة (٣٥٠٠) من اللغات. فالجهود الإحصائية لن تستطيع، أن تطمح إلا في أرقام تقريبية.
- ومع ذلك فهناك لغات قديمة كثيرة معروفة لدينا بشكل دقيق أو قريب من الدقة منها لغة شومر، وهم أمة سكنت جنوبي العراق حول الخليج العربي، واللغة الأكادية والمصرية الفرعونية والسنسكريتية (لغة الهند المقدسة)، واللغة اللاتينية.

تصنيف اللغات إلى فصائل؛ وقد تم بوضع كل مجموعة من اللغات على أساس التشابه في مجموعة عناصر قديمة، ثابتة لا يلحقها التغير.

وهذه العناصر القديمة التي تجمع بين لغات المجموعة الواحدة هى: الضمائر، والأعداد وأسماء الإشارة والموصول ونسبة كبيرة من الألفاظ ذات الدلالات القديمة، كالأرض والسماء، وألفاظ القرابة كالأب والأم. وأدوات الربط بين أجزاء الجملة، كيفية تركيب الجمل.

وتصنيف اللغات إلى فصائل يتبع طريقتين تتكاملان فيما بينهما:

١- **تصنيف اللغات إلى فصائل بحسب طبائعها أو أنماطها. (اللغات العازلة أو الجامدة:** وهي لغات موادها الأصلية عبارة عن وحدات ثابتة - اللغات الإلحاقية أو الإلصاقية :، تلتصق بالمادة الأصلية سوابق أو لواحق- اللغات المتصرّفة، وهى التى تتكسر فيها المادة الأصلية، فتقبل

السوابق واللواحق والمُقْحَمات (الأحشاء أو الدواخل).)

٢- **تصنيف اللغات إلى فصائل بحسب قرابتها اللغوية.** (يُعَدُّ تقسيم اللغات إلى عائلات أو فصائل كل فصيلة منها يفترض أنها منحدرة من أصل واحد اعتمادا على أوجه الشبه أو العناصر القديمة).

- **الفصيلة اللغوية الأولى:** فصيلة اللغات الهندوأوربية. (منها الفارسية والسنسكريتية واللاتينية واللغات الإيطالية واللغات الجرمانية).

- **الفصيلة اللغوية الثانية :** اللغات الحامية – السامية:

اللغات الحامية: منها اللغة المصرية القديمة التى تفرعت منها اللغة القبطية،

واللغات البربرية وهى عبارة عن مجموعة لهجات منتشرة في شمال أفريقيا، واللغات الكوشية وهي لغات السكان في القسم الشرقى من أفريقيا.

واللغات السامية: في أواخر القرن الثامن عشر أطلق العالم الألمانى شلوتزر لقب «الساميين» على الشعوب الآرامية والفينيقية والعبرية والعربية واليمنية والبابلية – الآشورية.

اللغة واللهجة: اللهجة في هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمى إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد البيئة. وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات.

- العلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص، فاللغة تشتمل عادة على عدة لهجات.

؟ أسئلة على الوحدة السادسة وإجاباتها

س١: اختر الإجابة الصحيحة:

١- هناك لغات مندثرة تجعل وصفها وتصنيفها صعبًا، ولكن هناك لغات قديمة معروفة بشكل دقيق؛ منها......

أ- الفرعونية والعبرية. ب- اللاتينية والفرنسية.

ج- السنسكريتية واللاتينية. د- السنسكريتية والفارسية.

الإجابة : ج.

٢- تم تصنيف اللغات بحسب...، فأصبح هناك لغات..... وأخرى إلصاقية.

أ- قرابتها، متصرفة. ب- طبائعها، أنماط.

ج- قرابتها، إلحاقية. د- أنماطها، عازلة.

٣- اللغات المتصرفة هي التي تتكسر فيها المادة الأصلية، فتقبل....

أ- سوابق ولواحق فقط. ب- سوابق ولواحق ودواخل.

ج- سوابق ودواخل فقط. د- الإدغام والإبدال والحذف.

الإجابة : ب.

٤- فصيلة اللغات السامية يندرج تحتها.... و.... و......

أ- العربية والفارسية والعبرية. ب- الأكادية والفرعونية والعربية.

ج- العربية والعبرية واليمنية. د- الفرعونية والآشورية والعبرية.

٥- اللهجة هي مجموعة من الصفات.... تنتمي إلى بيئة.....

أ- اللغوية، خاصة. ب- النحوية، عامة.

ج- الصرفية، متخصصة.   د- الملحوظة، صوتية.

٦- العلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين.....

أ- العام والخاص.   ب- الجزء والكل.

ج- الخاص والعام.   د- الشعبة والمجموعة.

س٢: مثِّل لبعض اللغات حسب قرابتها اللغوية.

س٣: قارن بين تصنيف اللغات الإنسانية حسب الطبائع وحسب القرابة اللغوية. موضحًا رأيك في الأوجه الإيجابية والسلبية.

س٤: ما العناصر المشتركة التي بناء عليها صنفوا اللغات الإنسانية إلى فصائل أو أسر؟

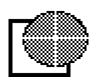
س٥: ما عدد اللغات الإنسانية التي تم إحصاؤها؟ ما الصعوبات التي تقف حائلا دون أرقام دقيقة؟

- الإجابة: الرقم الذي يقدمه اللغويون والذي هم مختلفون فيه بين ألفين وخمسمائة وثلاثة آلاف وخمسمائة من اللغات. فالجهود الإحصائية لن تستطيع، أن تطمح إلا في أرقام تقريبية. فهناك لغات مندثرة ميتة ولغات نائية وهناك لغات قديمة كثيرة معروفة لدينا منها لغة شومر، وهم أمة سكنت جنوبي العراق حول الخليج العربي، واللغة الأكادية والمصرية الفرعونية والسنسكريتية (لغة الهند المقدسة)، واللغة اللاتينية.

القسم الثاني

علـم اللـغـة

Linguistics



الوحدة السابعة

فروع علم اللغة ومناهجه

الأهداف:

بعد دراسة هذه الوحدة؛ ينبغى أن يكون الدارس قادرًا على أن:

١- يعرف مفهوم مصطلح علم اللغة ودائرة البحث فيه.

٢- يكتشف التسميات المتعددة لهذا العلم وما يصيب العلم من أضرار نتيجة عدم الاتفاق على مصطلح واحد.

٣- يقف على فروع علم اللغة المبنية على الفصل بين مستويات الدرس اللغوي..

٤- يتعرف طرائق التحليل اللغوي في المستويات المختلفة.

٥- يقارن بين المستويات اللغوية؛ الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، ويستخلص الحد الفاصل بينها.

٦- يكتشف العلاقات البينية بين علم اللغة والعلوم الإنسانية الأخرى؛ كعلم النفس وعلم الجغرافيا.. إلخ.

٧- يُلمَّ بمناهج دراسة اللغة، ومتى وكيف يستخدم كل منهج.

٨- يفرق بين مجالات علم اللغة النظرية وعلم اللغة التطبيقي.

٩- يستخلص من دراسات علم اللغة النظرية ما يمكن تطبيقه في مجالات تعليم العربية وحوسبة اللغة والترجمة.. إلخ.

العناصر:

- علم اللغة (Linguistics).

– تعريف موجز بعلم اللغة.

أولا- فروع علم اللغة:

١- علم الأصوات.

٢- علم الصرف.

٣- علم النحو.

٤- علم الدلالة.

ثانيا- مناهج علم اللغة:

المنهج الأول: علم اللغة الوصفي.

المنهج الثاني: علم اللغة التاريخي.

المنهج الثالث: علم اللغة المعياري.

المنهج الرابع: علم اللغة المقارن.

المنهج الخامس: علم اللغة التقابلي.

ثالثًا- علم اللغة والعلوم الأخرى:

- علم اللغة النفسي - علم اللغة الاجتماعي -علم اللغة الجغرافي.

رابعًا: بين علم اللغة النظري وعلم اللغة التطبيقي.

الكلمات المفتاحية:

الاختيار - الترادف - المشترك – اللفظي –الإعراب – التعليق – الدلالة – الصرف – الأصوات - الأكوستيكي - الفيزيائي - السمعي – النطقي - القواعد – الإثنولوجي - التاريخي – الجغرافي- الاجتماعي - السياسي - التطبيقي - العام - المعياري - التقابلي - المقارن – النفسي – النظري - الوصفي - النحو - فونيمات - المنهج – الاستاتيكى - الدياكروني - السنكروني - المورفيم - الموقعية.

فروع علم اللغة ومناهجه

تعريف موجز بعلم اللغة(١):

هو العلم الذي يدرس اللغة، ونعني باللغة هنا أية لغة بقطع النظر عن أصحابها وأحوال معايشهم وأنماط حضارتهم وبيئاتهم الاجتماعية. ويستوي فى ذلك أن يكون لتلك اللغة تاريخ ثقافي مكتوب أو غير مكتوب أو أن يكون لها نظام كتابي أو لم تخضع بعدُ لأي من النظم الكتابية، كما هو الحال في لغات بعض القبائل أو البيئات في أفريقيا.

ونعني بالدراسة «الدراسة العلمية التي تملك منهجا أو مناهج محددة مستخدمة وسائل البحث العلمي وقواعده في النظر والتحليل والوصول إلى نتائج، ويُعْنَي الدرسُ اللغوي الحديث في بعض اتجاهاته باللغات المنطوقة، بوجه خاص، إذ تتسم بسمات معينة حُرِمَت منها اللغة المكتوبة. ففي النطق وفي الأداء الصوتي للغة خواص لا يمكن أن تفصح عنها النصوص المكتوبة. فهذه النصوص في صورتها العامة جامدة ساكنة خالية من عناصر النطق الفعلي الذي يكسب المادة حيوية وصدقا. ومن ثَمَّ نرى الناس يختلفون فيما بينهم في إحياء النصوص بقراءتها أو أدائها أداء صوتيا مناسبا. وكم قابلتنا، وتقابلنا صعوبات من وقت لآخر في فهم بعض المواد المكتوبة – نثرا أو شعرا – بسبب فقدان العناصر الصوتية التي تُعين على الفهم والإفهام.

ومع ذلك لا ضير مطلقا عند جميع الدارسين أن ينحو علم اللغة نحو المادة المكتوبة لغرض من الأغراض، ولكن هذا الاتجاه يقتضي تناول النصوص تناولا حصيفا آخذا في الحسبان ضرورة إحياء النص المعين بقراءة وأداء صوتي مناسبين، مع محاولة «خلق» مقام اجتماعي أو ثقافي موائم لمادة هذا النص وطرائق أدائه اللغوي. على أن هذه الدراسة (دراسة المكتوب) إنما تدخل

---

(١) د. كمال بشر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد .

في إطار لغوي محدود، هو ما يمكن أن ننعته بالدراسة التاريخية المقارنة أو تحقيق النصوص، ونحن بهذا نكون قد اقتربنا من الفيلولوجيا أو دخلنا فى ميدان «فقه اللغة».

بين علم اللغة وفقه اللغة(١):

في العادة يثار هذا السؤال: ما الفرق بين مصطلحي "فقه اللغة"؟

و"علم اللغة"؟ سنحاول أن نقدم تصوُّرًا مُبَسَّطًا للموضوع، في التراث العربي، وفي الدرس اللغوي المعاصر.

أولا- في التراث العربي:

المعنى اللغوي(٢):

جاء في لسان العرب مادة (ف ق ه): "الفِقْهُ: العلم بالشيء والفهمُ له، وغلبَ على عِلْم الدين لسِيادَتِه وشرفه وفَضْلِه على سائر أَنواع العلم... والفِقْهُ في الأَصل الفَهْم. يقال: أُوتِيَ فلانٌ فِقْهًا في الدين أَي فَهْمًا. قال الله عز وجل: لِيَتفَقَّهوا في الدين؛ أَي لِيَكونوا عُلَماء به، وفَقَّهَه اللهُ؛ ودعا النبي، صلى الله عليه وسلم، لابن عباس فقال: اللهم فَقِّهْه في الدِّين وعَلِّمْه التأْويل، فاستجاب الله دُعاءه، وكان من أَعلم الناس في زمانه بكتاب الله تعالى. وفَقِه فِقْهًا: بمعنى عَلِم عِلْمًا. ابن سيده: وقد فَقُه فَقاهَةً وهو فَقِيهٌ من قوم فُقَهاءَ، وقال بعضهم: فَقُه الرجل فَقَهًا وفِقْهًا وفَقِه. وفَقِه الشيءَ: عَلِمَه. وفَقَّهَه وأَفْقَهَه: عَلَّمه ".

---

(١) من أوفى المراجع التي تحدثت في هذا الموضوع : دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح ص ١٩ـ علم اللغة بين القديم والحديث، د. عبد الغفار حامد هلال ص ١٥ ـ في علم اللغة العام، د. عبد الصبور شاهين ص ٥ ـ علم اللغة العربية، د. محمود فهمي حجازي ـ ص ٦٥ ـ فصول في فقه اللغة، د. رمضان عبد التواب ص ٩ـ فقه اللغة في الكتب العربية، د. عبده الراجحي ص ٣١ـ ٥٦ .

(٢) جرت عادة التأليف في العلوم العربية عند بيان دلالة المصطلحات، أن نبدأ أولًا بالمعنى اللغوي، ثم ننتقل إلى بيان المعنى الاصطلاحي .

نستخلص مما جاء في اللسان ما يأتي:

(١) الفِقه هو مصدرٌ للفعل: فَقِهَ.

(٢) الفِقه هو العلم.

(٣) الفِقه كلمة عامة تعني علمَ أي شيءٍ.

(٤) تخصصت الكلمة لتدل فقط على الفقه في الدين لكونه أشرف العلوم.

المعنى الاصطلاحي:

لعل أفضل من يشرح لنا المعنى الاصطلاحي هو العلامة "ابن فارس، أبو الحسين أحمد " (ت ٣٩٥ هـ) إذ قال في مقدمة كتابه الشهير "الصاحبي فِي فقه اللغةِ العربيةِ وسننِ العربِ فِي كلامها ":

"إِن لعلم العرب أصلًا وفرعًا: أمَّا الفرعُ فمعرفة الأسماء والصفات كقولنا: "رجل" و"فرس" و"طويل" و"قصير". وهذا هو الَّذِي يُبدأ بِهِ عند التعلُّم.

وأمَّا الأصلُ فالقولُ عَلَى موضوع اللغة وأوَّليتها ومنشأها، ثُمَّ عَلَى رسوم العرب فِي مخاطبتها، وَمَا لَهَا من الافْتِنان تحقيقًا ومجازًا ".

والنّاسُ فِي ذَلِكَ رجلانِ: رجلٌ شُغل بالفرع فلا يَعْرِف غيرَه، وآخَرُ جَمع الأمريْنِ معًا، **وهذه هي الرُّتبة العليا، لأن بِهَا يُعلم خطابُ القرآن والسُّنة،** وعليها يُعول أهلُ النَّظر والفُتيا، وذلك أن طالبَ العلم العُلويُ يكتفي من أسماء "الطويل" باسم الطويل، ولا يَضِيرُه أن لا يعرف "الأشَقَّ" و"الأَمقَّ" وإن كَانَ فِي علم ذَلِكَ زيادةُ فَضل. (الأشق: الطويل من الرجال والخيل. والشقق الطول والمؤنث شقاء والأمق الطويل عامة أو البالغ الطول في دقة).

وإنَّما لَمْ يَضِره خفاءُ ذَلِكَ عَلَيْهِ لأنَّه لا يَكاد يجدُ منه فِي كتاب الله جل ثناؤه فيُحْوَج إِلَى علمه؛ ويقل مثله أيضًا فِي ألفاظ رسول الله صلى الله عَلَيْهِ وسلم، إذ كَانَتْ ألفاظُه صلى الله عَلَيْهِ وسلم هي السّهلة العَذْبَة.

ولو أنه لَمْ يَعْلم توسُّع العرب فِي مخاطباتها لَعَيَّ بكثير من علم مُحْكَم الكتاب

والسنَّة، ألا تسمع قول الله جل ثناؤه: "ولا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعون ربَّهم بالغَداةِ والعَشِيِّ يُريدون وجهَه" إِلَى آخر الآية؟ فسِرُّ هَذِهِ الآية لا يكون بمعرفة غريب اللغة والوَحْشيِّ من الكلام، وإنَّما معرفته بغير ذَلِكَ مما لعلَّ كتابنا هَذَا يأتي عَلَى أكثره بعون الله تعالى ".

ويمكن ذكر النقاط الرئيسة في كلام ابن فارس فيما يأتي:

(١) فقه اللغة أصل من أصول العلوم العربية.

(٢) الجهل بفقه اللغة يُنقص من قدر اللغوي.

(٣) لا يُنقص من قدر اللغوي عدم معرفة غريب اللغة مما لم يرد في كتابٍ ولا سنة.

(٤) بفقه اللغة نفهم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فهما صحيحًا.

(٥) من موضوعات فقه اللغة: تعريفها ـ نشأتها ـ أساليب العرب في التخاطب ـ الحقيقة والمجاز.

وقد استمر هذا الفهم لـ " فقه اللغة " عند " أبي منصور الثعالبي "(ت ٤٢٩ هـ) إذ ألف كتابًا جعل عنوانه: "فقه اللغة وسر العربية" وإن كان قد غلب عليه الجانب المعجمي.

على هذا النحو كان العلماء العرب ينظرون إلى "فقه اللغة" وهو فهم لا يبتعد كثيرًا عن "فقه الدين" إذ إن كلمة "فقه" في الحالين تدل على العلم والإحاطة بموضوعات ما أضيفت إليه الكلمة؛ "اللغة" أو "الدين"، لكن كلمة "فقه" إذا كانت مطلقة غير مقيدة، فلن تشير إلا إلى " فقه الدين".

وبناءً على ذلك نستطيع أن نستشعر وجود الترادف بين "فقه اللغة"

و"علم اللغة" مستندين إلى أن الفقه هو علمٌ أيضًا[(١)].

ثانيًا- في الدرس اللغوي المعاصر:

نستطيع أن نلمح اتجاهين بين علماء اللغة المعاصرين من حيث النظر إلى مصطلح (فقه اللغة) من حيث توظيفه، أو الاكتفاء بمصطلح (علم اللغة) دالًا على كل القضايا اللغوية:

الاتجاه الأول: يميل إلى استخدام المصطلح العام (علم اللغة) ويرى الاكتفاء به.

الاتجاه الثاني: يميل إلى استخدام المصطلح الخاص (فقه اللغة) ويرى بعضهم الاكتفاء به.

وقد آثرنا استخدام كلمة "يميل" لأننا لا نرى اتجاهًا من الاتجاهين يرفض دلالة مصطلح (فقه اللغة) فهما معًا يُقِرَّانِ به، ثم بعد الإقرار يميل أحدهما إلى استخدام مصطلحٍ دون آخر، فهو مَيلٌ في التوظيف، وليس خلافًا في دلالة المصطلح.

أما **الاتجاه الأول**: فتستطيع أن تلاحظ أصحابه من مقارنة عنوان الكتاب بما اشتمل عليه من موضوعات، وأصحاب هذا الاتجاه قد يعترفون بوجود فارق بين مصطلحي (علم اللغة) و(فقه اللغة)، لكنهم مع ذلك يفضلون مصطلح (علم اللغة)، تشهد بذلك مؤلفاتهم؛ ومنها:

(١) كتاب الدكتور رمضان عبد التواب " المدخل إلى علم اللغة "، تجد فيه بحوثًا لغوية مقارنة بين العربية وبقية الساميات مثل : في أصوات اللغة ـ أبنية الفعل ـ أدوات التعريف والتنكير ـ التذكير والتأنيث ـ إسناد الماضي إلى الضمائر ـ الأفعال المعتلة ـ تطابق العدد في الجملة الفعلية.

ولعلك لا حظت أن هذه القضايا هي من صميم " فقه اللغة "، يؤكد ذلك كتاب آخر صدر للدكتور إبراهيم السامرائي ناقش فيه قضايا قريبة من تلك،

---

(١) انظر: دراسات في علم اللغة ـ د. كمال بشر ص ٤٣، وفي علم اللغة العام ـ د. عبد الصبور شاهين ص ٦ .

وعنونه بـ " فقه اللغة المقارن "[١].

(٢) كتاب الدكتور عبد الغفار حامد هلال "علم اللغة بين القديم والحديث "، تجد فيه بحوثًا في: الدلالة عند العلماء العرب ـ قضية الإعراب ـ فلسفة العلة ـ نظرية العامل النحوي، وهي قضايا تجمع بين "فقه اللغة" و"النحو".

(٣) كتاب الدكتور عبد الصبور شاهين "في علم اللغة العام" تجد هذه الموضوعات: اللغة العربية المشتركةـ أشهر اللهجات العربية وعناصرهاـ مقاييس الصواب والخطأ في اللغة ـ القرآن والعربية، وهي موضوعات داخلةٌ في: فقه اللغة ".

هذه الكتب وأمثالها تقرر حقيقة مهمة؛ هي أن علماء العصر الحديث يرون أن مصطلح "علم اللغة" أعم من مصطلح "فقه اللغة" ومن ثَمَّ يُمكن الحديث في كل القضايا اللغوية تحت اسم " علم اللغة " إذ هو المصطلح العامّ الشامل.

غير أن هذا العموم في المصطلح لم يقنع الدكتور محمود فهمي حجازي، لذلك خصصه بالوصف، فأصدر كتابًا يحمل عنوان "علم اللغة العربية" وكأنه يقابل به مصطلحًا آخر هو "علم اللغة العام"، ومن الملاحظ في هذه الحال أن مصطلح" علم اللغة العربية " يتساوى تمامًا مع " فقه اللغة ".

يقول الدكتور كمال بشر في العلاقة بين (فقه اللغة) و(علم اللغة):

"فقه اللغة بمفهومه القديم أو الحديث لا يعدو أن يكون حلقة من حلقات الدرس في علم اللغة، وبهذا يمكن الاستغناء عنه والاكتفاء بهذا المصطلح العام (علم اللغة) الذي يجري تطبيقه الآن على أي نوعٍ من أنواع الدرس اللغوي، ولكننا بالرغم من ذلك لا نرى ما يمنع من الاحتفاظ بالمصطلح (فقه اللغة)

---

(١) من هذه القضايا: بحث مقارن في التثنية ـ الجمع في العربية (بحث ومقارنة) ـ الإعراب في اللغة ودلالته (بحث مقارن في اللغات السامية) .

لارتباطه بتاريخ طويل وتقليدٍ ممتد عبر القرون في الدرس اللغوي العربي والسامي بوجهٍ عام... فالعلاقة بينهما علاقة العموم والخصوص، وليست علاقة الترادف"[١] غير أن الدكتور كمال بشر لم يستخدم مصطلح (فقه اللغة) وآثر مصطلح (علم اللغة) يشهد بذلك كتابه الشهير عن الأصوات الذي أصدره أكثر من مرة تحت عنوان رئيس هو (علم اللغة العام) قبل أن يستقل بعنوان وحيد في طبعته الجديدة باسم "الأصوات العربية" وكذلك كتابه "دراسات في علم اللغة" الذي ضمنه بحوثًا تنتمي إلى (فقه اللغة)، مثل: الألف والواو والياء في اللغة العربية - همزة الوصل - السكون في اللغة العربية - مفهوم الصرف عند العرب.

أما الاتجاه الثاني، فيميل إلى استخدام مصطلح (فقه اللغة) وبمعنى قريب مما استخدم عند العلماء العرب القدامى؛ وهو "دراسة العربية وخصائصها"، على حين يستخدم الثاني (علم اللغة) استخدامًا شاملًا في كل ما يتصل بالعربية وغيرها من اللغات، من فصيلتها أو غيرها[٢]. وهو ما أشار إليه د. كمال بشر في النص الذي اقتبسناه آنفًا، من الكتب التي تمثل أصحاب هذا الاتجاه:

(١) كتاب "فقه اللغة" للدكتور علي عبد الواحد وافي، أول كتاب يحمل هذا الاسم في العصر الحديث، يقول في مقدمته "سندرس في هذا الكتاب فصيلة" اللغات السامية "مفصلين بعض التفصيل في لغةٍ منها، وهي اللغة العربية"[٣].

(٢) كتاب "دراسات في فقه اللغة" للدكتور صبحي الصالح، الذي أدخل في كتابه موضوعات خارجة عن فقه اللغة، وكانت حُجَّته في ذلك " لأنها قُصِرَت على إبراز خصائص لغتنا العربية، فكانت أجدر أن تسمى

---

(١) انظر: دراسات فى علم اللغة – د. كمال بشر، ص٤٤.

(٢) فى علم اللغة العام – د. عبد الصبور شاهين، ص٨.

(٣) فقه اللغة – د. على عبد الواحد وافى، ص٥.

بالاسم الشائع عند العرب حين ألَّفوا في هذه الموضوعات، ويقف الدكتور صبحي الصالح موقفًا مناقضًا لموقف الدكتور كمال بشر، فعلى حين يرى الدكتور بشر إمكان الاكتفاء بمصطلح (علم اللغة)، يرى الدكتور الصالح إمكان الاكتفاء بمصطلح (فقه اللغة)؛ يقول: "وإنه ليحلو لنا أن نقترح على الباحثين المعاصرين ألا يستبدلوا بهذه التسمية[(١)] شيئًا، وأن يعمموها على جميع البحوث اللغوية، لأن كلَّ علمٍ لشيءٍ فهو فقه، فما أجدر هذه الدراسات جميعًا أن تُسمَّى فقهًا"[(٢)].

كتاب "فصول في فقه العربية" للدكتور رمضان عبد التواب، يقول فيه: تخصص "فقه اللغة" في الجامعات العربية، بدراسة "فقه اللغة العربية"، وإن اختلفت مناهجه فيها، بين الدراسة التقليدية القديمة، ومحاولات لتطبيق المناهج الحديثة في الدرس اللغوي[(٣)].

ونحن نرى أن العلاقة بين (فقه اللغة) و(علم اللغة) هي علاقة بين الخاص والعام، ومن ثمَّ نحن لا نرفض معالجة قضايا (فقه اللغة) تحت عنوان (علم اللغة) إذ هو العلم الشامل الجامع، لكن مع الإبقاء على مصطلح (فقه اللغة)، مستندين إلى أسبابٍ أهمها:

(١) مصطلح (فقه اللغة) مصطلح تراثي عالج كثيرا من القضايا اللغوية، ومن الخير التمسك به، ما دام له موقع في الدراسات اللغوية.

(٢) مصطلح (علم اللغة) يناقش القضايا اللغوية العامة، بل إن بعضهم

---

(١) يقصد فقه اللغة.

(٢) دراسات في فقه اللغة ـ د. صبحي الصالح ص ٢٠.

(٣) فصول في فقه اللغة ـ د. رمضان عبد التواب ص ١١. وهناك كتب أخرى اتخذت من مصطلح (فقه اللغة) عنوانًا لها؛ منها: "دراسات في فقه اللغة" للدكتور السيد يعقوب بكر، و"مقدمة لدراسة فقه اللغة" للدكتور محمد أحمد أبو الفرج، و"الوجيز في فقه اللغة " لمحمد الأنطاكي، و"فقه اللغة وخصائص العربية" لمحمد المبارك .

يؤكد هذا العموم بنعته بكلمة (العامّ) ومن المفيد علميًّا أن يظل مستقلًا بهذه الدلالة الاصطلاحية.

(٣) تتجه العلوم اللغوية ـ وكل العلوم ـ ناحية التخصص الدقيق، فما كان موضوعًا من موضوعات العلم استقل بمصطلح خاص وصار كأنه علمٌ مستقلٌّ؛ من ذلك: علم اللغة النفسي ـ علم اللغة الاجتماعي ـ علم اللغة الإنثروبولوجي...، من هنا يأتي مصطلح (فقه اللغة) منسجمًا مع سياق تطور الدرس اللغوي.

(٤) مصطلح (فقه) بما يحمله من معانٍ توحي بالتعمُّق في الأمور العلمية، والتبحُّر في أسرارها، وإعمال الفكر فيما غمض من أحوالها، يتناسب وتعمُّق العربية زمانًا مكانًا، وتشعبها إلى فصحى ولهجات، وتنوع أساليبها شعرًا ونثرًا، ولعل هذا الأمر يفسِّر عنوان كتاب أبي منصور الثعالبي "فقه اللغة وسر العربية"؛ إذ قرن كلمة "فقه" بكلمة "سر"، ويسير في هذا الاتجاه تأليف أكثر من كتاب يحمل في عنوانه كلمة سر أيضًا، ومن هذه الكتب "سر صناعة الإعراب" لابن جني (ت ٣٩٠هـ)، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، و"أسرار العربية" لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، وحتى في العصر الحديث قدم الدكتور إبراهيم أنيس كتابه " من أسرار اللغة ".

التسميات المختلفة لعلم اللغة linguistics:

من المفيد هنا إيضاح التسميات المختلفة لمجالات علم اللغة ومناهجه فى محاولة لإزالة الغموض القائم عند بعض الدارسين نتيجة لكثرة التسميات وغموضها وتداخلها أحيانا.

يطلق بعضهم على «علم اللغة» عدة تسميات، أهمها:

١- فقه اللغة.

٢- علم اللغة.

٣- علم اللسان.

٤- اللسانيات.

٥- الألسنية.

٦- اللسنيات.

٧- اللغويات.

وتتداخل هذه المصطحات بعضها مع بعض تداخلا لا يفيد العلم، وقد أدى هذا إلى تمزق مجالات البحث العلمى فى اللغة، وإهمال كثير من قضاياه، وإلى عدم وضوحٍ فى تصوّر الكثيرين تجاه جوانبه المتكاملة.

ولذا نرى ضرورة استخدام تسمية موحدة واضحة هى «علم اللغة» تخصص بعد ذلك بصفة (العام – الوصفي – التاريخي – المعياري – المقارن – التقابلي – التطبيقي ... إلخ)[1].

لقد اتسعت دوائر البحث في اللغة فى السنوات الأخيرة اتساعا مذهلا حتى إنك لتجد لها منافذ ومسالك تنفذ بها، ومنها إلى ألوان مختلفة من فروع العلم الأخرى والمعرفة الإنسانية في عمومها.

ويرجع هذا الاتساع في نظرنا إلى ثلاثة أمور متصلة غير منفصلة:

أولها: انتشار الدراسات اللغوية واستقرارها والاطمئنان إلى أنها ذات أهمية بالغة في الأخذ بيد الدارسين في حقول علمية ومعرفية منوّعة لها اتصال بالإنسان (صاحب هذه اللغة) وظروفه التاريخية والاجتماعية والثقافية والنفسية والتعليمية... إلخ. وقد أدى هذا الوضع إلى دخول غير اللغويين المحترفين إلى ميدان اللغة ناشدين العون من أسرارها في إلقاء الضوء على مشكلاتهم في حقولهم العلمية الخاصة، كما أغرى هذا الوضع كذلك عددا من اللغويين إلى الأخذ بنصيب من العلوم الإنسانية غير اللغوية، قصدا إلى التعرف على مدى ما يمكن أن يُسْهم به البحث اللغوى فى خدمة هذه العلوم، وأملا فى إثراء عملهم

(١) د. محمود فهمى حجازي : أسس علم اللغة العربية .

اللغوى وتعميقه عن طريق التعرف المناسب على حقائق هذه العلوم التى من شأنها أن تمدّهم بما ينمِّى معرفتهم اللغوية ويساعدهم فى إلقاء الضوء على حقائق اللغة الإنسانية.

وثاني هذه الأمور يتمثل في اتساع دائرة اللغويين المحترفين وميلهم إلى التعميق والتأصيل، مع اختلاف فى وجهات النظر ومناهج الدرس عند تناولهم لمادتهم. ومن ثم برزت إلى الوجود اتجاهات أو مدارس لغوية كثيرة، تتفق في أشياء وتختلف في نواحٍ أخرى، منهجية وغير منهجية.

ويأتي الأمر الثالث: ملخِّصا للموقف كله وكاشفا عن سر اتساع دوائر البحث اللغوي، ونعني بهذا الأمر تلك الحقيقة الواضحة، وهى أن دراسة اللغة تعني دراسة الإنسان. ودراسة الإنسان تقتضي الوقوف على كل ما يتصل به من ظروف وملابسات عرضت لها أو اختصت بها علوم إنسانية شتى.

لهذا كله لا نعجب لكثرة التقسيمات والتفريعات لعلم اللغة ومناحي الاتجاهات والاهتمامات في هذا الحقل الذي يعد الركيزة الأساسية في البحث الإنساني بعامة.

وسوف نحاول هنا تقديم شيء من هذه التقسيمات، مكتفين بالإشارة إلى أهمها بحثا، وأشهرها تداولا، وأكثرها استقرارا وتأصيلا.

تمهيد:

يتجه تصنيف علم اللغة نحو المادة اللغوية ذاتها، أي أنه يصنع لمقابلة مادة اللغة من أصوات وصيغ وتراكيب... إلخ. وتكتسب فروعُه أسماءها من الجانب اللغوي المعين الذي تختص بدراسته والبحث فيه، بقطع النظر عن أية جوانب خارجية تتصل بالبحث اللغوي بعامة، كالمناهج التي تتبع في التحليل ووجهات النظر الخاصة التي تتجه نحو الظروف والملابسات التى تتصل باللغة اجتماعيا ونفسيا وتاريخيا إلخ.

من هذه الزاوية يتفرع علم اللغة إلى مجموعة من الفروع، يختلف

الدارسون في عددها وترتيبها وعلاقتها بعضها ببعض ولقد استقر رأينا على التفريع التالي، وهو أشهرها وهو أقربها إلى المنطق وأصلحها لحاجة الدارسين:

١- علم الأصوات وله جانبان علم الأصوات العام (الفوناتيك) phonetics وعلم وظائف الأصوات (الفونولوجيا) phonology.

٢- علم الصرف morphology.

٣- علم النحو (أو علم التركيب) syntax.

٤- علم الدلالة semantics.

وهذه المستويات الأربعة كلٌّ متكامل، لا يمكن الفصل بينها فصلا حاسما، كلٌّ ذو اتصال وثيق بسابقِهِ أو لاحقِهِ، وكل منها يفيد فى النظر فى العلم الآخر أو مادته، وربما جاز الفصل بين هذه الفروع للمبتدئين من الدارسين، وفى حالة البحوث الدقيقة فى مجال التخصص فى فرع معين.

وقد يجرى التفريع على وفق مناهج البحث وطرائق التحليل اللغوى أو زمنه. ومن هذه الناحية نحصل على الفروع الآتية:

١- علم اللغة الوصفي descriptive (أو السنكروني أو التزامني أو الآني).

٢- علم اللغة التاريخي historical (أو الدياكروني أو التطوري أو الديناميكي).

٣- علم اللغة المعياري normative.

٤- علم اللغة المقارن comparative.

٥- علم اللغة التقابلي contrastive.

ظاهر مما تقدم أن التفريعين السابقين يتعلقان بالمادة اللغوية ذاتها، وبطرائق ومناهج درسها. وهذان التفريعان هما ما يعنى بهما اللغويون المحترفون، وهما الشغل الشاغل لهم، يدورون فى إطارهما ويعكفون على تعميق جوانبهما، وإن جاء تركيز بعضهم على جانب لغوى معين أو منهج

معين، وآخرين على جوانب أو مناهج أخرى، وفقا لاهتمام كل فريق واتجاهاته فى العمل.

وهناك فروع لغوية حديثة العهد بالوجود نسبيا، انضمت إلى حظيرة الدرس اللغوى بصورة من الصور، ولكنها جميعا لا تبحث في المادة اللغوية بقدر ما توجه اهتمامها إلى عوامل خارجية، لها نوع صلة باللغة بطريق التأثير والتأثر أو رغبة فى بيان العلاقة بين اللغة وهذه العوامل للإفادة من حقائق الجانبين حتى تكتمل الصورة لهذه المعجزة (اللغة) وتتضح أسرارها المتشعبة التى لها علاقة أكيدة بالإنسان وبحياته وأنماط سلوكه.

من أهم هذه الفروع مجموعة معينة لها نوع استقرار وانتشار فى الوقت الحاضر، وغدا بعضها ذا مناهج وأساليب علمية في البحث، ومن ثم وجبت الإشارة إليها في صورة التفريع التالى:

١- علم اللغة النفسي Psycholinguistics.

٢- علم اللغة الاجتماعي Sociolinguistics.

٣- علم اللغة الجغرافي Geographical linguistics

٤- علم اللغة الإثنولوجي Ethnolinguistics

٥- علم اللغة الأنثروبولوجي anthropological.

٦- علم اللغة السياسي political.

تفريعات أخرى:

بقي أن نشير إلى تفريعين آخرين مهمين، جرى الناس على ذكرهما والتنبيه عليهما، مكتفين في ذلك بتسمية فروعهما وإطلاق المصطلحات عليهما، دون محاولة لتحديد جوانبهما أو بيان لمفهوم هذه المصطلحات.

وفى هذا الشأن تفريعان اثنان، هما:

١- تفريع للعلم من حيث النظر والتطبيق، وهنا يبرز لنا فرعان كبيران، هما:

أ- علم اللغة النظري General linguistics.

ب- علم اللغة التطبيقي Applied linguistics.

وقد لقي علم اللغة التطبيقي في السنوات الأخيرة دفعات قوية، وكَثُر المهتمون به، وتنوعت جهودهم حتى أصبح الآن عِلمًا أو اتجاها من العمل اللغوي له مجالاته وحدوده واهتماماته التي غدت أشبه بفروع منبثقة من أصل له نوع من الاستقلال، وقد نمت هذه الفروع وتخصص فيها باحثون حتى إنها تُنْعت أحيانا بأنها «علم».

تفريع من حيث العمومية والخصوصية، أو من حيث الاتساع والشمول من جهة وتضييق المجال وتخصيص النشاط اللغوي المعين من جهة أخرى.

ومن ثَم كان لدينا ما يعرف «بعلم اللغة العام» ويقابله ما يمكن أن يسمى «علم اللغة الخاص» تجوزا، وأمثلة الفرع الثاني كثيرة، كأن نقول «علم اللغة العربي»، «علم اللغة الأمريكي».

والمقصود بعلم اللغة العام؛ العلم الذى يدرس اللغة (أية لغة على وجه الأرض)، بقطع النظر عن بيئتها أو خواصها أو أصلها، وبقطع النظر عن دارسيها أو اتجاههم فى دراسة لغتهم المعنية (كالمدرسة العربية التى حصرت عملها فى اللغة العربية) أو في منهجهم الذى عرفوا به فى دراسة اللغة بعامة أو كالمدرسة الأمريكية التى تسلك مسلكا خاصا فى دراسة اللغات أو مدرسة دي سوسير... إلخ. فعلم اللغة هنا ذو وظيفة عامة، من شأنه وضع المبادئ والأسس والمناهج الذي تُتَّبع فى دراسة اللغة الإنسانية بعامة.

ودي سوسير نفسه الذي اشترط حصر الدراسة في اللغة المعينة، ما يزال عمله واقعا تحت مظلة علم اللغة العام، لأن مبادئه وأفكاره اللغوية إنما جاءت لرسم خطة وتحديد طريق دراسة أية لغة يراد التعامل معها، ويشهد على ذلك

كتابة المشهور «محاضرات في علم اللغة العام».

ولكنه مع ذلك يشترط عند تطبيق هذه المبادئ والأفكار أن يحصر العمل ويجري التحليل في اللغة المعينة، قصدًا إلى بيان خواصها المميزة لها، وحتى لا يقع اضطراب أو خلط فى الدراسة. فمبادئه وأفكاره عامة من حيث النظر وخاصة من حيث التطبيق.

أما «علم اللغة الخاص» فهو ضيق المجال بيئةً أو اتجاهًا وغالبا ما يُنْعَت بما يميز إطاره من هذين الجانبين منفردين أو مجتمعين. فقد يكون هذا النعت منصرفا إلى دراسة أو دراسات لغوية خاصة بلغةٍ بذاتها، كما هو الحال في اللغة العربية فى القديم؛ حيث انكب اللغويون العرب على دراسة لغتهم دون غيرها. ومن ثم جاز أن يطلق على هذا العمل «علم اللغة العربية»، ولكن هذا لا يعني أن مبادئهم أو جملة منها غير صالحة للتطبيق على لغات أخرى. ويظهر ذلك بوجه خاص في الدراسات اللغوية الهندية في القديم، حيث تركزت أعمال الدارسين هناك على «اللغة السنسكريتية» وما تفرع منها أو اتصل بها، ومع ذلك كانت مبادئ الدرس واتجاهاته في تحليل هذه اللغة منطلقا لنظر لغوي عام صالح للأخذ به في معالجة اللغات الأخرى. وقد ظهر ذلك جليا في أعمال «بانيني» الذي أرسى مجموعة من الأسس والنظريات التي امتد أثرها حتى اليوم.

أولا- فروع علم اللغة:

١- علم الأصوات Phonetics :

علم الأصوات هم العلم الذي يدرس أصوات اللغة، (أصغر وحدة صوتية لها وظيفة في اللغة هي فونيمات اللغة Phonemes) ولعلم الأصوات فروع متعددة تتدرج تحت عدة أقسام، نهتم منا الآن بتقسيم واحد، وهو التقسيم المبني على عملية تحليل الكلام إذ هو أكثرها تفرعا وتنوعا.

تنتظم عملية الكلام خمس خطوات متتالية ومترابطة، يقود بعضها إلى بعض حتى تتم الدائرة بين المتكلم والسامع في أبسط موقف من المواقف اللغوية، وهذه

الخطوات هى:

١- العمليات النفسية العقلية التى تجري في ذهن المتكلم قبل الكلام أو أثنائه.

٢- عملية إصدار الكلام الممثل في أصوات ينتجها جهاز النطق.

٣- الموجات والذبذبات الصوتية الواقعة بين فم المتكلم وأذن السامع، بوصفها ناتجة عن حركات أعضاء الجهاز النطقي وبوصفها أثرا مباشرًا من آثار هذه الحركات.

٤- العمليات العضوية التي يخضع لها الجهاز السمعى (لدى السامع) عند سماعه للكلام واستقباله الموجات الصوتية أو الذبذبات المنتشرة فى الهواء.

٥- العمليات النفسية والعقلية التي تجري في ذهن السامع عند سماعه للكلام واستقباله للموجات الصوتية والذبذبات المنقولة إليه بواسطة الهواء.

ويقتضي منطق الأمور أن يُهمل علمُ الأصوات النظرَ في الجانبين الأول والخامس وعدم التعرض لهما تعرضا مباشرا في البحث اللغوي، وذلك لأن هذين الجانبين جانبان نفسيان عقليان، وعلم الأصوات معنىٌّ أول الأمر وآخره بالأحداث اللغوية المنطوقة بالفعل، لا بمصادرها أو آثارها النفسية العقلية.

يتبين لنا إذًا أن أصوات الكلام لها ثلاثة جوانب متصلة لا يمكن تصور أحدها دون الآخر؛ هذه الجوانب هى:

١- جانب إصدار الأصوات، أو الجانب النطقى، وهو ما يشار إليه كذلك بالجانب الفسيولوجي أو العضوي للأصوات، ويتمثل هذا الجانب في عملية النطق من جانب المتكلم وما تنتظمه هذه العملية من حركات أعضاء النطق.

٢- جانب الانتقال أو الانتشار في الهواء أو الجانب الأكوستيكي أو

الفيزيائي ويتمثل هذا الجانب فى الموجات الصوتية المنتشرة فى الهواء نتيجةً لحركات أعضاء النطق.

٣- جانب استقبال الصوت أو الجانب السمعي، ويتمثل ذلك في الذبذبات الصوتية التى تؤثر في طبلة أذن السامع وتعمل عملها فى ميكانيكية أذنه الداخلية وفي أعصاب سمعه حتى يدرك الأصوات.

هذه الجوانب الثلاثة تقع – كما هو واضح – في مجال علم الأصوات، وهو المختص بدراستها والنظر فيها، واستلزم ذلك تفرع علم الأصوات إلى فروع، يقابل كلٌّ فرعٍ منها جانبا من جوانب الصوت ويقوم بدراسته، وتحليله وفقًا لطبيعته ومكوناته، هذه الفروع هي:

١- علم الأصوات النطقي أو الفسيولوجي physiological phonetics.

٢- علم الأصوات الأكوستيكي أو الفيزيائي physical phonetics.

٣- علم الأصوات السمعي Auditory phonetics.

١- علم الأصوات النطقي articulatory phonetics:

أقدم فروع علم الأصوات وأرسخها قدما، وأكثرها حظًّا من الانتشار في البيئات اللغوية كلها، ويرجع السبب في هذا إلى أمرين:

الأمر الأول: وظيفة هذا الفرع إذ إنه مرتبط بصحة نطق الأصوات، الأمر الذى يكتسب أهمية كبرى إذا كانت اللغة مرتبطة بنصٍّ ديني يُتَعَبَّد بتلاوته، ولا يُقْبَل الخطأ في قراءته أبدا، كما هو الحال في ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم، من هنا تتعاظم وظيفة هذا العلم، إذ يُوكَلُ إليه ضبط مسائل النطق أو التلاوة ضبطا كاملا عن طريق وصف الأصوات وصفا دقيقا، وعلى كل قارئ للقرآن الالتزام بهذا الوصف وإلا عُدَّ مخطئا في قراءة القرآن.

من أجل تلك الوظيفة الخطيرة كان التقدم في مسائل علم الأصوات النطقي تقدما واضحا جليا.

الأمر الثاني: أن هذا الميدان سهل المنال للملاحظة الذاتية والممارسة الشخصية بطريقة تذوق الأصوات ونطقها مرة بعد أخرى، وتحديد نقاط النطق وتعيين حركات أعضاء النطق، وكلها أمور يقدر عليها الباحث العادي وليست في حاجة إلى عناء أو تدريب شاق، فمعظم الأعضاء المسئولة مباشرة عن إصدار الأصوات تخضع للمراقبة بالعين المجردة أو الأدوات المساعدة البسيطة (كالمرآة مثلا).

ولقد كانت الدراسات الصوتية في القديم مبنية في أساسها على هذا الجانب النطقي بوصفه الوسيلة المتاحة التى يمكن الاعتماد عليها فى زَمَنٍ حُرِمَ آلات العلم وأجهزته الفنية التي تساعد على الكشف عن الجوانب الأخرى للصوت اللغوي. يظهر هذا الاتجاه النطقى واضحا في أعمال العرب، كما تشهد بذلك آثارهم العلمية ومصطلحاتهم وتصنيفاتهم الصوتية، وكذلك سار على هذا النهج غيرهم من الأمم في أوربا وغيرها عندما أتيح لهم التعرف إلى هذا العلم فيما بعد.

وظل الحال على هذا النحو من الاعتماد على تذوق الأصوات والملاحظة الذاتية أجيالا متعاقبة إلى أن جاء العصر الحديث فأفاد علم الأصوات من العلوم الأخرى لتوثيق مادته وتأكيد نتائج بحثه، فاستعان علم الأصوات بعلم التشريح وعلم الأحياء والفسيولوجي (علم وظائف الأعضاء).

٢- علم الأصوات الأكوستيكي acoustic phonetics أو الفيزيائي:

علم حديث العهد بالوجود نسبيا، وهو يمثِّل المرحلة الوسطى بين علم الأصوات النطقي وعلم الأصوات السمعي.

وقد كان لتقدم العلوم الطبيعية بفروعها المختلفة فضل كبير فى تعريف اللغويين بكثير من خواص الأصوات وطبيعتها، ولقد تم ذلك فى البداية بالاستعانة برجال الفيزياء والمتخصصين منهم فى علم الصوت بوجه خاص، إلى أن اتضحت الأمور أمام اللغويين فاستطاعوا تحديد ميدانهم والوقوف على أبعاده المختلفة، وطوَّروا لأنفسهم منهجا يتسق مع طبيعة الصوت الإنسانى

وخصصوا لهذا الميدان اسما مميزا هو «علم الأصوات الأكوستيكى» نسبة إلى Acoustic وهو فرع من الفيزياء.

ووظيفة هذا الفرع دراسة التركيب الطبيعى للأصوات، فهو يحلل الذبذبات والموجات الصوتية المنتشرة فى الهواء بوصفها ناتجة عن ذبذبات ذرات الهواء فى الجهاز النطقى المصاحبة لحركات أعضاء هذا الجهاز.

ومعنى هذا أن وظيفته مقصورة على تلك المرحلة الواقعة بين فم المتكلم وأذن السامع.

٣- علم الأصوات السمعي Auditory phonetics :

هو أحدث فروع علم الأصوات، وهو ذو جانبين جانب عضوي أو فسيولوجي physiological، وجانب نفسي psychological.

أما الأول فوظيفته النظر فى الذبذبات التى تستقبلها أذن السامع وفى ميكانيكية الجهاز السمعي ووظائف أعضائه عند استقبال هذه الذبذبات.

ويركز الجانب الثاني جهوده على البحث فى تأثير هذه الذبذبات ووقعها على أعضاء السمع وإدراك السامع للأصوات وكيفية هذا الإدراك، وهى مرحلة نفسية خالصة وميدانها الحقيقي هو علم النفس.

وهذان الجانبان متصلان غير منفصلين، فهما وجهان لشيء واحد، أو خطوتان متتاليتان لعملية استقبال الأصوات، ومن ثم جرى العرف عند غالبية الدارسين على النظر إليهما معا تحت هذا الاسم المشهور «علم الأصوات السمعي».

وقد خَطَت الدراسة في هذا الفرع بجانبيه خطوات كبيرة فى الوقت الحاضر، غير أن الاهتمام به لم يزل محصورا في دائرة ضيقة، هي دائرة المتخصصين تخصصا دقيقا، والمؤهلين تأهيلا مناسب في فسيولوجيا الجهاز السمعي، و«علم النفس الإدراكي». إذ إن هذه الدراسة تحتاج – ولا شك – إلى

أجهزة وآلات ليست متاحة للغوىّ العام، أو هو ليس بقادر على التعامل معها بطريقة تضمن له الدقة فى عمله. ومن الممكن بالطبع أن يتخصص اللغوي فى هذا النوع وأن يتعامل مع أجهزته بكل دقة، لكن هذا سيكون على حساب تخصصه فى باقى فروع اللغة، وهى المجال الأصيل لنشاطاته وإبداعاته.

٤- علم الأصوات المعملي:

الفروع السابقة تعتمد الآن اعتمادا كبيرا على فرع رابع للأصوات مُتَمِّم لها، ولا يمكن السير فى أحدها بدونه إذا أردنا أن نحصل على نتائج صحيحة يمكن الاعتماد عليها.

هذا الفرع هو ما يشار إليه بعلم الأصوات التجريبي أو الآلي أو المعملي، ووظيفة هذا الفرع إجراء التجارب المختلفة بوساطة الوسائل والأدوات الفنية فى مكان معد لذلك يسمى معمل الأصوات، وهذه الأجهزة منها ما يخدم علم الأصوات النطقى ومنها ما يستخدم فى دراسة الجانب الفيزيائي للأصوات ومنها ما يخدم الجانب السمعي.

وقد كان من أهم الدوافع إلى استخدام الآلات والأجهزة فى الدرس الصوتى اعتقاد البعض أن الأذن الإنسانية ليست وسيلة كافية للكشف عن حقائق الصوت، وأنها فى الوقت نفسه وسيلة ذاتية لا موضوعية، والاعتماد عليها وحدها يؤدى إلى أحكام متأثرة بالانطباع الذاتي للسامع.

٢- علم الصرف (Morpholog):

علم الصرف، ويطلق عليه أحيانا «المورفولوجِي»، هو العلم الذى يدرس «مورفيمات اللغة».

والمورفيم (morpheme) هو أصغر وحدة صرفية ذات معنى، ويظهر فى أشكال متعددة هى:

١- **الكلمات:** رجل، قلم، كتاب. فهذه الكلمات مورفيمات لأن لها معنى يجعلها صالحة للدخول فى أي تركيب.

٢- **الصيغة:** نحو: صيغة فاعل: عالم، قاتل.

صيغة فَعّال: عَلاَّم، قَتَّال.

صيغة مفعول: معلوم، مقتول.

فهذه الكلمات لها معنى مستمد من الصيغة بخلاف المعنى المستمد من الكلمة ذاتها، فأنت تعلم من صيغة فاعل أنها دالة على من يقوم بالفعل أو يتصف به، ولو لم تعلم الدلالة الأصلية للكلمة، فكلمة «عالم»: تدل فى الأساس على «العلم» وتدل بصيغتها على المتصف بالعلم.

وكلمة «عَلاَّم» تدل فى أصل مادتها على العلم، وبصيغتها على المتفوق جدا فى هذا العلم.

وكلمة «معلوم» تدّل فى أصل مادتها على العلم أيضًا وبصيغتها على الشيء الذى عُلِمَ.

ومعنى هذا أن هذه الكلمات جميعا تشترك في الدلالة الأصلية للمادة اللغوية، والذي جعل لها هذا الاختلاف هو كونها جاءت في شكل صيغة معينة، وبما أن للصيغة هنا معنى فلابد من عدِّها مورفيمًا.

ومن مورفيمات الصيغة أيضا:

مورفيما فُعْلَى، فَعْلاء، للدلالة على التأنيث.

مورفيم مِفْعل ومِفْعال للدلالة على الآلة.

مورفيم فِعْلَة للدلالة على الهيئة.

مورفيم فَعْلَة للدلالة على المرة.

مورفيمات فُعَّال، مَفاعِل، مَفاعيل ... للدلالة على الجمع.

٣- **اللواصق:** وهى حروف تدخل على الكلمة فتضيف إليها دلالة جديدة لم تكن موجودة به قبلا، وهي نوعان:

أ- **سوابق:** تلتصق بأول الكلمة كحروف «أ ن ي ت» التي تسبق الفعل لتدل على المضارعة، نحو يلعب، يكتب.

والسين التي تدل على الاستقبال.

واللام التي تدل على الأمر «لتصمتْ»، واللام التى تدل على التعليل: «لتكتبَ».

ب- لواحق: تلتصق بآخر الكلمة، نحو: الضمائر التي تتصل بالفعل (ضَرَبْتُ – ضربوا – ضربنا ... إلخ).

وكذلك تاء التأنيث (ضَرَبَتْ).

وعلامة المثنى (مسلمان) وعلامة الجمع (مسلمون ومسلمات).

وياء النسب (عربيّ – مصريّ).

ويشير كثير من الباحثين إلى نوع ثالث من اللواحق، يُسَمّى «الأحشاء» ويُقْصد بها اللواحق التى تأتى فى وسط الكلمة للدلالة على أمر من الأمور نحو الألف فى «كاتَبَ» للدلالة على المفاعلة، وفى «كاتِب» للدلالة على اسم الفاعل. غير أن المُدَقِّق في هذا النوع يرى أن الدلالة الجديدة لم تأتِ من الألف بوصفه حشوا، بل جاءت من صياغة الكلمة على هذا الوزن، إذ وزن «فاعَلَ» يدل على المفاعلة، ووزن «فاعِل» يدل على اسم الفاعل، وعلى هذا فالأمثلة المضروبة على أنها «للأحشاء» تنضوي تحت ما يُسَمَّى «بالصيغة» التى أشرنا إليها سابقا.

وتُقَسَّم المورفيمات تقسيمات عديدة لا مجال هنا لذكرها، كل ما نود تقريره هنا هو أن علم الصرف يتناول تلك المورفيمات بالبحث والدراسة، كما يتناول أيضا مجموعة من الأمور المتعلقة بها ومنها: -

١- **الاشتقاق:** المصدر – اسم الفاعل – اسم المفعول ... إلخ.

٢- **التصريف:** تصريف الفعل: ماضٍ، مضارع، أمر، وإسناده.

وتصريف الاسم: مفرد مثنى جمع، مذكر ومؤنث...

٣- **تصنيف المورفيمات:** كالكلمات مثلا فإنها تُقَسَّم إلى أسماء وأفعال وحروف، والأسماء تُقَسَّم إلى: مذكر ومؤنث، وإلى مفرد ومثنى وجمع، أو إلى نكرة ومعرفة ... إلخ.

أما الفعل فيُقَسّم إلى ماضٍ ومضارع وأمر، وإلى لازمٍ ومتعدٍ وإلى معرب ومبنيّ ... إلخ.

والحرف يُقَسَّم تبعا لدلالته، وأثره الإعرابي، فهناك حروف الاستفهام، وحروف التوكيد، وحروف الجزم، وحروف النصب ... وهكذا.

والصرف خطوة مهمة للنحو أو هو جزء منه، ولا يمكن الفصل بينهما فصلا تاما، وهما معا يُسَمَّيان «علم القواعد» (Grammar).

٣- علم النحو syntax:

هو العلم الباحث في التراكيب، ومن ثَمّ يُطْلَقُ عليه أحيانا «علم التركيب».

ويبحث النحو في التراكيب من عدة وجوه هي[١]:

١- الاختيار.

٢- الموقعية.

٣- التعليق.

٤- الإعراب (في اللغات المعربة).

والمقصود بالاختيار: اختيار الوحدات الدلالية أي المورفيمات التى يتكون منها التركيب، والمفروض فيه أن يكون اختيارا طبيعيا خاليا من عنصر المفاضلة بين وحدة وأخرى، إذ هذه المفاضلة تبحثها علوم البلاغة، فلا مفاضلة على سبيل المثال بين هاتين الجملتين نحويا:

---

(١) د. كمال بشر : التفكير اللغوي بين القديم والجديد، بتصرف .

دارِهم مادمت فى بيتهم.

دارِهم مادمت فى دارهم.

أما في علوم البلاغة فالأمر يختلف إذ الجملة الأولى تُحَلّل تحليلا مختلفا عن الجملة الثانية المفضلة لدى علم البديع بسبب ما فيها من جناس تام بين «دراهم» و«دراهم»، والذي لا يعني النحوَ في قليل أو كثير.

ولا فرق نحويًّا بين: مر بسرعة / مرق كالسهم.

أما في علم البيان فالجملة الثانية مفضلة بسبب ما فيها من خيال.

ثم تأتي مرحلة الموقعية، وهي مرحلة دقيقة تقتضي معرفة جيدة، بقواعد البناء وأصوله وإدراكا واعيا بنظام ترتيب المورفيمات ووضعها في نسق صالح مقبول بحسب قواعد اللغة المعينة. وهنا تُراعَى حدود الموقعية للمورفيمات ومناسبتها بعضها لبعض بحيث تفيد معنى، أي بحيث تصبح صحيحة من الناحية النحوية.

ففي قولنا: جاء علىٌّ بخيرٍ سارٍّ.

جاء ترتيب المورفيمات وضمها بعضا إلى بعض مطابقا لقواعد النحو في اللغة العربية. وعلى العكس من ذلك إذا قلت:

جاء سارّ علىّ بخير

فهذه كلها مورفيمات عربية صالحة لأن تصنع تركيبا عربيا، ولكن ضمها جاء بطريقة غير صحيحة فى هذه اللغة.

وقد نتوسع في معنى الموقعية، فنجعله يشمل التبادل بين المورفيمات الصالحة لصنع تراكيب عربية صحيحة، ولكن نتيجة التبادل تؤدي إلى اختلاف التركيب بسبب اختلاف بعض المورفيمات، ولكن بعضها أوفق من بعض بالنسبة لفكرة أو للمقام. كما فى مثل:

إذا جئت أكرمك أو

أكرمك إذا جئت أو

إن جئت أكرمك أو

إن تجئ فأنا أكرمك... إلخ

هذا الضم في الواقع مبني على أساس المفاضلة في الاختيار كذلك ومن ثم نحا بنا نحو علم الأساليب المبني على عامل المفاضلة بين عناصر التركيب.

أما التعليق فالمقصود به ربط الكلام بعضه ببعض ربطا يتمشى مع قواعد اللغة المعينة من جهات عدة، مثلا:

١- من حيث المطابقة فى العدد (الإفراد والتثنية والجمع) والنوع (التذكير والتأنيث) والتعريف والتنكير ... إلخ.

٢- من حيث ربط مورفيمات بعينها بمورفيمات أخرى محددة كربط أدوات الجزم والنصب بالفعل المضارع، أو نون التوكيد به، وحروف الجر مع الاسم.

٣- أو من حيث طبيعة المورفيمات في الأبواب النحوية المعينة، كأن يكون الحال نكرة مشتقا وصاحبه معرفة، أو أن يكون المفعول لأجله مصدرا قلبيا بمعنى «من أجل كذا ... إلخ».

والنظر في التعليق فى القواعد بمعنى النظر في الخواص الجزئية بكل أبواب النحو، باستثناء الإعراب (في العربية مثلا). واستثناء الإعراب لا يعني عدم أهميته، وإنما يعني أن الاختيار الصحيح والضم الصحيح والتعليق الصحيح يقود كل ذلك حتما إلى إعراب صحيح. فهو نتيجة العمل النحوي السليم أو قل هو دليل التعليق الصحيح.

أما الإعراب فهو الوظيفة الرابعة للبحث فى النحو. وقد بالغ النحاة العرب

في الاهتمام به. حتى إن كثيرًا من المتأخرين وزعوا المادة النحوية على أساس هذا الإعراب بوصفه العمل الأساسي عندهم، وهم فى ذلك – كما يرى الدكتور كمال بشر – على طريق غير مستقيمة، إذ الأَوْلى النظر في الجهات الثلاث الأولى؛ لأنها إذا تمت على طريق صحيحة كان الإعراب صحيحا، كما ألمحنا إلى ذلك. ولقد كان لهذا الاهتمام المبالغ فيه للإعراب أثر كبير في وضع قواعد العربية، إذ لم ينظروا في قواعد التركيب الأخرى من موقعية وتعليق نظرا كافيا، الأمر الذى ضحى بكثير من حقائق اللغة. وظهر لنا الأمر كما لو كان النحو هو الإعراب والإعراب وحده.

٤- علم الدلالة Semantics :

ووظيفته البحث فى المعنى. وقد يكون النظر فيه على مستوى الألفاظ أو التركيب والنوع الأول يمثل دراسة تقليدية قديمة. كما يظهر في تسجيل المعاني العامة للألفاظ في المعاجم أو في التعرض لمجموعات معينة منها كما هو الحال في دراسة ألفاظ الترادف والمشترك اللفظي... إلخ.

ولكن لمَّا ظهر قصور هذه الدراسة وعجزها عن بيان الحقيقة اتجهت الدراسات الدلالية إلى التراكيب، للنظر في معانيها أو معاني وحداتها المكونة لها وهي فى التركيب. إذ من الواضح أن الكلمة المعينة قد يكون لها معنى عام إذا أُخِذَتْ منعزلة عن سياقها، أي غير مستخدمة بالفعل في تركيب أو عبارة، ولكنها قد تؤدي معاني أخرى أو ألوانًا منها إذا استخدمت فى هذه التراكيب والعبارات، وربما للكلمة الواحدة أكثر من معنى وأكثر من ظلال دلالية. فكان لابد إذًا من التوجه نحو التراكيب للتعرف إلى المعاني بدقة ووضوح.

وعلم الدلالة فى أصح الأقوال فرع من فروع علم اللغة، وفرع مُهِمّ كما بيَّنا، على أن بعضًا من الباحثين يراه ألصق بعلوم البلاغة والنقد الأدبي وآخرين يعدونه فى وسط الطريق بين الدراسات اللغوية والدراسات النقدية، وهو في الوقت نفسه المدخل اللغوى إلى «علم الأسلوب».

وقد اختلف الدارسون في وظيفة هذا العلم، فبعضٌ يقصرها أو يكاد يقصرها على البحث فى معاني الألفاظ، وآخرون يوجهون اهتمامه إلى دراسة المعنى على مستوى التركيب. وفي الآونة الأخيرة نلاحظ اهتمام بعض الدارسين العارفين بالجانبين كليهما (الدراسة على مستوى المفردات ومستوى التراكيب)، وهذا في الحق ما ينبغي الأخذ به والسير على دربه. ومن هنا ليست لهؤلاء حاجة إلى ذكر «المعجم» بوصفه فرعا من فروع علم اللغة، إذ هو فرع من فروع علم الدلالة ونحن بهذا السبيل نأخذ.

ثانيًا- مناهج علم اللغة:

المنهج الأول- علم اللغة الوصفي descriptive method:

هذا في الواقع منهج من مناهج تناول اللغة، وهو منهج حديث نسبيا إذ كانت الدراسات السابقة حتى أواخر القرن التاسع عشر تتسم بسمة تاريخية أو معيارية أو قُلْ كانت الدراسات التاريخية مختلطة بالنظر الوصفى والنظر المعيارى.

ولما جاء اللغوي السويسري دي سوسير في أوائل هذا القرن فرّق تفريقا حاسما بين الدراسات الوصفية والدراسات التاريخية. وسمى النوع الأول بالمنهج السنكروني Synchronic والآخر بالدياكروني Diachronic وأساس الدراسة السنكرونية أمران:

أحدهما: دراسة اللغة في فترة زمنية محددة ومن ثَمّ سمَّى هذا الاتجاه بالاتجاه التزامني أو الآني.

وثانيهما: كون الدراسة موجهة إلى لغة بعينها، وذلك بتسجيل خواصها كما تبدو في تراكيبها.

ولما انتقلت هذه الفكرة إلى بلاد أخرى سميت بالدراسات الوصفية على أساس أن هذا المنهج إنما يهتم بوصف الحقائق اللغوية وتسجيلها كما هي دون التورط فى مناحٍ عقلية أو نفسية أو دون التجاء إلى افتراض أو تأويل أو السعى وراء بيان الصواب والخطأ، والآخذون بهذه التسمية (الوصفية) يقصرون

الدراسة كذلك (مثل السنكرونية تمامًا) على فترة زمنية محددة، وعلى لغة معينة. ويسمى هذا المنهج كذلك بالمنهج الاستاتيكى Static على أساس أنه ينظر إلى اللغة فى فترة زمنية واحدة تبدو كما لو كانت ثابتة.

فأساس العمل بالمنهج الوصفى أو السنكرونى أو الاستاتيكى وحدة الفترة الزمنية ووحدة اللغة المدروسة[١].

ولقد أصبح علم اللغة الوصفى سائدا عند أكثر المشتغلين ببحث اللغة فى العالم، حتى إنهم أحيانا يتحدثون عن علم اللغة الحديث وهم يقصدون علم اللغة الوصفى، وكأنه هو المنهج الحديث الوحيد فى علم اللغة.

إن كل البحوث التى تتناول مستوى واحدا من مستويات اللغة بالدراسة الشاملة أو الجزئية لأحد جوانبه تعد من موضوعات علم اللغة الوصفى. فدراسة البنية الصوتية للعربية الفصحى فى القرن الثاني الهجرى، ودراسة البنية الصوتية للعربية المعاصرة ودراسة المقاطع فى لهجة معينة، تعد من الدراسات الصوتية الوصفية. أما علم الصرف الوصفى فيبحث موضوعات مثل: أبنية الأفعال فى لهجة القاهرة، أبنية الأسماء فى العربية الفصحى المعاصرة، المشتقات فى القرآن الكريم، المصدر فى الشعر الجاهلى وهذه أمثلة لدراسات تتناول بناء الكلمة فى مستوى لغوي بعينه من مستويات اللغة. وتدخل قضايا تحليل بناء الجملة أيضا فى علم اللغة الوصفي، ومن أمثلة بناء الجملة بالمنهج الوصفي: الجملة العربية فى الشعر الجاهلي، الجملة الخبرية فى القرآن الكريم، الجملة الطلبية فى الأصمعيات، الجملة الشرطية عند الهذليين، جملة الاستفهام فى النثر العربي الحديث. وفى الجانب المعجمي – أيضا – مجالات كبيرة لتطبيق المنهج الوصفي. وهناك معاجم أعدت لمستوى لغوي بعينه مثل معجم ألفاظ القرآن الكريم.

وهكذا فإن مجالات البحث الوصفى كثيرة، وأية دراسة صوتية أو صرفية

---

(١) د. كمال بشر : التفكير اللغوى بين القديم والحديث .

أو نحوية، أو دلالية لأحد مستويات اللغة قديما أو حديثا تعد دراسة وصفية.

المنهج الثاني- علم اللغة التاريخي historical method :

يبحث علم اللغة التاريخى تطور اللغة الواحدة عبر القرون، أو بمعنى أدق التغير في اللغة الواحدة على مدى الزمن. وهناك باحثون يرفضون كلمة التطور فى هذا الإطار باعتبارها تحمل دلالة الارتقاء، أى التغير إلى الأفضل وهذا حكم تقويمي، وهو غير ممكن فى مجال التغير اللغوي، فليست هناك صيغة أفضل من صيغة وليس هناك صوت أفضل من صوت. ولذا يفضل أكثر الباحثين المعاصرين وصف ما يحدث بأنه تغير. وثمة فرق بين أن يقال بأن اللهجات نتيجة تغير لغوي أو أنها نتيجة تطور لغوي.

لقد كانت البحوث اللغوية المقارنة ذات سمة تاريخية، ولكنها كانت تحاول أن ترتب المستويات اللغوية واللغات المختلفة المنتمية إلى أسرة واحدة ترتيبا يهتم فى المقام الأول بالصيغ والمستويات المغرقة فى القدم، والتى يمكن أن يتعرف منها الباحث إلى الصيغة الأصلية أو الشكل الأقدم الذى خرجت عنه باقى الصيغ، ولهذا فقد وُصِفَ هذا العمل بأنه تاريخي مقارن. وقد ظل بعض الباحثين يتصور أن علم اللغة التاريخى يمكن أن يكتفى بالمراحل المبكرة فى تاريخ كل لغة من اللغات، أي أقدم المراحل المتاحة وأقربها نسبيا من اللغة ولكن الوضوح المنهجى فى علم اللغة يتيح وجود دراسات وصفية للمستويات اللغوية المختلفة عبر القرون، ويتيح أيضا أن تتكامل هذه الدراسات الوصفية الكثيرة لتمهد الطريق أمام البحث التاريخى اللغوي بالمعنى الدقيق للكلمة، أي البحث فى تاريخ اللغة من أقدم نصوصها المدونة إلى وقتنا هذا.

وهناك قضايا كثيرة فى مجالات الأصوات وبناء الكلمة وبناء الجملة والدلالة تدخل فى إطار علم اللغة التاريخي. فدراسة التغير الصوتى فى العربية تعد دراسة صوتية تاريخية، ودراسة صيغ الجموع فى العربية بتتبع توزيعها ونسبة شيوعها فى المستويات اللغوية المختلفة عبر القرون موضوعٌ من

موضوعات علم الصرف التاريخى، ودراسة جملة الاستفهام فى العربية عبر القرون تعد دراسة نحوية تاريخية، وكذلك الجملة الشرطية فى العربية وجملة الاستثناء فى العربية. وتعد دراسة التغير الدلالى وما يرتبط بها من إعداد المعاجم التاريخية من أهم مجالات علم اللغة التاريخي. والمعجم التاريخي هو ذلك المعجم الذى يعطي تاريخ كل كلمة من كلمات اللغة الواحدة ويؤرخ لها ابتداء من أقدم نص وردت به إلى آخر نص، بتتبع دلالتها وتغيرها. ويعد معجم أكسفورد التاريخي للغة الإنجليزية من أهم المعاجم التاريخية لِلُغَةٍ من اللغات.

وهناك مجالات كثيرة للبحث اللغوى التاريخي، فالتاريخ اللغوي بأبعاده الكاملة من شأنه أن يعطي صورة واضحة لتاريخ الحياة اللغوية. ولا يقتصر هذا البحث على تغيُّر البنية اللغوية من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية بل يتناول بالضرورة مستويات الاستخدام اللغوى فى البيئات المختلفة وتغير ذلك عبر الزمن، كما يتناول الانتشار اللغوى ودخول اللغة إلى مناطق جديدة، ويبحث أيضا الانحسار اللغوى عن مناطق بعينها.

فالعربية مثلا كان لها على مدى عدة قرون وجودُ فى الأندلس وفي إيران، وكانت لغة ثقافةٍ في شبه القارة الهندية، ودراسة موجات التعريب من جانب، ثم انحسار مجالات استخدام العربية فى بعض هذه المناطق يعد من الدراسات اللغوية التاريخية. وعلى ذلك فالتاريخ اللغوى يتناول دراسة التغير في البنية اللغوية وبحث التغير في مستويات الاستخدام(١).

المنهج الثالث- علم اللغة المعياري normative method :

وهو المنهج التقليدى المُتَّبع فى تعليم القواعد فى المدارس والمعاهد والجامعات. وأساسه محاولة استخلاص مجموعة محددة من القواعد والقوانين وجعلها نموذجا أو معيارا ينبغى الأخذ به والسير على طريقه، فمن خرج عن هذا النهج أو المعيار دخل فى دائرة الخطأ ومن سار على هديه كان مصيبا.

---

(١) د. محمود فهمى حجازي : أسس علم اللغة العربية .

فهذا النهج في الأساس وظيفته بيان الخطأ والصواب في اللغة ومحاولة فرض قواعده على مستعملي اللغة، حفاظا عليها وعلى أصولها.

وهو في الحق منهج تعليمي صِرْف وموقعه تعليم اللغات القومية. أما تعليم اللغات الأجنبية فقد أثبتت التجارب أن المنهجين الوصفي والتقابلي أوفق منه وأكثر نجاحا. ومن المفيد أن نعلم أن هذا المنهج هو الذى اتُّبِعَ فى وضع القواعد التقليدية للغات ذات الأصول التاريخية العريقة، كالعربية واللاتينية وغيرها.

والمنهج المعياري كما يظهر فى أعمال اللغويين العرب يعتمد فى وضع قواعده على خليط من المبادئ والاتجاهات، فقد يلجأ إلى الوصف أو الفروض العقلية أو مسائل القياس المنطقى أو كل هذه (وغيرها) مجتمعة، وهو مِنْ ثَمَّ – ليس منهج بحث، وإنْ صَلُحَ أن يكون منهجا تعليميا تقليديا.

واللغات التى نزل بها كتب مقدسة تتميز بالاعتماد دائما على المنهج المعياري، ففى العربية مثلا نزل القرآن الكريم وكان الهدف من العلوم العربية خدمة هذا القرآن، وفي مجال اللغة كان الهدف حماية القرآن الكريم من اللحن، والسبيل الوحيد لتلك الحماية أن يكون المنهج معياريا، يحدد القواعد والقوانين صوتيا وحرفيا ونحويا، وغير مسموح مطلقا بالخروج عن تلك القواعد.

ولعلك لاحظ أننا استثنينا «الدلالة» من تطبيق المنهج المعياري. فعلم الدلالة يكاد يكون هو العلم اللغوي الوحيد الذى تحرر من «أسر» المعيارية، فقد وقف المعياريون العرب فى وجه كل خروج لغوي سواء على مستوى الأصوات[١]، أو على مستوى الصرف (الاشتقاق)[٢] أو على مستوى النحو، وكتبهم فى التقعيد تشهد بذلك، فضلا عن كتب «لحن العامة» أو ما سُمِّيَ

---

(١) انظر الكتاب لسيبويه وحديثه في آخر الجزء الرابع عن الأصوات الحسنة والأصوات المستقبحة.

(٢) انظر رأى ابن فارس فى كتابه الصاحبي في فقه اللغة، إذ يرفض القياس فى لغة العرب (ليس لنا أن نقيس ما قاسوه) .

بحركة التنقية اللغوية.

أما في الدلالة فإن المنهج المعياري يكاد يختفي إذا لم يكن قد اختفى تماما، فالخروج الدلالي مشروع، بل هو مرغوب، وإشادة العلماء العرب بالمجاز فى اللغة معروفة مشهورة(١).

والسبب فى هذا أن القرآن الكريم أكثر من استخدام المجاز، فلم يكن أمام المعياريين العرب إلا أن يدعوا أمر المجاز إلى الاستعمال، يصح فى اللغة ما يصح في الاستعمال وهي قمة الوصفية. وهي نظرة لم نجد مثلها – كما قلنا – لا على مستوى الأصوات ولا الصرف ولا النحو.

المنهج الرابع- علم اللغة المقارن comparative method :

قليلا ما يفرق الناس بين هذا المنهج والمنهج التاريخي لسببين:

١- أن المنهج المقارن تاريخي في الأساس في معظم الأحيان.

٢- أنه متمم للعمل التاريخى أو هو الهدف من العمل التاريخي.

فإذا كان المنهج التاريخي يتتبع الظاهرة المعينة من فترة زمنية إلى أخرى وتسجيل ما أصابها أو وقع بها من تغيير أو تطور فإن المنهج المقارن يقوم بالمقارنة بين هذه التغيرات، أو بين الأصل وما تفرع عنه، أو ما آل إليه من فترة إلى أخرى.

ومن المفيد أن نعلم أن علم اللغة المقارن إنما مجاله اللغات ذات الأصل الواحد كالعربية والعبرية، أو الفرنسية والإسبانية، أو الإنجليزية والألمانية. وليس من شأنه أن يقارن بين اللغات التي ترجع إلى أصول مختلفة كالمقارنة بين العربية والإنجليزية مثلا، وقد يتوسع فيه بعضهم فيطبقه على المقارنة بين اللغات ذات الأصول المختلفة.

---

(١) انظر ابن جنى – الخصائص ٤٤٨/٢ حيث قال « ومن المجاز كثير من باب الشجاعة فى اللغة» .

وعلم اللغة المقارن قد يستخدم فى مقارنة لهجات لغة واحدة بعضها ببعض فى فترة زمنية محددة، وهو فى هذه الحالة إنما يعتمد على درسة وصفية أساسية لكل لهجة على حدة، وهي دراسة سابقة على المقارنة.

ويمكن أن يدخل فيه المقارنة بين أي مجموعتين (أو مجموعات) تنتمي إلى لغة واحدة أو لهجة واحدة، كالمقارنة بين لغة الأطفال ولغة الكبار، والمقارنة بين لغة الذكور ولغة الإناث.. وهكذا.

المنهج الخامس- علم اللغة التقابلي contrastive method:

وهو منهج حديث نسبيا لجأ إليه الدارسون لاستخدامه غالبا فى مجال تعليم اللغات وهو – كما يبدو من التسمية – يقوم فى الأساس بمقابلة حقائق لغة معينة بحقائق لغة أخرى، تيسيرا على المتعلمين، كأن تقوم بعرض أصوات العربية على دارسيها من الإنجليز ومقابلة هذه الأصوات بنظائرها فى اللغة الإنجليزية لبيان وجوه الاتفاق والاختلاف فى هذه الناحية. وبهذه الطريقة يسهل على المتعلم الإنجليزي أن يستوعب أصوات العربية.

والمنهج التقابلي وصفي فى الأساس ويقوم بالمقابلة بين اللغات التي ترجع إلى أصول مختلفة كما يرى كثير من الباحثين، وهو بالإضافة إلى ذلك – منهج تعليمي أي يستخدم في التعليم وفي تعليم اللغات بوجه خاص.

ويرى بعض الباحثين أن الدراسة التقابلية ممكنة بين لغتين من أسرة واحدة أو من أسرتين مختلفتين لا بهدف التعرف على الأصل القديم، ولكن بهدف تعرف الفروق الصرفية والنحوية والمعجمية بين النظامين اللغويين فيمكن مثلا أن تتم الدراسة التقابلية بين العربية والتيجرينية – لغة إريتريا – وكلتاهما من اللغات السامية، ومن الممكن أيضا عمل دراسة تقابلية بين العربية والأوردية، وهما من أسرتين لغويتين مختلفتين.

كما يمكن أن يكون أيضا بين لهجة محلية واللغة الفصيحة المنشودة، فالصعوبات الموضوعية التى تواجه أبناء تلك اللهجة في محاولاتهم اكتساب

اللغة الفصيحة تنجم في المقام الأول عن الفرق بين هذه اللهجة وتلك اللغة. فالصعوبات التى يواجهها أبناء مصر فى تعلم الأصوات «بين الأسنانية» وهى الثاء والذال والظاء في الفصحى، والصعوبات التي يواجهها أبناء العراق والجزيرة العربية في التمييز بين الضاد والظاء، والصعوبات التي يواجهها عدد من الفلسطينيين فى التمييز بين القاف والكاف، إنما ترجع إلى الفروق بين اللهجة المحلية واللغة المنشودة. ولا يقتصر البحث اللغوي التقابلي على مجال الأصوات، بل يتناول أيضا بناء الكلمة وبناء الجملة والدلالة، فالأبنية تختلف بين اللغة الأم واللغة المنشودة، والتراكيب التي تختلف بينهما والكلمات التى تختلف دلالتها بين المستويين يمكن التعرف إليها بالدراسة التقابلية، فيكون تذليل هذه الصعوبات بمراعاتهما في برامج تعلم اللغات. فإذا كانت اللغة الأولى تفتقد بعض الأصوات التى توجد فى اللغة الثانية وجبت العناية بالتدريب النطقي على هذه الأصوات، وإذا كانت بعض الكلمات تُسْتخدم فى اللهجة المحلية بدلالات تخالف اللغة المنشودة كان من الضروري الاهتمام بالتدريبات التى توضح المعنى الفصيح المنشود. وهكذا يمكن أن تقدم الدراسات التقابلية أساسا لغويا موضوعيا لتذليل الصعوبات في تعلم اللغات.

وعلى هذا يكون الفرق بين علم اللغة المقارن وعلم اللغة التقابلي هو:

١- أن المقارن يهدف إلى الوصول إلى الأصل اللغوي. بينما التقابلي يهدف إلى استخدام النتائج في تعليم اللغات.

٢- أن التقابلي يشمل اللغات متحدة الفصائل، ومختلفة الفصائل. أما المقارن فإن مجاله اللغات متحدة الفصائل فقط.

ثالثًا- علم اللغة والعلوم الأخرى:

هذا التفريع مبني على الإفادة المتحققة لعلم اللغة حين يعتمد على معطيات العلوم الإنسانية الأخرى التى يدرس كلّ منها جانبًا من حياة الإنسان، وسوف نقتصر هنا على أكثر تلك العلوم شيوعا وانتشًارا.

١- علم اللغة النفسي Psycholinguistics:

خطا علم اللغة النفسي في السنوات الأخيرة خطوات واسعة، وسلك طريقا جديدا بتأثير النظرية التوليدية، فقد كان معظم اهتمام علم اللغة النفسي قبل ذلك منصبا على موضوعات مثل ترابط المفردات وكيفية تدعيم بعض جوانب السلوك اللغوي، ولكنه أخذ منذ أوائل الستينيات يجاري التحولات التى أحدثتها النظرية التوليدية في اتجاهات علم اللغة، فبرز الاهتمام بالمعنى فهما وتعبيرا، وازداد الاهتمام باكتساب اللغة عند الطفل.

فعلم اللغة يهتم بالدراسة الصوتية ودراسة تركيب الكلمة وتركيب الجملة وعلم الدلالة ... إلخ، ولكن ليس من اختصاصه أن يدرس كيف يفهم السامع ما يقوله المتكلم، أى كيف يحلل سلسلة الأصوات المطلقة التى تتلقاها أذناه إلى وحدات يستخلص منها المعانى التى أراد المتكلم نقلها إليه، ولا كيف يخطط المتكلم لنطق الجمل للتعبير عن أفكاره، وكيف يختار المفردات اللازمة والصعوبات التى يواجهها عند النطق، والأخطاء التى يقع فيها. فكل هذا من اختصاص علم اللغة النفسي.

ومن اختصاصه أيضا دراسة تركيب الذاكرة من الناحية اللغوية وطبيعة التذكر، وكيفية اختزان المفردات في الذاكرة (المعجم الذهني)، وأسباب سهولة أو صعوبة استحضارها عند الحاجة إلى استعمالها، وكيف تختزن الجمل في الذاكرة: هل تختزن حسب المعنى أم حسب اللفظ ... إلخ.

ومن اختصاصه كذلك دراسة اكتساب اللغة، وهو من أهم موضوعات هذا العلم، كيف يتعلم الطفل اللغة، مفرداتها وقواعد تركيب الكلمة والجملة فيها وعلاقة نمو الطفل اللغوي بنموه الإدراكي ... إلخ.

إن علم اللغة النفسي يدرس كل هذه الموضوعات وغيرها من الأمور المتصلة بها، مثل علاقة اللغة بالفكر، وسيكولوجية القراءة والاضطرابات اللغوية، وأسباب العيوب النطقية وكيفية علاجها.

وهناك فرق أساسي بين منهج اللغويين وعلماء النفس تجاه الظواهر اللغوية، فقد صرف علماء النفس جهدهم إلى اكتشاف قوانين عامة تفسر السلوك الإنساني، وركزوا جهدهم على الظواهر العامة مثل التعلم والإدراك والقدرات. ولكنهم لم يهتموا بمحتوى السلوك نفسه. ففي بحث قضية التعلم لم يهتموا بالمادة المنشودة التي تُعَلَّم، بل كان اهتمامهم مركَّزا على عملية التعلم باعتبارها عملية عقلية. وفي السنوات الأخيرة حاول بعض الباحثين النظر إلى اللغة من الجانبين، فلم تعد الاستجابات اللغوية تدرس باعتبارها ضربًا من الاستجابات فحسب بل روعيت البنية اللغوية في ذلك أيضا. ويتضح هذا من مقارنة الدراسات السابقة حول اللغة عند الطفل بالدراسات المعاصرة، فهى تبحث نفس الموضوع بطريقة اللغويين، أي بتحليل لغة الطفل من جوانبها الصوتية والنحوية والدلالية. وقد أفاد علماء النفس فى السنوات الأخيرة من مناهج التحليل اللغوي فى بحثهم للسلوك اللغوى، ولكن هذا لا يمنع من تحديد مجال اختصاص كلٍّ من الفريقين.

٢- علم اللغة الاجتماعي Sociolinguistics :

يعني ذلك العلم الذى يدرس اللغة فى علاقاتها بالمجتمع والتفاعل الذى يحدث بينهما، إنه ينتظم كل جوانب بنية اللغة وطرق استعمالها التى ترتبط بوظائفها الاجتماعية والثقافية(١).

وقد نظر اللغويون إلى هذا العلم نظرتين مختلفتين(٢):

بعضهم يرى أن هذا العلم لا علاقة له بعلم اللغة، وأن هناك حدودا فاصلة بين العلمين حيث إن علم اللغة عندهم ينحصر فى بحث اللغة وبنيتها وخواصها التركيبية بوصفها بناء أو هيكلا أو شكلا منعزلا عن صاحبه ومصدره، ودون التفات إلى السياق الاجتماعي أو الثقافي الذي يجري فيه التعامل اللغوي الفعلي

---

(١) د. كمال بشر : علم اللغة الاجتماعي، ص٧ .

(٢) السابق ص١٧-٢١ وانظر له أيضا «التفكير اللغوي بين القديم والجديد» ص ٥٢ -٥٣ .

الحادث من الأفراد في مجتمعهم. وإلى هنا ينتهي دور هؤلاء اللغويين الآخذين بهذا النهج، ثم يعقبه دور علماء الاجتماع فينظرون في تلك القواعد والقوانين التى لها ارتباط بالمجتمع، كأن ينظروا فيما يقع من تنوعات لغوية واقعة من الأفراد أو المجموعات المختلفة في البيئة اللغوية للتعبير عن الفكرة الواحدة، ثم يحاولون ربط هذه التنوعات الكلامية بمصادرها من حيث طبقات المتكلمين الثقافية والاجتماعية والحرفية، كما يأخذون هذه التنوعات مادة وأساسا للكشف عن هذه الطبقات أو الفئات، وتعيين مواقعها في المجتمع وبيان خواصها المميزة لها لغويا واجتماعيا.

هذه النظرة الفاصلة بين «علم اللغة» و«علم اللغة الاجتماعي» هى نظرة أتباع دي سوسير في ثنائية (اللغة والكلام)(١) وأتباع ثنائية تشومسكي (الطاقة والأداء)(٢)؛ إذ كلاهما يركز جهوده على الجانب العقلي أو النفسي في دراسة اللغة ولا يولي أي اهتمام لجانبها الاجتماعي.

وهناك آخرون يقفون موقفا مخالفا لما سار عليه السابقون؛ إذ يرون أن دراسة اللغة دون الإشارة إلى المجتمع وأخذه في الحسبان نظرة غير دقيقة شأنها فى ذلك شأن من يدرس سلوك الصداقة دون أن يربط سلوك أحد الصديقين بسلوك الآخر.

ونعتقد أن ذلك هو الصواب لسببين:

الأول: أننا لا يمكننا أن ندرس لغة معينة في فراغ لأن اللغة نفسها ظاهرة اجتماعية ومنسوبة إلى قوم معينين، يتواصلون بها، ويديرون بها شئونهم في مجتمعهم الذي بينه وبين اللغة تأثير وتأثر دائمان.

الثانى: أن الكلام هو «العملة» المتداولة بين الأفراد في حياتهم العامة

---

(١) المدرسة البنوية (البنيوية) .

(٢) المدرسة التوليدية التحويلية .

والخاصة، وهو في الوقت نفسه – المرآة الكاشفة عن هوية الأفراد وبيئاتهم وفئاتهم المختلفة، ومن ثم لو عزلناه وأخرجناه من النظر اللغوى لَحُرِمْنا من فرصة الوقوف على طبيعته وخواصه، ولفقدنا كذلك فرصة التفسير الاجتماعي للظواهر اللغوية، وهى ظواهر لها قيمتها وأهميتها لغويا واجتماعيا.

٣- علم اللغة الجغرافي[١] Geographical linguistics:

ويتصل علم اللغة الحديث كذلك بعلم الجغرافيا اتصالا وثيقا، فقد اقتبس علم اللغة منذ أكثر من نصف قرن مضى طرائق علم الجغرافيا، ليضع حدودا لغوية للّهجات المختلفة فى خرائط تبيّن معالم كل لهجة، وتفرّق بين لهجة وأخرى، ولا تختلف هذه الخرائط عن خرائط الجغرافيا، إلا في أن ما يدوَّن عليها هو ظواهر لغوية تطلع القارئ على أدق الفروق فى الأصوات، والمفردات، وبناء الجمل بين اللهجات المختلفة.

فتبيّن هذه الخرائط الاختلافات الصوتية بين المناطق المختلفة فقوم يجهرون أصواتا، وقوم يهمسونها، وطائفة تنطق الفتحة صريحة، وأخرى تنطقها ممالة، ولهجة تنبر المقطع الأول من كلمة ما، وأخرى تنبر المقطع الثانى منها.

كما تُبيّن هذه الخرائط الفروق الواقعة في مجال المفردات، من حيث البنية، والمترادفات المختلفة للمعنى الواحد، واختلاف الألفاظ الدالة على معنى واحد ونسبة انتشار الكلمات.

وفى مجال بناء الجملة تبين لنا الخرائط أماكن تواجد الاستعمالات النحوية النادرة، أو الشاذة.

وغير ذلك مما يتيح لنا معرفة الواقع اللغوي لأي لغة من اللغات سواء أكانت لغات فصحى أو مشتركة أو خاصة، أو لهجات اجتماعية أو إقليمية أو

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية جـ٣٧، د. رمضان عبد التواب ص١١٩، وما بعدها .

عاميات خاصة.

هذه الخرائط يجمعها في النهاية أطلس لغوي عام، وتختص كل خريطة بكلمة أو بظاهرة صوتية أو نحوية معينة يبدو فيها الاتفاق أو الاختلاف بين المناطق اللغوية المتعددة.

ومعنى هذا أن علم اللغة الجغرافى يشبه «علم اللهجات» Dialectology أو هو هو. على أن بعض الدارسين يوسّع فى اختصاص الأول فيستخدمه فى تصنيف اللغات المختلفة على أساس مواقعها الجغرافية لا على أساس أصلها ونسبتها اللغوية، كأن يُقال مثلا لغات أوربية أو آسيوية أو أمريكية شمالية... إلخ.

والعلمان معا (علم اللغة الجغرافي وعلم اللهجات) لهما روابط قوية وأنساب وثيقة بالعلوم الاجتماعية كلها وبخاصة علم اللغة الاجتماعي.

والحق أن علم اللغة الجغرافي (وقرينه علم اللهجات) ليس إلا جناحا أو جانبا من علم اللغة الاجتماعي.

رابعًا- بين علم اللغة النظري وعلم اللغة التطبيقي:

تخضع اللغة لنوع من التطبيق منذ بدأ الدرس النظري فيها لأن الجانب النظري لا بد أن ينتهي إلى جانب تطبيقي أو أن يهدف إليه كما يبدو فى تعليم اللغة مثلا.

ولكن حاجة الإنسان الحديث وتعدد مناحي نشاطه اللغوي قادت إلى إيجاد فرع من الدراسة يعنى بجوانب متميزة من العمل اللغوى لها خواص أَوْلَها نتائج عملية بحتة ذات منفعة ملموسة، مادية أو غير مادية.

هذا الفرع هو ما أطلق عليه مؤخرا «علم اللغة التطبيقي» Applied linguistics. والجوانب اللغوية التي تدخل فى حقل هذا العلم تتسم جميعا بالسمة العملية أو الآلية أو الإجرائية، ومن أفرع هذا العلم ما يلي:

١- صناعة المعجمات.

٢- الترجمة.

٣- إخضاع اللغة للآلة، وأهمها الكمبيوتر أو الحاسوب وكذلك أجهزة معامل الأصوات.

٤- صياغة المصطلحات.

٥- تعليم اللغة لأبنائها أو للأجانب.

أما أهم فروع هذا العلم فهما:

١) تعليم اللغات، قومية أو أجنبية، ولأهمية هذا الفرع من الناحية التطبيقية لم يحاول بعضهم التفريق بين «تعليم اللغات» و«علم اللغة التطبيقي» Applied linguistics في الدلالة والمفهوم، ويأخذ المصطلحين كما لو كانا مترادفين يطلقان على مفهوم واحد، وهي وجهة نظر لها مقوماتها.

٢) حوسبة اللغة، أو اللسانيات الحاسوبية: أو ما يطلق عليه: علم اللغة الحاسوبي، وقد تعاظم شأنه في الفترة الأخيرة، وتعددت البرمجيات التي تتعامل تطبيقيًّا مع اللغة في كل مستوياتها: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والترجمة الآلية، وصار لهذا العلم المتخصصون الكثيرون الذين يجمعون بين المعرفة باللغة، والمعرفة بالحاسوب وقدراته.

ويرى الدكتور كمال بشر أن دراسة اللغة إمَّا نظرية أو تطبيقية وكثيرا ما تجتمع الجهتان في العمل اللغوي الواحد، غاية الأمر أن التركيز على إحدى الجهتين قد يكون أوضح فى عمل من الأعمال منه في عمل آخر. ومن البَدَهيّ أن كل دراسة تطبيقية، مهما كان نوعها، ترتكز بصورة أو بأخرى على الجانب النظري.

والدراسات النظرية المتعمقة في النظر والتحليل دون الخوض أو الدخول المباشر في الجانب التطبيقي لا تخلو بحال من السمة التطبيقية بصورة أو بأخرى، الرسائل العلمية مثلا وهى أعلى درجات البحث النظري، أو الدراسات الأكاديمية الصرفة هي الأخرى ذات سمة تطبيقية، إذ إن الدارس أو الباحث إنما

يقوم بإخضاع مادته لقوانين وقواعد معينة، وهذا الإخضاع هو ضرب من التطبيق: تطبيق الحصيلة النظرية على مواضع أو نقاط محددة بصورة خاصة.

لذلك لا وجه لمن ينظر إلى علوم اللغة على أنها جانبان؛ جانب نظرى وآخر تطبيقى، كما لو كانا متناظرين لا جانبين لشيء واحد هو الدراسات اللغوية أو «علم اللغة».

كل ما في الأمر أن تنوَّع الدراسة في الحقل اللغوى، وميل بعض الأنواع إلى الجانب النظري أو التعمق فيه، واتجاه بعض آخر إلى الجانب العملي أو التطبيقي والتركيز على هذه السمة، كل هذا دعا بعض الدارسين المتحمسين لفكرة التخصص وتصنيف أنواع التخصصات ووضع نوع من الحدود بينهما إلى الكلام عن دراسة لغوية نظرية وأخرى تطبيقية.

وقد تعددت البحوث في فروع علم اللغة التطبيقي، حتى استقلت تلك الفروع، وأصبح لها مناهج بحث مختلفة فصارت تُوصَف أحيانًا بأنها علوم.

معجم مصطلحات الوحدة

- الاختيار.
- الترادف.
- المشترك اللفظي.
- الإعراب.
- التعليق.
- علم الدلالة Semantics .
- علم الصرف (Morpholog).
- علم الأصوات Phonetics .
- علم الأصوات الأكوستيكي أو الفيزيائي physical phonetics.
- علم الأصوات السمعي Auditory phonetics.
- علم الأصوات النطقي articulatory phonetics.
- علم القواعد (Grammar).
- علم اللغة (linguistics).
- علم اللغة الإثنولوجي Ethnolinguistics .
- علم اللغة الأنثروبولوجي anthropological.
- علم اللغة التاريخي historical.
- علم اللغة الجغرافي Geographical linguistics.
- علم اللغة الاجتماعي Sociolinguistics.
- علم اللغة السياسي political.

- علم اللغة التطبيقي Applied linguistics.
- علم اللغة العام General linguistics.
- علم اللغة المعياري normative.
- علم اللغة التقابلي contrastive.
- علم اللغة المقارن comparative.
- علم اللغة النفسي Psycholinguistics.
- علم اللغة النظري General linguistics.
- علم اللغة الوصفي descriptive .
- علم النحو syntax .
- (فقه اللغة).
- فونيمات اللغة Phonemes.
- المنهج الاستاتيكى Static.
- المنهج الدياكروني Diachronic.
- المنهج السنكروني Synchronic.
- المورفيم (morpheme).
- الموقعية.



ملخص الوحدة السابعة

- علم اللغة «الدراسة العلمية التي تملك منهجا أو مناهج محددة مستخدمة وسائل البحث العلمي وقواعده في النظر والتحليل والوصول إلى نتائج، ويُعْنَي الدرسُ اللغوي الحديث في بعض اتجاهاته باللغات المنطوقة، بوجه خاص، إذ تتسم بسمات معينة حُرِمَت منها اللغة المكتوبة. وقد ينحو علم اللغة نحو المادة المكتوبة لغرض من الأغراض.
- العلاقة بين علم اللغة وفقه اللغة: علماء العصر الحديث يرون أن مصطلح "علم اللغة" أعم من مصطلح "فقه اللغة" ومن ثَمَّ يُمكن مناقشة كل القضايا اللغوية تحت اسم "علم اللغة" إذ هو المصطلح العامّ الشامل، فالعلاقة بينهما علاقة العموم والخصوص.
- هذا العموم في المصطلح لم يقنع الدكتور محمود فهمي حجازي، لذلك خصصه بالوصف، فأصدر كتابًا يحمل عنوان " علم اللغة العربية "وكأنه يقابل به مصطلحًا آخر هو علم اللغة العام ".
- يتجه تصنيف علم اللغة نحو المادة اللغوية ذاتها، مادة اللغة من أصوات وصيغ وتراكيب.. إلخ. وتكتسب فروعُه أسماءها من الجانب اللغوي المعين الذي تختص بدراسته والبحث فيه.

من هذه الزاوية يتفرع علم اللغة إلى مجموعة من الفروع :

١- علم الأصوات وله جانبان علم الأصوات العام (الفوناتيك) phonetics وعلم وظائف الأصوات (الفونولوجيا) phonology. ويدرس فونيمات اللغة Phonemes.

ولعلم الأصوات فروع متعددة تندرج تحت عدة أقسام، نهتم منا الآن بتقسيم واحد، وهو التقسيم المبني على عملية تحليل الكلام إذ هو أكثرها تفرعا وتنوعا. (النطقي- الفيزيائي - السمعي).

٢- علم الصرف morphology. العلم الذى يدرس «مورفيمات اللغة».

والمورفيم (morpheme) هو أصغر وحدة صرفية ذات معنى. (الصيغ والأبنية).

٣- علم النحو (أو علم التركيب) syntax. ويبحث النحو في التراكيب من عدة وجوه هي: الاختيار والموقعية والتعليق والإعراب (في اللغات المعربة).

٤- علم الدلالة semantics: يظهر في تسجيل المعاني العامة للألفاظ في المعاجم أو في التعرض لدراسة ألفاظ الترادف والمشترك اللفظي.

وهذه المستويات الأربعة كلٌّ متكامل، لا يمكن الفصل بينها فصلا حاسما، كلٌّ ذو اتصال وثيق بسابقِهِ أو لاحقِهِ، وكل منها يفيد فى النظر فى العلم الآخر أو مادته، وربما جاز الفصل بين هذه الفروع للدراسة، وفى حالة البحوث الدقيقة.

ويتفرع علم اللغة وفق مناهج البحث وطرائق التحليل اللغوى أو زمنه. فنحصل على الفروع الآتية:

١- علم اللغة الوصفي descriptive.

٢- علم اللغة التاريخي historical .

٣- علم اللغة المعياري normative.

٤- علم اللغة المقارن comparative.

٥- علم اللغة التقابلي contrastive.

وهناك فروع لغوية حديثة يلتقي فيها علم اللغة مع علوم أخرى لها صلة به من جوانب محددة منها مجموعة معينة لها نوع استقرار وانتشار حاليا، وبعضها له مناهج وأساليب علمية في البحث، في صورة التفريع التالى:

١- علم اللغة النفسي Psycholinguistics.

٢- علم اللغة الاجتماعي Sociolinguistics.

٣- علم اللغة الجغرافي. Geographical linguistics.

٤- علم اللغة الإثنولوجي Ethnolinguistics .

٥- علم اللغة الأنثروبولوجي anthropological.

٦- علم اللغة السياسي political.

وهناك تفريعان اثنان، هما:

٢- تفريع لعلم اللغة من حيث النظر والتطبيق، وهنا يبرز لنا فرعان كبيران، هما:

أ- علم اللغة النظري General linguistics (الأسس والأفكار النظرية والمناهج لدراسة اللغة).

ب- علم اللغة التطبيقي Applied linguistics (تعليم اللغات – الترجمة – حوسبة اللغة).

أسئلة على الوحدة السابعة وإجاباتها

س١: اختر الإجابة الصحيحة:

١- تقسيم علم اللغة على أساس.... ينتج عنه علوم الأصوات والصف والنحو.

أ- الصواب والخطأ. ب- التطور اللغوي.

ج- المادة اللغوية. د- المقارنة بين المستويات.

الإجابة : ج.

٢- تقسيم علم اللغة وفق.... نحصل على...... و.......

أ- المادة، الوصفي، المعياري. ب- المنهج، المقارن، التقابلي.

ج- المنهج، علم اللغة الاجتماعي، الحاسوبي.

د- المادة، الوصفي، التاريخي.

الإجابة : ب.

٣- وفق جوانب الصوت، انقسمت علوم الأصوات إلى... و... و.....

أ- النطقي، الأكوستيكي، السمعي. ب- الفيزيائي، النحوي، الصرفي.

ج- السمعي، النطقي، الصوتي. د- النطقي، الدلالي، الأكوستيكي.

٤- علم..... يهتم ب.... اللغة.

أ- النحو، فونيمات. ب- الصرف، مورفيمات.

ج- الصرف، فونيمات. د- الدلالة، المورفيم.

٥- يبحث.... في الاختيار و.... والعلاقات داخل الجملة.

أ- الصرف، الموقعية. ب- النحو، الموقعية.

ج- الصوت، الإعراب. د- الدلالة، الإعراب.

٦- علم اللغة..... يدرس اللغة في فترة زمنية محددة، وهو....

أ- التاريخي، إستاتيكي. ب- المقارن، ديناميكي.

ج- الوصفي، إستاتيكي. د- التقابلي، التزامني.

س٢: ما بين علم اللغة الوصفي وعلم اللغة التاريخي اختلاف واتفاق. حدد وجهة نظرك بعد القراءة.

س٣: علم اللغة الاجتماعي علاقته وثيقة بعلم اللغة. وضِّح ذلك.

س٤: ما أهم فروع علم اللغة التطبيقي ؟

س٥: ما القضايا التي يناقشها علم اللغة النفسي؟ وهل يختلف منهج اللغويين عن علماء النفس أمام الظواهر اللغوية؟

علم اللغة النفسي Psycholinguistics برز الاهتمام بالمعنى فهما وتعبيرا، وازداد الاهتمام باكتساب اللغة عند الطفل. فعلم اللغة يهتم بالدراسة الصوتية ودراسة تركيب الكلمة وتركيب الجملة وعلم الدلالة ... إلخ، ولكن ليس من اختصاصه أن يدرس:

كيف يفهم السامع ما يقوله المتكلم، أى كيف يحلل سلسلة الأصوات المطلقة التى تتلقاها أذناه إلى وحدات يستخلص منها المعانى التى أراد المتكلم نقلها إليه.

ولا كيف يخطط المتكلم لنطق الجمل للتعبير عن أفكاره، وكيف يختار المفردات اللازمة والصعوبات التى يواجهها عند النطق، والأخطاء التى يقع فيها. فكل هذا من اختصاص علم اللغة النفسي.

ومن اختصاصه أيضا دراسة تركيب الذاكرة من الناحية اللغوية وطبيعة التذكر، وكيفية اختزان المفردات في الذاكرة (المعجم الذهني)، وأسباب سهولة أو صعوبة استحضارها عند الحاجة إلى استعمالها، وكيف تختزن الجمل في

الذاكرة: هل تختزن حسب المعنى أم حسب اللفظ ... إلخ.

إن علم اللغة النفسي يدرس مثلا علاقة اللغة بالفكر، وسيكولوجية القراءة والاضطرابات اللغوية، وأسباب العيوب النطقية وكيفية علاجها.

المراجـع

- أسس علم اللغة، ماريوباي، ترجمة د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب٢٠٠٣.
- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، نايف خرما.
- البحث اللغوي عند العرب، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب ٢٠٠٣.
- التفكير اللغوي بين القديم والجديد، د. كمال بشر.
- الخصائص، أبو الفتح: عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ). تحقيق محمد علي النجار. المكتبة العلمية، القاهرة، (د. ت).
- دراسات في علم اللغة، د. كمال بشر.
- دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح.
- دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، القاهرة ١٩٥٨.
- العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، يوهان فك، ترجمة د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ١٩٨٠.
- علم اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة.
- علم اللغة العام : الأصوات، د. كمال بشر، دار المعارف ١٩٧٣.
- علم اللغة العربية، د. محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، دار الفكر العربي ١٩٩٧.
- فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، ط ٨، القاهرة.
- فقه اللغة في الكتب العربية، د. عبده الراجحي.
- في علم اللغة العام، د. عبد الصبور شاهين.
- اللسان والإنسان، د. حسن ظاظا.
- لغة الحيوان، ميلبسنت سلسنام، ترجمة د.كمال منصور.
- اللغة وعلم اللغة، جون ليونز المترجم مصطفى زكي حسن التوني، دار النهضة العربية الطبعة: الأولى.
- اللغة، فندريس (المتوفى: ١٣٨٠هـ) تعريب: عبد الحميد الدواخلى، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠ م.
- مدخل إلى فقه اللغة العربية، د. أحمد محمد قدور،

- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغة، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة: الثالثة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- مدخل إلى اللغة، د. محمد حسن عبد العزيز. مكتبة الشباب.
- مدخل إلى علم اللغة، د. محمد حسن عبد العزيز. مكتبة الشباب.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي: جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ) شرح وتصحيح: محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط٢، (د. ت).
- معجم العين، الخليل بن أحمد، تحقيق د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- مقدمة ابن خلدون، تحقيق: على عبد الواحد وافي، ٤ مجلدات القاهرة ط ثانية ١٩٦٧.
- مقدمة لدراسة علم اللغة، د. حلمي خليل.
- من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو ١٩٧٨.
- مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية.
- نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها، أنستاس ماري الكرملي، القاهرة ١٩٣٨.
- نصوص في فقه اللغة العربية، د. السيد يعقوب بكر.

التطبيقات

التطبيـقات

١- ما مفهوم اللغة الإنسانية؟

٢- هل شارك علماء العرب القدامى في تعريف اللغة؟ كيف؟

٣- ما العناصر المكونة للغة الإنسانية المستخلصة من تعريفات المحدثين؟

٤- قارن بين الرموز اللغوية عند الإنسان ورموز الكائنات الأخرى.

٥- عرّف المصطلحات الآتية:

اللغة مَلَكة – مخارج الأصوات – الدلالة الصوتية.

٦- تذوق بملاحظتك الذاتية وصف الأصوات الإنسانية وفق نطقك لها. هل تستطيع أن تقدِّم وصفًا عمليًّا لها ؟ قارن ما توصلت إليه بوصف العلماء، وبخاصة الأصوات الظاهرة.

٧- ما الفرق بين العلاقة الطبيعية والعلاقة العرفية الاصطلاحية في اللغة؟

٨- استخلص ما يترتب عليه اختيارك لإحدى العلاقتين في نسبته للغة.

٩- ما الفارق بين رأي أفلاطون وسقراط وبين رأي علماء العرب القدامى؟

١٠- وجد ابن جني مناسبة بين بعض الألفاظ ومعانيها، اشرح فكرته مع ذكر أمثلة.

١١- صنِّف العلماء ما بين موافق على ارتباط الألفاظ بمعانيها بعلاقة مباشرة، ورافض لذلك.

١٢- ما القدرات التي تميز مفردات لغة الإنسان عن غيره من الكائنات الأخرى ؟

١٣- ما تصورك للغة طفل يعيش منعزلا عن المجتمع البشري ؟

١٤- لاحظ مراحل تعلم الطفل للغة في أسرتك أو محيط مجتمعك. كم مرحلة يمكن تمييزها؟

١٥- قارن بين المراحل التي رصدها العلماء لاكتساب الطفل للغة وما لاحظته؟ هل يمارس المجتمع دورًا في هذه العملية؟

١٦- ما أهمية اللغة في المجتمع من خلال الأدوار الأساسية التي تؤديها؟

١٧- ما الوظائف المهمة للغة الإنسانية؟ مثّل لذلك.

١٨- هل البحث في نشأة اللغة يعد عملا مجديًا ؟

١٩- في غيبة الشواهد المادية هل يمكنك الوصول إلى الحقيقة؟ أم تعد افتراضات وتخمينات؟

٢٠- ما الأدلة أو الشواهد التي اعتمد عليها البعض في نشأة اللغة ؟وماذا أثارت من مشكلات؟

٢١- قارن بين نظرية المحاكاة ونظرية الانفعالية الغريزية في تفسير نشأة اللغة ؟ ارصد السلبيات في كل منهما.

٢٢- قارن بين مواقف العلماء العرب في نشأة اللغة موضحًا الأسباب التي دعت كُلًّا إلى اتخاذ موقف معين.

٢٣- هل يمكن وصف اللغة الإنسانية بأنها متغيرة مطلقا ؟

٢٤- كيف يمكنك أن تدلل على أن التغير من سمات اللغة المستعملة؟

٢٥- ما المراحل التي يمر بها أي تغير لغوي؟

٢٦- قارن بين تأثير التطور الحضاري والاستعمال في اتجاه اللغة نحو التغير؟

٢٧- ما الوسائل التي يلجأ إليها المجتمع عندما تطرأ مفاهيم جديدة ليست من ممتلكاته؟

٢٨- أثبت أن سوء السمع والتطور الصوتي يتجهان باللغة أحيانا ناحية التطور.

٢٩- قارن بين العامل الأدبي والعامل الديني في جعل اللغة ساكنة ثابتة.

٣٠- ما الفصيلة اللغوية ؟ مثل بإحدى الفصائل موضحا أسباب جعلها معا.

٣١- هل يمكن دراسة إحدى اللغات الميتة؟ وضح مع التمثيل.

٣٢- ما العناصر القديمة أو أوجه الشبه التي تجمع بين لغات الفصيلة الواحدة؟

٣٣- قارن بين اللغات الإلحاقية واللغات المتصرفة.

٣٤- طبّق على لغتك ما يناسبها من تصنيف حسب النمط الذي تتبعه.

٣٥- ما أسباب اعتراض بعض العلماء على تصنيف اللغات بحسب الأنماط؟

٣٦- ما العلاقة بين اللغة واللهجة ؟ وما أسباب تَكوُّن اللهجات؟

٣٧- ما التسميات التي أُطلقت على علم اللغة ؟ وما رأيك في كثرة المصطلحات في عالمنا العربي للدلالة على المفهوم الواحد؟

٣٨- ما فروع علم اللغة ؟ وهل يمكن الفصل بينها؟

٣٩- ما المستويات اللغوية التي يمكن تحليل اللغة بناء عليه؟

٤٠- استخلص المسائل المشتركة بين بعض المستويات اللغوية.

٤١- قارن بين المناهج اللغوية موضحا الصفات الأساسية لكل منها.

٤٢- حلل بعض الجمل رابطا بين المستوى الصرفي والمستوى النحوي.

٤٣- وفق تصورك حدد بعض المسائل التي يناقشها علم اللغة الجغرافي.

٤٤- قارن بين علم اللغة النظري وعلم اللغة التطبيقي.

٤٥- ما أهم المجالات التي تندرج تحت علم اللغة التطبيقي ؟

إجابة بعض الأسـئلة العامة:

١- إجابة السؤال الأول:

مفهوم اللغة الإنسانية:

اللغة نظام صوتي في الأساس مكون من أنظمة صوتية وصرفية ونحوية ودلالية، يمثله مجموعة من الرموز العرفية، بمعنى أن العلاقة بين الرموز ومعناها هي علاقة اصطلاحية أو عرفية اتفق عليها المجتمع، واللغة إنسانية أي هي قدرة اختص الله الإنسان بها لا يشاركه الحيوان فيها، فالإنسان مزود بجهاز النطق وجهاز سمعي وقدرة ذهنية على اكتساب اللغة وتطويرها، وهذه القدرات المُعَدّة من الله هي المَلَكة التي تُمكِّنه من استقبال أو اكتساب اللغة من المجتمع المحيط بدءًا من الأم، وهذه اللغة تحقق له وظائف عديدة من أهمها التواصل .

وقد عرَّفها سيمون بوتر: «اللغة: نظام عُرفي من الرموز الصوتية تستخدمه جماعة لغوية معينة بهدف الاتصال».

٢- إجابة السؤال الثالث:

العناصر المكونة للغة والمستخلصة من التعريفات:

بالإفادة من كل تعريفات اللغة يتحصل مجموعة صالحة من خواص اللغة وتستطيع هذه الخواص مجتمعة أن تحدد مفهوم اللغة الإنسانية.

اللغة الإنسانية = نظام + عرفية + رموز + صوتية + اجتماعية + ذات وظيفة.

٣- إجابة السؤال الخامس:

تعريف مصطلحات:

اللغة مَلَكة: المَلَكة – لغويًّا – صفة راسخة في النفس أو استعداد عقلي خاص لتناول أعمال معينة بحذق ومهارة . فالملكة اللغوية قدرة أو استعداد فطري بأجهزة مناسبة كجهاز النطق والسمع لاكتسابها وتطويرها.

مخارج الأصوات: المخرج هو مكان خروج الصوت أو إنتاجه، فهو الموضع التي يتم التحكم عنده في جهاز النطق ليُنتج صوتا محددًا، فعند هذا الموضع يتم إعاقة حركة الهواء بإغلاق الممر عند نقطة محددة ثم الفتح المفاجئ، أو تضييق الممر وتسريح الهواء من مخرج ضيق. فالمخرج هو النقطة الأساسية لتشكيل الصوت.

الدلالة الصوتية: مصطلح الدكتور إبراهيم أنيس، ويعني أن الصوت في الكلمات قد يكون له مشاركة في الدلالة على المعنى، فالفعل تنضخ بالخاء عبر عن فوران السائل في قوة وعنف، أما الفعل (تنضح) بالحاء معناه تسرب السائل في تؤدة وبطء، فالخاء صوت أكسبها قوة أما الحاء فأكسبها ضَعفا.

٤- إجابة السؤال السابع:

الفرق بين العلاقة الطبيعية والعرفية الاصطلاحية:

العلاقة الطبيعية أو الذاتية بين الألفاظ ومعانيها علاقة مباشرة، كالألفاظ المأخوذة من الطبيعة مثل الحفيف (الشجر) والخرير (الماء)، فالارتباط هنا بين اللفظ ومدلوله مباشر، وهي أصوات قليلة في اللغات.

العلاقة العرفية الاصطلاحية بين الألفاظ ومعانيها علاقة اتفق المجتمع أو العُرف على استعمال الرموز اللغوية والألفاظ بمعانٍ محددة يكتسبها الطفل في المرحلة الأولى، ولا يجوز لأي فرد الخروج على الجماعة اللغوية في هذا الاتفاق أو الاصطلاح وأكثر ألفاظ اللغة هكذا.

٥- إجابة السؤال التاسع:

الفرق بين رأي أفلاطون وسقراط ورأي علماء العرب القدامى:

انطلق أفلاطون وسقراط من التفكير العقلي المجرد، فرأيهما أن الصلة بين الألفاظ ومعانيها طبيعية ذاتية مثل ألفاظ الطبيعة، وإن كانت العلاقة غامضة فإنها قد كانت واضحة في بداية نشأة اليونانية ثم تطورت، فأصبحت العلاقة غامضة .

أما علماء العرب فبعضهم انتصر لفكرة الصلة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله مثل

الصيمري وابن الجوزية، والعرب في هذا يرون مناسبة بين اللفظ ومعناه، فاللفظ يطول لطول معناه ويخف لخفة معناه، اعتزازا منهم بالعربية، والحرص على كشف أسرارها.وكذلك أشار إلى الفكرة كثيرون أي مناسبة اللفظ العربي لمعناه ؛ مثل الخليل وابن جني .

٦- إجابة السؤال الحادي عشر:

تصنيف العلماء تبعا لموقفهم من ارتباط الألفاظ بمعانيها بعلاقة مباشرة:

الموافق على العلاقة المباشرة: أفلاطون وسقراط – الصيمري – ابن الجوزية – الخليل بن أحمد – ابن جني (يوافق جزئيًّا) – أحمد فارس الشدياق – أنستاس الكرملي – رشيد الخوري – العقاد (يوافق جزئيًّا)- همبولت.

الرافضون للعلاقة المباشرة : أرسطو – مادفيج – نيروب – يسبرسن – دي سوسير – ابن جني - العقاد .

٧- إجابة السؤال الثالث عشر:

تصور لغة طفل يعيش منعزلا عن المجتمع البشري:

اللغة ليست غريزة أو وراثة، فإذا عاش الطفل بعيدا عن المجتمع بمعزل عنه يبقى بدون لغة، فإذا كان في مجتمع حيوانات، فإنه يكتسب لغة الحيوانات.

٨- إجابة السؤال السادس عشر:

أهمية اللغة في المجتمع من خلال أدوارها الأساسية:

من أهم أدوار اللغة :

- والترابط الاجتماعي الذي يربط أفراد المجتمع، ويظهر مثلا في التحايا واللقاءات التي يتبادلونها بلغة ينتمون إليها.
- الترابط الديني : فاللغة تُستعمل في أداء العبادات الدينية والأدعية وقراءة النصوص المقدسة، وتبادل الكلمات في المناسبات كالأعياد.

- الاستعمال القانوني، فاللغة بمثابة وقوع الفعل في البيع والشراء والزواج والمحاكمات.
- إصدار الأوامر والنواهي . – التعبير عن المشاعر أو الأحاسيس - التعبير عن الفكر والعلم - نقل المعلومات – وظيفة اللغة المكتوبة في الحفاظ على منجزات البشرية.

٩- إجابة السؤال الثامن عشر:

البحث في نشأة اللغة هل هو عمل مُجدٍ؟

البحث في ما هية اللغة الأولى التي نطق بها الإنسان لجاذبية الموضوع وتعدد التخصصات التي تناولته، ولكن في غياب الأدلة اليقينية والشواهد المادية الملموسة يصبح الأمر كله افتراضا وتخمينا وهذا الأمر جعل الجمعية اللغوية بباريس تكتفي بالنظريات والآراء التي قُدمت فيه، فما قيل هو ما يتكرر في أي دراسة فلا جدوى منه.

١٠- إجابة السؤال الخامس والعشرين:

المراحل التي يمر بها أي تغير لغوي:

كل التغيرات التي تصيب اللغة تقع على مرحلتين:

- المرحلة الأولى: مرحلة فردية، تتمثل في التغير نفسه، وهو عمل فردي، ولكن هذا لا يعني أنه مقصور على فرد واحد، فقد يتصادف أن يأتي على ألسن أفراد كثيرين في وقتٍ واحدٍ، دون اتفاق بينهم، بل قد يشعر عددٌ آخر من أبناء المجتمع بأن هذا التجديد كان حاضرًا في أذهانهم، إن القبول الاختياري والاتفاق غير المقصود في هذه الخطوة.
- المرحلة الثانية، وهي مرحلة ذات صبغة اجتماعية، إذ هي مرحلة انتشار التغير، فإذا ما سُمِع التغير الجديد، ولاقى قبولا من أفراد المجتمع، ترتَّب عليه استعمالهم لهذه الصورة من التغير، وقبول المجتمعِ كلمةً ما، يتبعه إثبات الكلمة في المعجم اللغوي الخاص باللغة.

١١- إجابة السؤال السابع والعشرين:

الوسائل التي يلجأ إليها المجتمع عندما تطرأ علي مفاهيم جديدة:

يلجأ المجتمع في مقابلة المفاهيم الجديدة إلى وسيلتين لغويتين؛ هما:

١- أن يلجأ إلى الألفاظ المستعملة بالفعل في اللغة، أو حتى التي تنوسيت، ولم يعد أحد يستخدمها، فيقوم بإضافة دلالة جديدة إلى هذه الألفاظ وإكسابها الدلالة الجديدة المرادة. (كلمة قطار)

٢- أن يلجأ إلى استعارة ما يحتاجه من اللغات الأجنبية، ولجوء اللغة لاستعارة ما تحتاج إليه هو الأمر الطبيعي، وقد تلجأ اللغة إلى استعارة ما لا تحتاج إليه، ، وهو أمر حدث قديمًا في اللغة العربية، وقد وضع السيوطي بابًا في كتابه " المزهر في علوم اللغة " بعنوان باب في المُعرَّب الذي له اسم في لغة العرب" . معنى ذلك أننا يمكن أن نستعير دون حاجة.

١٢- إجابة السؤال الحادي والثلاثين:

يمكن دراسة إحدى اللغات الميتة:

- هناك لغات ميتة مندثرة منها، وهي تضاف إلى الصعوبات اللغوية، وتجعل أمر الوصف والتصنيف للغات البشر تقريبيًّا وغير كامل. ومع ذلك فليست الصورة كلها معتمة بهذا الشكل، فهناك لغات ميتة قديمة كثيرة معروفة بشكل دقيق أو قريب من الدقة منها:

١- لغة شومر، وهم أمة سكنت جنوبي العراق حول الخليج العربي وتركت لنا آثارا مكتوبة يرجع أقدمها قبل الميلاد.

٢- اللغة المصرية الفرعونية، لها وثائق كذلك من الألف الرابع قبل الميلاد، ثم تستمر في صورة أخرى بعد انتشار المسيحية في مصر، هي اللغة القبطية.

٣- اللغة الحيثية (أو الحِثّية) في آسيا الصغرى، التي تغطي وثائقها الألف الثاني قبل الميلاد.

٤- اللغة السنسكريتية، وهي لغة الهند المقدسة وترجع نصوصها الأدبية إلى الألف الأول قبل الميلاد.

١٣- إجابة السؤال الثالث والثلاثين:

اللغات الإلحاقية واللغات المتصرفة:

- اللغات الإلحاقية أو الإلصاقية: المادة الأصلية فيها تتألف من مقطع أو أكثر، وتبقى كما هى بلا تغيير، ولكن يستعان فيها لتنويع الدلالات النحوية والصيغ الصرفية بزوائد تلتصق بالمادة الأصلية على صورة سوابق أو لواحق. ومن عينات هذه الفصيلة التي تستعين بالسوابق لغة «البانتو» في وسط إفريقيا، وكذلك اللغة التركية.

أما اللغات المتصرّفة، فهى التى تتكسر فيها المادة الأصلية، فتقبل السوابق واللواحق والمُقْحَمات (الأحشاء أو الدواخل) التي تُحْشَر في وسط البنية الأصلية، كما تقبل الإدغام والحذف في بعض الحروف، حسب نظام صوتي في كل لغة منها، لأجل تنويع الصيغ، وكذلك لتحديد الوظائف النحوية عن طريق علامات الإعراب. ومن أمثلتها: اللغة العربية.(كَتَبَ– أكتب - كاتب – كتبوا).

١٤- إجابة السؤال الخامس والثلاثين:

أسباب اعتراض بعض العلماء على تصنيف اللغات بحسب الأنماط:

هناك اعتراضان ضد هذا التقسيم: أحدهما، أن معظم اللغات لا تنتمي إلى فصيلة من هذه الفصائل بصورة خالصة، بل تتأرجح بين فصيلتين منها، أو بين الفصائل كلها، فاللغات السامية مثلا كالعربية والعبرية تنتمي إلى اللغات الإلصاقية والمتصرفة في آن واحد.

أما الاعتراض الثاني فهو أن مثل هذا التقسيم من حيث الشكل يُعدُّ سطحيا؛ إذ إنه يجمع تحت فصيلة واحدة عدة لغات يختلف بعضها عن بعض تماما من حيث الروح، لأن واضعي هذا التقسيم قد لاحظوا ببساطة وجه الشبه الخارجي البحت، فمما لا شك

فيه أن لغة كمبوديا التي تستعمل السوابق والمقحمات، إنما تستعملها استعمالا صرفيا محدودا بتنويع المشتقات، على حين أن السوابق المستعملة في لغة البانتو أكثر سيطرة على الكلمة والجملة، إذ لها أهداف في النحو والتركيب وتحديد العلاقة بين الفكرة واللفظ.

ويضيف «سابير» إلى ذلك أن التقسيم فاسد من حيث جمعه السوابق واللواحق تحت فصيلة واحدة لمجرد النظرة السطحية على حين أن اللغات التى تعتمد اعتمادًا أساسيًّا على السوابق تختلف من حيث الفكر اللغوي عن تلك التي تعتمد على اللواحق.

١٥- إجابة السؤال السادس والثلاثين:

العلاقة بين اللغة واللهجة – أسباب تكون اللهجات:

اللهجة هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمى إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد البيئة. وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها وهذه البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات، هي اللغة، فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص، فاللغة تشتمل عادة على عدة لهجات، لكل منها ما يميزها.

أما أسباب تكون اللهجات فمن أهمها : اتساع المنطقة الجغرافية التي تنتشر عليها اللغة، لأن هذا يعني اختلاف البيئات والظروف، فتترك بصماتها على اللغة، فتصبح لكل منطقة صفاتها النطقية .فتنوع الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية يؤدي إلى ظهور ذلك في اللغة بسمات خاصة في شكل لهجات.

١٦- إجابة السؤال السابع والثلاثين:

التسميات التي أُطلقت على علم اللغة، ورأيك في كثرة المصطلحات في عالمنا العربي للدلالة على المفهوم الواحد:

من المفيد هنا إيضاح التسميات المختلفة لمجالات علم اللغة ومناهجه فى محاولة لإزالة الغموض القائم عند بعض الدارسين نتيجة لكثرة التسميات وغموضها وتداخلها أحيانا.

يطلق بعضهم على «علم اللغة» عدة تسميات، أهمها:

فقه اللغة - علم اللسان – اللسانيات- الألسنية- اللسنيات- اللغويات.

وتتداخل هذه المصطحات بعضها مع بعض تداخلا لا يفيد العلم، وقد أدى هذا إلى تمزق مجالات البحث العلمى فى اللغة، وإهمال كثير من قضاياه، وإلى عدم وضوحٍ فى تصوّر الكثيرين تجاه جوانبه المتكاملة. ولذا لا بد من ضرورة استخدام تسمية موحدة واضحة هى «علم اللغة» ليتحقق فيه توحيد المصطلح .

١٧- إجابة السؤال الثامن والثلاثين:

فروع علم اللغة إمكان الفصل بينها:

فروع علم اللغة:

أ- علم الأصوات: يدرس أصوات اللغة صوامت وصوائت، والظواهر الصوتية كالنبر والتنغيم والإدغام .

ب- علم الصرف: يدرس أبنية اللغة وصيغها وطبيعة التغييرات البنيوية فيها.

ج- علم النحو: يدرس التركيب اللغوي وما يكون من علاقات بين أجزاء التركيب (الاختيار– الموقعية – التعليق –الإعراب) .

د- علم الدلالة: يدرس المعنى على مستوى المفردات والتركيب، والظواهر الدلالية مثل الترادف والمشترك اللفظي.

١٨- إجابة السؤال التاسع والثلاثين:

المستويات اللغوية التي يمكن تحليل اللغة بناء عليها:

- يتم التحليل بناء على مستوى الأصوات في علم الأصوات.
- وبناء على مستوى البنية أو الصيغة في علم الصرف.
- ويدرس التركيب اللغوي وما يكون من علاقات بين أجزاء التركيب على المستوى النحوي.

- ويدرس المعنى على مستوى معنى المفردات والتركيب، والظواهر الدلالية مثل الترادف والمشترك اللفظي على مستوى الدلالة .

١٩- إجابة السؤال الحادي والأربعين:

المناهج اللغوية بصفاتها الأساسية:

المنهج الأول: علم اللغة الوصفي ويسمى بالمنهج السنكروني ، وأساس الدراسة الوصفية أمران؛ دراسة اللغة في فترة زمنية واحدة محددة ومن ثَمّ سمَّى بالاتجاه التزامني أو الآني.والآخر كون الدراسة موجهة إلى لغة بعينها، وذلك بتسجيل خواصها كما تبدو في تراكيبها.

وأساس هذا المنهج إنما يهتم بوصف الحقائق اللغوية وتسجيلها كما هي دون التورط فى مناحٍ عقلية أو نفسية أو دون التجاء إلى افتراض أو السعى وراء بيان الصواب والخطأ، وهذه التسمية (الوصفية) يقصرون الدراسة على فترة زمنية محددة، وعلى لغة معينة. ويسمى كذلك بالمنهج الاستاتيكى على أساس أنه ينظر إلى اللغة فى فترة زمنية واحدة كما لو كانت ثابتة.

المنهج الثاني: علم اللغة التاريخي: يبحث علم اللغة التاريخى تطور اللغة الواحدة أو التغير في اللغة الواحدة على مدى الزمن. فهو يدرس اللغة المعينة خلال فترتين زمنيتين، فيكشف التغيرات التي حدثت نتيجة تغيرات اجتماعية أو اقتصادية أو غير ذلك.

وهناك قضايا كثيرة في مجالات الأصوات وبناء الكلمة وبناء الجملة والدلالة تدخل في إطار علم اللغة التاريخي. فدراسة التغير الصوتي فى العربية بين فترتين القرن الأول الهجري (من قراءة القرآن) وأصوات العربية المعاصرة تعد دراسة صوتية تاريخية.

المنهج الثالث: علم اللغة المعياري: وهو المنهج التقليدى المُتَّبع في تعليم القواعد فى المدارس والجامعات. وأساسه محاولة استخلاص مجموعة محددة من القواعد والقوانين وجعلها نموذجا أو معيارا ينبغى السير على طريقه، فمن خرج عن هذا النهج

أو المعيار دخل في دائرة الخطأ ومن اتبعه كان مصيبا. فهذا النهج في الأساس وظيفته بيان الخطأ والصواب في اللغة ومحاولة فرض قواعده على مستعملي اللغة، حفاظا عليها. وهو منهج تعليمي صِرْف وموقعه تعليم اللغات القومية.

المنهج الرابع: علم اللغة المقارن: هناك تداخل بين هذا المنهج والمنهج التاريخي لسببين:

أ- أن المنهج المقارن تاريخي في الأساس في معظم الأحيان.

ب- أنه متمم للعمل التاريخى أو هو الهدف من العمل التاريخي.

فإذا كان المنهج التاريخي يتتبع الظاهرة المعينة من فترة زمنية إلى أخرى وتسجيل ما أصابها من تغيير فإن المنهج المقارن يقوم بالمقارنة بين هذه التغيرات، أو بين الأصل وما تفرع عنه، أو ما آل إليه من فترة إلى أخرى.

ومن المفيد أن نعلم أن علم اللغة المقارن إنما مجاله اللغات ذات الأصل الواحد كالعربية والعبرية، وليس من شأنه أن يقارن بين اللغات التي ترجع إلى أصول مختلفة كالمقارنة بين العربية والإنجليزية مثلا، وقد يتوسع فيه بعضهم فيطبقه على المقارنة بين اللغات ذات الأصول المختلفة.

وعلم اللغة المقارن قد يستخدم فى مقارنة لهجات لغة واحدة بعضها ببعض فى فترة زمنية محددة، وهو فى هذه الحالة إنما يعتمد على دراسة وصفية أساسية لكل لهجة على حدة، وهي دراسة سابقة على المقارنة.

المنهج الخامس: علم اللغة التقابلي: وهو يستخدم فى مجال تعليم اللغات غالبا، ويقوم في الأساس بمقابلة حقائق لغة معينة بحقائق لغة أخرى، تيسيرا على المتعلمين، كأن تقوم بعرض أصوات العربية على دارسيها من الإنجليز، ومقابلة هذه الأصوات بنظائرها فى اللغة الإنجليزية لبيان وجوه الاتفاق والاختلاف. وبهذه الطريقة يسهل على المتعلم الإنجليزي أن يستوعب أصوات العربية. والمنهج التقابلي وصفي فى الأساس ويقوم بالمقابلة بين اللغات التي ترجع إلى أصول مختلفة، وهو بالإضافة إلى

ذلك – منهج تعليمي أي يستخدم في تعليم اللغات. ويرى البعض أن الدراسة التقابلية ممكنة بين لغتين من أسرة واحدة أو من أسرتين مختلفتين.

وعلى هذا يكون الفرق بين علم اللغة المقارن وعلم اللغة التقابلي هو:

أن التقابلي يشمل اللغات متحدة الفصائل، ومختلفة الفصائل. أما المقارن فإن مجاله اللغات متحدة الفصائل فقط.

٢٠- إجابة السؤال الثالث والأربعين :

بعض المسائل التي يناقشها علم اللغة الجغرافي؟

لقد اقتبس علم اللغة طرائق علم الجغرافيا، ليضع حدودا لغوية للّهجات المختلفة فى خرائط تبيّن معالم كل لهجة، وتفرّق بين لهجة وأخرى، ولا تختلف هذه الخرائط عن خرائط الجغرافيا، إلا في أن ما يدوَّن عليها هو ظواهر لغوية تطلع القارئ على أدق الفروق فى الأصوات مثلا.

هذه الخرائط يجمعها في النهاية أطلس لغوي عام، وتختص كل خريطة بكلمة أو بظاهرة صوتية أو نحوية معينة يبدو فيها الاتفاق أو الاختلاف بين المناطق اللغوية. فعلم اللغة الجغرافى يشبه «علم اللهجات» أو هو هو. والعلمان معا (علم اللغة الجغرافي وعلم اللهجات) لهما روابط قوية وأنساب وثيقة بالعلوم الاجتماعية كلها وبخاصة علم اللغة الاجتماعي.

والحق أن علم اللغة الجغرافي (وقرينه علم اللهجات) من موضوعات علم اللغة الاجتماعي.

٢١- إجابة السؤال الرابع والأربعين:

مقارنة بين علم اللغة النظري والتطبيقي:

- علم اللغة النظري يتضمن الأسس النظرية والأفكار التي يبنى عليها البحث اللغوي، ففيه المناهج أو الطرق التي تنظم البحث اللغوي.

ولأن الجانب النظري يحتاج إلى جانب تطبيقي أو أن يهدف إليه كما فى تعليم اللغة مثلا. وذلك لاختبار الأفكار النظرية للتأكد منها أو التعديل فيها، وحاجة الإنسان الحديث وتعدد مناحي نشاطه اللغوي قادت إلى إيجاد هذا الفرع من الدراسة الذي يعنى بجوانب متميزة من العمل اللغوى لها خواص أَوْلَها نتائج عملية بحتة ذات منفعة ملموسة، مادية أو غير مادية. وهذا الفرع هو «علم اللغة التطبيقي» .والجوانب اللغوية التي تدخل في حقل هذا العلم تتسم جميعا بالسمة العملية أو الآلية أو الإجرائية، كالترجمة وتعليم اللغات.

٢٢- إجابة السؤال الخامس والأربعين :

أهم المجالات التي تندرج تحت علم اللغة التطبيقي:

- من مجالات علم اللغة التطبيقي ما يلي:

أ- صناعة المعجمات.

ب- الترجمة.

ج- إخضاع اللغة للآلة، وأهمها الكمبيوتر أو الحاسوب وكذلك أجهزة معامل الأصوات.

د- صياغة المصطلحات.

هـ- تعليم اللغات، قومية أو أجنبية، ولأهمية هذا الفرع من الناحية التطبيقية لم يحاول بعضهم التفريق بين «تعليم اللغات» و«علم اللغة التطبيقي» في الدلالة والمفهوم، ويأخذ المصطلحين كما لو كانا مترادفين يطلقان على مفهوم واحد، وهي وجهة نظر لها مقوماتها.

و- حوسبة اللغة، أو اللسانيات الحاسوبية: أو ما يطلق عليه: علم اللغة الحاسوبي، وتعددت البرمجيات التي تتعامل تطبيقيًّا مع اللغة في كل مستوياتها: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والترجمة الآلية، وصار له المتخصصون الكثيرون الذين يجمعون بين المعرفة باللغة، والمعرفة بالحاسوب.